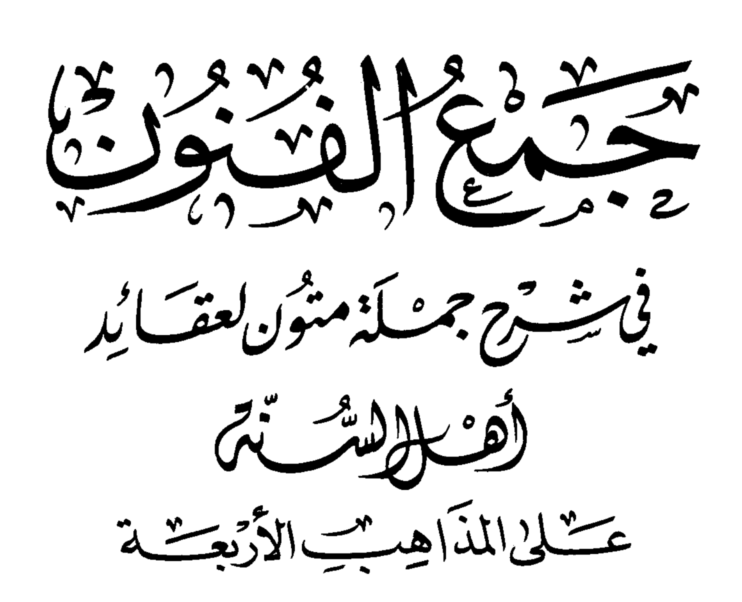


جمع الفنون

في شرح جملة متون العقائد أهل السنة على المذاهب الأربعة

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الجزء الأول



الطبعة الأولى
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

الناشر
دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

جمع الفنون

في شرح جملة متون لعقائد

أهل السنة

على المذاهب الأربعة



قامت بطباعته وإخراجه

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : الكويت ـ الجهراء ـ مجمع كاظمة التجاري

هاتف : ٤٥٥٧٥٥٩ فاكس : ٤٥٥٧٥٥٨

ص ب : ١٥١٣ الرمز البريدي : 01017 الجهراء

فرع حولي : شارع الحسن البصري ، ق ٣٧ قسيمة ١٠ ، محل رقم ٣

تلفاكس : ٢٦٤١٧٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد.

فإن اجتماع الأمة على عقيدة واحدة، عقيدة أهل السنة والجماعة، واجب شرعي ديني، ومطلب مهم جداً وضروري، خصوصاً أن بعض الطوائف من هذه الأمة قد خالفت عقيدة أهل السنة في مسائل عدة، وأدى ذلك إلى افتراق الأمة وتفرقها، لذلك كان لا بد من محاولة جمعها على عقيدة واحدة عقيدة السلف أبي حنيفة ومالك، والشافعي وأحمد،

الذين صاروا هم الأئمة المتبوعين أصحاب المذاهب المنتشرة في الآفاق، والذين ينتمي إليهم عدد من الطوائف المنحرفة عن صراط أهل الحق ولما كان هؤلاء الأئمة متفقين في جملة مسائل أصول الدين ـ وإن اختلفوا في بعض الفروع والأحكام جمعت هذا الكتاب لأثبت أنهم على عقيدة واحدة، وحرصت على أن أبين عقيدة كل منهم على حدة مع شرح أحد المتون في العقيدة على مذهبه، وقسمت الكتاب إلى أربعة أبواب:

الباب الأول: العقيدة على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله (ت١٥٠هـ)

وفيه أربعة فصول:

الأول: عقيدة الإمام أبي حنيفة من كتبه وأقواله مع شرح ميسر لها.

الثاني: شرح كتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة.

الثالث: شرح كتاب الفقه الأبسط المنسوب لأبي حنيفة.

الرابع: شرح العقيدة الطحاوية الميسر.

الباب الثاني: العقيدة على مذهب الإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)

وفيه فصلان:

الأول: عقيدة الإمام مالك من كتبه وأقواله مع شرح ميسر لها.

الثاني: شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني الميسر.

الباب الثالث: العقيدة على مذهب الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ)

وفيه فصلان:

الأول: عقيدة الإمام الشافعي من كتبه وأقواله مع شرح ميسر لها.

الثاني: شرح كتاب الإيمان للمليباري الشافعي.

الباب الرابع: العقيدة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)

وفيه خمسة فصول:

١ ــ عقيدة الإمام أحمد من كتبه وأقواله.

٢ ــ شرح القواعد الأربع.

٣ ــ شرح رسالة في معنى التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي.

٤ ــ شرح رسالة في الطاغوت للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي.

٥ ــ شرح كتاب كشف الشبهات في التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي.

هذا والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

بقلم: د. محمد عبدالرحمن الخميس

الباب الأول: العقيدة على مذهب الإمام أبي حنيفة

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: عقيدة الإمام أبي حنيفة مع شرح ميسر لها
الفصل الثاني: شرح كتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة
الفصل الثالث: شرح العقيدة الطحاوية الميسر
الفصل الرابع: شرح كتاب الفقه الأبسط المنسوب لأبي حنيفة

الفصل الأول:

عقيدة الإمام أبي حنيفة
النعمان بن ثابت الكوفي
رحمه الله تعالى (٨٠-١٥٠هـ)

الدكتور محمد بن عبدالرحمن الخُمَيِّس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فهذه مقتطفات ونقول من كلام الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى توضح عقيدته في التوحيد والصفات والقدر، والإيمان، والصحابة،

وموقفه من المتكلمين، ومن علم الكلام، إلى جانب ما يوضح نهيه عن بعض وسائل الشرك وتحذيره منها، وكذلك بعض صور الشرك الواقعة التي حذر منها هو وأتباعه.

وقد علقت على بعضها بما رأيته يتمم الفائدة، وجعلت لكل فصل خلاصة، أتبعتها بأسئلة للمناقشة لتحريك القارىء وزيادة الفائدة، والله أسأل القبول والسداد وهو حسبي ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

المبحث الأول

عقيدة الإمام أبي حنيفة في التوحيد(*)

أولاً: عقيدته في توحيد الله وبيان التوسل الشرعي وإبطال التوسل البدعي:

إن مسألة التوسل مسألة خطيرة، وهو مما كثر فيه الابتداع والاختلاف عند الجهال وأهل الأهواء، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن من التوسل ما هو مشروع وما هو مبتدع ممنوع،

(*) يستفاد من نصوص الكتاب والسنة الواردة في شأن التوحيد أنه ثلاثة أنواع:

(١) توحيد الربوبية: أي اعتقاد أن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف في الكون والإقرار بذلك.

(٢) توحيد الألوهية: أي اعتقاد أن الله تعالى هو المستحق للعبادة دون غيره من المعبودات الباطلة، وصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه وعدم الإشراك معه فيها.

(٣) توحيد الأسماء والصفات: أي تسمية الله تعالى ووصفه بما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء الحسنى والصفات العلى، مع اعتقاد دلالتها على كل معاني الكمال اللائقة بالله، وإثبات حقيقة معانيها مع التقسيمات مثل قوله: (لا وصف الله تعالى بصفات المخلوقين). وقوله: «لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه».

وقوله: (والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء).. إلخ ما ورد عنه من النصوص في هذا الباب، والتي سيأتي سياق الكثير منها. وفيها رد على من جعل هذا التقسيم تقسيما محدثا وأنه إنما أحدثه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

فالمشروع من التوسل ثلاثة أنواع:

١ ـ التوسل بأسماء الله وصفاته، لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾. [الأعراف: ١٨٠].

٢ ـ التوسل بالعمل الصالح والدعاء به، كما ورد في قصة أصحاب الغار الثلاثة.

٣ ـ التوسل بدعاء الرجل الصالح، لفعل هؤلاء الذين كانوا يأتون النبي ﷺ فيسألونه الدعاء لهم.

وما سوى ذلك من التوسل فإنه مبتدع ممنوع.

والإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: كان شديد الاحتياط في هذا الباب، حتى إنه كان يكره التوسل بالألفاظ التي تحتمل معاني سليمة ومعاني فاسدة وكان ينهى عنها، ومن ذلك: «وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك». إلى غير ذلك مما يأتي بيانه من نصوصه رحمه الله في الباب بينما نرى أن الكثير من الناس قد انحرفوا فصاروا يأتون المبتدع والفاسد من أبواب التوسل، وينعتون من نهاهم عن ذلك وخالفهم بأنه لا يحب الأولياء والأنبياء، فالله المستعان.

(١) قال أبو حنيفة رحمه الله في شأن التوسل الشرعي الجائر والنهي عن التوسل البدعي: (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[1] [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) الدر المختار مع حاشية رد المحتار (٣٩٦/٦، ٣٩٧).

(٢) قال أبو حنيفة: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام)[١].

(٣) وقال أبو حنيفة: (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك[٢]، أو بحق خلقك)[٣].

ثانيا: قوله في إثبات الصفات والرد على الجهمية:

(٤) وقال: (لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السُّنَّة والجماعة[٤] وهو يغضب ويرضى ولا يقال: غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، ونصفه كما وصف نفسه: أحدٌ صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٤، وإتحاف السادة المتقين ٢/٢٨٥، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص١٩٨.

(٢) كره الإمام أبو حنيفة ومحمد بن الحسن أن يقول الرجل في دعائه: «اللهم إني أسألك بمعقد العزّ من عرشك» لعدم وجود النص في الإذن به، وأما أبو يوسف فقد جوّزه لوقوفه على نص من السُّنَّة، وفيه أن النبي ﷺ، كان من دعائه: «اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك».. وهذا الحديث أخرجه البيهقي في كتاب الدعوات الكبيرة كما في البناية ٣٨٢/٩، ونصب الراية (٢٧٢/٤)، وفي إسناده ثلاثة أمور قادحة:
١ ـ عدم سماع داود بن أبي عاصم لابن مسعود.
٢ ـ عبدالملك بن جريج مدلس ويرسل
٣ ـ عمر بن هارون متهم بالكذب من أجل ذلك قال ابن الجوزي كما في البناية (٣٨٢/٩): (هذا حديث موضوع بلا شك وإسناده محبط كما ترى).

(٣) انظر تهذيب التهذيب (١٨٩/٣)، (٤٠٥/٦)، (٥٠١/٧).

(٤) نلاحظ أن الإمام رحمه الله استعمل مصطلح أهل السنة والجماعة، وهذا دليل على أن هذا الاصطلاح كان معروفاً في العصور المتقدمة، لأن أبا حنيفة رحمه الله ولد سنة (٨٠هـ) وتوفي سنة (١٥٠هـ) وذلك لأن أكثر فرق الضلال في مسائل أصول الدين قد ظهرت في أواخر عهد الصحابة وكثرت في عهد التابعين ومن بعدهم من السلف، من هنا ظهرت الحاجة للتمايز بين أتباع السنة المطهرة، وبين أهل الأهواء فظهرت تلك التسمية لتميز أهل السنة من أهل البدع.

حيٌّ قادر سميع بصير عالم، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه ووجهه ليس كوجوه خلقه)[١].

(٥) وقال: (وله يد ووجه ونفس، كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال)[٢].

(٦) وقال: (لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه برأيه شيئاً تبارك الله وتعالى رب العالمين)[٣].

(٧) ولما سئل عن النزول الإلهي قال: (ينزل بلا كيف)[٤].

(٨) وقال أبو حنيفة: (والله تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء)[٥].

(٩) وقال: (وهو يغضب ويرضى ولايقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه)[٦].

---

(١) الفقه الأبسط ص٥٦.
(٢) الفقه الأكبر ص١٠٢.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٢٧)، تحقيق د. التركي، وجلاء العينين ص٣٦٨.
(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٤٢، ط دار السلفية، الأسماء والصفات للبيهقي ص٤٥٦، وسكت عليه الكوثري، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٤٥، تخريج الألباني، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص٦٠.
(٥) الفقه الأبسط ص ٥١.
(٦) الفقه الأبسط ص ٥٦، وسكت عليه محقق الكتاب الكوثري.

(١٠) وقال: ولا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولايشبه من خلقه لم يزل ولايزال بأسمائه وصفاته)[١].

(١١) وقال: (وصفاته بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلم لا ككلامنا)[٢].

(١٢) وقال: (لايوصف الله تعالى بصفات المخلوقين)[٣].

(١٣) وقال: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر[٤] وهذا كما ورد عن الإمام نعيم بن حماد رحمه الله تعالى: (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى عن الله ما وصف به نفسه فقد كفر...) وهذا هو قول السلف قاطبة.

(١٤) وقال: (وصفاته الذاتية والفعلية، إما الذاتية: فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة، وأما الفعلية: فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل لم يزل ولايزال بأسمائه وصفاته)[٥].

(١٥) وقال: (ولم يزل فاعلاً بفعله والفعل صفة في (الأزل)[٦]

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠١.
(٢) الفقه الأكبر ٣٠٢.
(٣) الفقه الأبسط ص ٥٦.
(٤) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني ص ٢٥.
(٥) الفقه الأكبر ٣٠١.
(٦) الأزل: القِدَم بلا بداية.

والفاعل هو الله تعالى والفعل صفة في الأزل والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق)(١).

(١٦) وقال: (من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري: العرشُ أفي السماء أم في الأرض)(٢).

(١٧) وقال للمرأة التي سألته أين إلهك الذي تعبده قال: (إن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] قال: هو كما تكتب للرجل إني معك وأنت غائب عنه)(٣).

(١٨) وقال كذلك: (يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه)(٤).

(١٩) وقال: (إن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] قال: هو كما تكتب لرجل إني معك وأنت غائب عنه)(٥).

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠١.

(٢) الفقه الأبسط ص ٤٦، ونقل نحو هذا اللفظ شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٤٨/٥)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٣٩، والذهبي في العلو ص ١٠١، ١٠٢، وابن قدامة في العلو ص ١١٦، وابن أبي العزّ في شرح الطحاوية ص ٣٠١، ويلاحظ من هذا النص أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله قد كفّر من لم ير إثبات صفة العلو بكل أنواعها لله تعالى من علو الذات والشأن والقهر، فكيف بهذا الزمان الذي كثر فيه القائلون بأنه تعالى في كل مكان، أو بأنه تعالى ليس له جهة، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ـ إلخ هذا الهراء.

(٣) الأسماء والصفات ص ٤٢٩.

(٤) الفقه الأبسط ص ٥٦.

(٥) الأسماء والصفات (١٧٠/٢).

(٢٠) وقال: (قد كان متكلماً ولم يكن كلم موسى عليه السلام)[١].

(٢١) وقال: (ومتكلماً بكلامه والكلام صفة في الأزل)[٢].

(٢٢) وقال: (ويتكلم لا ككلامنا)[٣].

(٢٣) وقال: (وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤] وقد كان الله تعالى متكلماً ولم يكن كلم موسى عليه السلام)[٤].

(٢٤) وقال: (والقرآن كلام الله في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ، أنزل)[٥].

(٢٥) وقال (والقرآن غير مخلوق)[٦].

الخلاصة:

١ ـ كره الإمام أبو حنيفة لله تعالى التوسل بالألفاظ التي لم يرد بها نص صحيح.

٢ ـ أثبت الإمام أبو حنيفة الله تعالى كل الأسماء والصفات الحسنى الثابتة له سبحانه على الوجه اللائق به سبحانه، مع تنزيهه عز وجل عن المشابهة لخلقه أو مشابهة خلقه له.

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.
(٢) الفقه الأكبر ص ٣٠١.
(٣) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.
(٤) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.
(٥) الفقه الأكبر ص ٣٠١.
(٦) الفقه الأكبر ص ٣٠١.

٣ ـ ذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى تكفير منكر صفة العلو لله تعالى.
٤ ـ يؤمن الإمام أبو حنيفة بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق.
٥ ـ ورد ذكر أقسام التوحيد الثلاثة في كلام أبي حنيفة رحمه الله تعالى وهي: توحيد الألوهية ـ الربوبية ـ الأسماء والصفات.

المناقشة:

س١ ـ ماهي أنواع التوسل الجائز؟ اذكر دليلاً واحداً لكل منها.
س٢ ـ ما موقف الإمام أبي حنيفة رحمه الله من الألفاظ التي يتوسل بها الناس؟
س٣ ـ تكلم بإيجاز عن عقيدة أبي حنيفة في الأسماء والصفات الإلهية؟
س٤ ـ ماهي عقيدة أبي حنيفة رحمه الله في القرآن؟
س٥ ـ اذكر نصاً عن أبي حنيفة رحمه الله يوضح حكمه فيمن نفى صفة العلو عن الله تعالى؟
س٦ ـ ما المقصود بمصطلح: أهل السنة والجماعة ومتى ظهر؟
س٧ ـ ماهي أنواع التوحيد؟ وما موقف أبي حنيفة من هذه التقسيمات؟!

المبحث الثاني

عقيدة الإمام أبي حنيفة
في القدر وإثبات مراتبه

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن للإيمان بالقدر أربع مراتب لايتم إلا بها كلها:

١ ــ الإيمان بالعلم الإلهي السابق.
٢ ــ الإيمان بالكتابة لكل كائن، وذلك أزلاً في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض.
٣ ــ الإيمان بالإرادة الإلهية الشاملة لكل مخلوق، ولأفعال العباد وغيرها.
٤ ــ الإيمان بالخلق: فكل شيء كائن وموجود فالله تعالى هو الذي خلقه. وسيأتي في كلام الإمام رحمه الله مايشير إلى كل من هذه المراتب على حدة.

(١) جاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة يجادله في القدر فقال: له (أما علمت أن الناظر في القدر كالناظر في عيني الشمس كلما ازداد نظراً ازداد تحيراً)[١].

(١) قلائد عقود العقيان (ق ـ ٧٧ ـ ب).

ومقصوده رحمه الله بذلك هو التحذير من الخوض في المغيبات ومحاولة الفحص فيها وليس مقصوده إثبات مراتب القدر السابق ذكرها.

(٢) يقول الإمام أبو حنيفة: (وكان الله تعالى عالماً في الأزل بالأشياء قبل كونها)[١].

(٣) وقال: (يعلم الله تعالى المعدوم في حالة عدمه معدوماً، ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجوداً ويعلم كيف يكون فناؤه)[٢].

(٤) يقول الإمام أبو حنيفة: (وقدره في اللوح المحفوظ)[٣].

(٥) وقال: (ونقر بأن الله تعالى أمر بالقلم أن يكتب فقال القلم: ماذا أكتب يارب؟ فقال الله تعالى: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣])[٤].

(٦) وقال الإمام أبو حنيفة: «ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته)[٥].

(٧) ويقول الإمام أبو حنيفة: (خلق الله الأشياء لا من شيء)[٦].

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠٢، ٣٠٣.
(٢) الفقه الأكبر ص ٣٠٢ ، ٣٠٣.
(٣) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.
(٤) الوصية مع شرحها ص ٢١.
(٥) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.
(٦) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.

(٨) وقال: (وكان الله تعالى خالقاً قبل أن يخلق)[١].

(٩) وقال: (ونقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، فلما كان الفاعل مخلوقاً فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة)[٢].

(١٠) وقال: (جمع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم والله تعالى خلقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره)[٣].

(١١) قال الإمام أبو حنيفة: (وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خلقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضاه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره)[٤].

(١٢) وقال: (خلق الله تعالى الخلق سليماً من الكفر والإيمان[٥] ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى ونصرته له)[٦].

(١٣) وقال: (وأخرج ذرية آدم من صلبه على صور الذر، فجعلهم عقلاء فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر، فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيماناً فهم يولدون على تلك الفطرة، ومن كفر

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠٤.
(٢) الوصية مع شرحها ص ١٤.
(٣) الفقه الأكبر ص ٣٠٣.
(٤) الفقه الأكبر ص ٣٠٣.
(٥) الصواب: خلق الله تعالى الخلق على فطرة الإسلام كما سيبينه أبو حنيفة في قوله الآتي.
(٦) الفقه الأكبر ص ٣٠٢، ٣٠٣.

كفر بعد ذلك فقد بدّل وغيّر، ومن آمن وصدّق فقد ثبت عليه وداوم)(١).

(١٤) وقال: (وهو الذي قدّر الأشياء وقضاها ولايكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ)(٢).

(١٥) وقال: (لم يجبر أحداً من خلقه على الكفر ولا على الإيمان، ولكن خلقهم أشخاصاً والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم تعالى من يكفر في حال كفره كافراً، فإذا آمن بعد ذلك فإذا عَلِمه مؤمناً أحبه من غير أن يتغيّر علمه)(٣).

---

(١) الفقه الأكبر ٣٠٢.

(٢) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.

(٣) الفقه الأكبر ص ٣٠٣.

المبحث الثالث

عقيدة الإمام أبي حنيفة في الإيمان

لقد دلت دلائل الكتاب والسنة على أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، وأنه يزيد وينقص، وهذا ما ذهب إليه جماهير السلف رحمهم الله تعالى، ولكن هذه المسألة هي التي اختلف فيها أبو حنيفة رحمه الله مع باقي السلف حيث وردت عن نصوص تخالف ذلك فمنها أنه:

(١) قال: (والإيمان هو الإقرار والتصديق)[١].

(٢) وقال: (الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان والإقرار وحده لا يكون إيماناً)[٢]. ونقله الطحاوي عن أبي حنيفة وصاحبيه[٣].

(٣) وقال أبو حنيفة: (والإيمان لا يزيد ولا ينقص)[٤].

قلت: «قوله في عدم زيادة الإيمان ونقصانه وقوله في مسمى الإيمان وأنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وأن العمل خارج عن حقيقة الإيمان».

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٤.

(٢) كتاب الوصية مع شرحها ص٢.

(٣) الطحاوية مع شرحها ص٣٦٠.

(٤) كتاب الوصية مع شرحها ص٣.

قوله هذا هو الفارق بين عقيدة الإمام أبي حنيفة في الإيمان وبين عقيدة سائر أئمة الإسلام مالك والشافعي وأحمد وإسحاق والبخاري وغيرهم والحق معهم، وقول أبي حنيفة مجانب[١] للصواب وهو مأجور في الحالين، وقد ذكر ابن عبدالبر وابن أبي العز ما يشعر أن أبا حنيفة رجع عن قوله والله أعلم[٢].

الخلاصة:

١ ـ يرى أبو حنيفة رحمه الله أن الإيمان هو الإقرار والتصديق فقط وأنه لا يزيد ولا ينقص.

٢ ـ يختلف جماهير السلف مع أبي حنيفة رحمه الله في هذا الباب.

المناقشة:

س١ ـ ما هو قول أبي حنيفة رحمه الله في الإيمان؟

س٢ ـ هل يتفق قوله مع قول الأئمة الباقية أم لا؟

---

(١) مجانب: مباعد ومفارق.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٩/٢٤٧، شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٥.

المبحث الرابع

عقيدة الإمام أبي حنيفة في الصحابة

حرص أهل العلم رحمهم الله على ذكر القول في الصحابة ضمن أصولهم، وذلك لما أظهر أهل البدع والأهواء الطعن والقدح في أصحاب رسول الله ﷺ، كلهم أو بعضهم، ومن أهل العلم هؤلاء أبو حنيفة رحمه الله كما ترى في نصوصه الآتية:

(١) قال الإمام أبو حنيفة: (ولا نذكر أحداً من صحابة الرسول إلا بخير)[١].

(٢) وقال: (ولا نتبرأ من أحد من أصحاب الرسول ﷺ، ولا نوالي أحداً دون أحد)[٢].

(٣) ويقول: (مقام أحدهم مع رسول الله ﷺ، ساعة واحدة خير من عمل أحدنا جميع عمره وإن طال)[٣].

(٤) وقال: (ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ: أبو

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٤.

(٢) الفقه الأبسط ص٤٠.

(٣) مناقب أبي حنيفة للمكي ص٧٦.

بكـر الصـديق، ثم عمـر، ثم عثـمان، ثم عـلي، رضـوان الله عليهم أجمعين)[١].

(٥) وقال: (أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكـر، وعمر، وعثـمان وعلي، ثم نكف عن جميـع أصحاب رسـول الله ﷺ إلا بـذكـر جميل)[٢].

الخلاصة:

١ ـ ويرى الإمام أبو حنيفة وجوب تولي جميع الصحابة ومحبتهم.
٢ ـ يفضل أبو حنيفة الخلفاء الـراشدين عـلى باقي الصحـابة وأفضليتهم حسب ترتيبهم في الخلافة.
٣ ـ يرى أبو حنيفة وجوب الكف عن الصحابة وعدم ذكرهم إلا بخير.

المناقشة:

س١ ـ ما هو موقف أبي حنيفة رحمه الله من الصحابة؟
س٢ ـ من أفضل الصحابة عند الإمام أبي حنيفة؟

(١) الوصية مع شرحها ص١٤.
(٢) كما في النور اللامع (ق١١٩ ـ ب) عنه.

المبحث الخامس

نهيه عن الأهواء والخصومات والابتداع في الدين(*)

نهى أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن مجالسة أهل الكلام وأهل الأهواء، والاستماع إليهم ونهى عن الاشتغال بعلم الكلام لما له من الضرر، وكثر نهيه عن ذلك، ووردت عنه في ذم الكلام وأهله آثار كثيرة، كما سيرى القارىء فيما يلي:

(١) قال الإمام أبو حنيفة: (أصحاب الأهواء في البصرة كثير، ودخلتها عشرين مرة ونيفاً وربما أقمت بها سنة أو أكثر أو أقل ظاناً أن عِلْم الكلم أجلّ العلوم)[١].

(٢) وقال: (كنت أنظر في الكلام حتى بلغت مبلغاً يشار إليَّ فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان فجاءتني امرأة فقالت: رجل له امرأة أمة أراد أن يطلقها للسنة كم يطلقها؟

(*) أهل الأهواء: هم الذين اتبعوا أهواءهم من تلك الفرق الضالة في أبواب الصفات والقدر والإيمان وغيرها، والابتداع: الإحداث في الدين بغير ما أذن به الله وشرعه وبغير أصل ثابت في شريعة الله تعالى.

(١) مناقب أبي حنيفة للكردي ص١٣٧.

فلم أدر ما أقول فأمرتها أن تسأل حماداً ثم ترجع فتخبرني فسألت حماداً فقال: يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقة ثم يتركها حتى تحيض حيضتين فإذا اغتسلت فقد حلّت للأزواج، فرجعت فأخبرتني فقلت: لا حاجة لي في الكلام وأخذت نعلي فجلست إلى حماد)[١].

(٣) وقال: (لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا ينفعهم في الكلام)[٢].

وسأله رجل وقال: (ما تقول فيما أحدثه الناس في الكلام في الأعراض والأجسام، فقال: (مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريق السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة)[٣].

(٤) قال حماد ابن أبي حنيفة: (دخل عليّ أبي - رحمه الله - يوماً وعندي جماعة من أصحاب الكلام ونحن نتناظر في باب، قد علت أصواتنا فلما سمعت حسَّه في الدار خرجت إليه فقال لي يا حماد من عندك؟ قلت: فلان وفلان وفلان، سمَّيتُ من كان عندي، قال: وفيم أنتم؟.. قلت: في باب كذا وكذا، فقال لي: يا حماد دع الكلام - قال: ولم أعهد أبي صاحب تخليط ولا ممن يأمر بالشيء ثم ينهي عنه. فقلت له: يا أبت ألست كنت تأمرني به، قال: بلى يا بني وأنا اليوم أنهاك عنه، قلت: ولِمَ ذاك، فقال: يا بني إن هؤلاء المختلفين في أبواب

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٣٣٣.
(٢) ذم الكلام للهروي ص٢٨ -٣١. ولعنه رحمه الله لعمرو بن عبيد للدلالة على خطورة بدعته التي فتح بابها، وإلا فإنه لا يجوز لعن المسلم.
(٣) ذم الكلام للهروي (١٩٤/ب).

من الكلام ممن ترى كانوا على قول واحد ودين واحد حتى نزغ الشيطان بينهم فألقى بينهم العداوة والاختلاف فتباينوا)(١).

(٥) وقال أبو حنيفة لأبي يوسف: (إياك أن تكلم العامة في أصول الدين من الكلام فإنهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك)(٢).

هذه طائفة من أقواله ـ رحمه الله ـ وما يعتقده في مسائل أصول الدين وموقفه من الكلام والمتكلمين.

الخلاصة:

١ ـ كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى ينهى عن علم الكلام وعن الجدل والخصومات في مسائل أصول الدين.

٢ ـ شدَّد رحمه الله على أهل الكلام لما فتحوه من الشر حتى إنه لعن عمرو بن عبيد.

المناقشة:

س١ ـ ما هو موقف أبي حنيفة رحمه الله من الكلام والمتكلمين؟

س٢ ـ من هم أهل الأهواء؟ وما المقصود بالابتداع في الدين؟

س٣ ـ ما السر في لعن أبي حنيفة رحمه الله لعمرو ابن عبيد؟

---

(١) مناقب أبي حنيفة للمكي ص١٨٣، ١٨٤.

(٢) مناقب أبي حنيفة للمكي ص٣٧٣.

المبحث السادس

نهيه عن الشرك ووسائله

لقد حرص الإسلام أشد الحرص على حماية جناب التوحيد الخالص لله تعالى، وعلى سدّ جميع منافذ الشرك بالله، والقضاء عليها، ولما كان الغلو في الصالحين من أهل القبور هو أول ذريعة من ذرائع الشرك وأقدمها وذلك كما حدث في قوم نوح عليه السلام، حيث كان بدء الشرك بالله تعالى عن طريق الغلو في الصالحين، كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، لهذا حرص الإسلام على إغلاق هذه الأبواب.

وهكذا اشتد علماء أهل السنة رحمهم الله تعالى في الإنكار على المغالين في أهل القبور وجدّوا في حماية جناب التوحيد، ومنهم أبو حنيفة رحمه الله تعالى، كما نرى النقول عنه، وعن أصحابه وأتباعه في هذا الباب. أولاً وسائل الشرك:

جاء عن الإمام أبي حنيفة وأتباعه بالنهي عما هو من وسائل الشرك كتجصيص القبور والبناء عليها [١]

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر: «نهى رسول الله ﷺ، عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء» ولمعرفة موقف أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع: بدائع الصنائع (١/٣٢٠)، تحفة الفقهاء (٢/٢٥٦)، المتانة ص(٢٠١)، وفتح الملهم (٢/١٢١، ١٢٢)، معارف السنن (٣/٣٠٥، ٣٠٧)، حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح ص(٣٣٥)، حاشية رد المحتار لابن عابدين (٢/٢٣٧)، الفتاوى الهندية (١/١٩٤) البحر

وتعليتها[١] والكتابة عليها[٢] واتخاذها مساجد[٣] وإسراجها[٤] واستقبالها للصلاة والدعاء[٥] واتخاذها أعياداً[٦] وشد الرحال إليها[٧].

الرائق (٢/١٩٤)، المبسوط (٢/٦٢)، حاشية مراقي الفلاح (ص٤٠٥) والإبداع ١٩٧ وزيارة القبور ص٢٩.

(١) لما ورد عنه مسلم وغيره عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ، بعثه وأمره ألا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه.

وللاستزادة في معرفة موقف أئمة الحنفية من ذلك راجع تبيين الحقائق للزيلعي (١/٢٦٤) فتح الملهم (٢/٥٠٦) وروح المعاني (١٥/٢٣٧) وفتح القدير (٢/١٤١).

(٢) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي، نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها» وللتعرف على موقف الحنفية راجع: بدائع الصنائع (١/٣٢٠) وتحفة الفقهاء (٢/٢٥٦) وتبيين الحقائق (١/٢٦٤) وحاشية مراقي الفلاح ومراقي الفلاح (٤٠٥) والإبداع ص١٩٧.

(٣) قال النبي ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا متفق عليه، وقال: «ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» أخرجه مسلم وغيره وراجع لمعرفة موقف الحنفية: تبيين الحقائق (١/٢٦٤) وروح المعاني (١٥/٢٣٧) والمرقاة في شرح المشكاة (٢/٢٢) والكواكب الدراري (١/٣١٦، ٣١٧) زيارة القبور للبرعوي ص٢٩. والمجالس الأربعة ص١٣.

(٤) في الحديث: «لعن رسول الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الكواكب الدراري (١/٣١٧) والإبداع ص١٨٩ زيارة القبور ص٢٩ والمجالس الأربعة ص١٣.

(٥) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ، قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها» وقد كره أبو حنيفة استقبال قبر النبي، ﷺ، وقت الدعاء، وانظر: التوسل والوسيلة (ص٢٩٣) وروح المعاني (٦/١٢٥) ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (١/٣١٣).

(٦) خرج أبو داود مرفوعاً: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الإبداع ص١٨٥.

(٧) وخرج أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام مسجدي هذا والمسجد الأقصى».

الخلاصة:

تكاثرت النصوص عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله وأتباعه في النهي عن كل مايفضي إلى الشرك مما يتعلق بتعظيم القبور وأهلها والغلو فيها.

المناقشة:

س١ ـ وضح موقف أبي حنيفة رحمه الله من الغلو في القبور؟

س٢ ـ ما هو مذهب أبي حنيفة من استقبال قبر النبي ﷺ عند الدعاء؟

س٣ ـ اذكر بعض مظاهر الغلو في الصالحين من أهل القبور المنتشرة في زماننا هذا؟

ثانياً: نماذج من الشرك
التي حذر منها أبو حنيفة وبعض أتباعه

مما قد يكون مدعاة للاستغراب بعد أن بينا أن المشركين من العرب لم يشركوا في أمر الربوبية بل في أمر الألوهية، أقول مما قد يستغرب القول بأن هناك الكثير من المظاهر لوجود شرك في الربوبية بين أفراد الأمة الإسلامية اليوم، غير أن هذا الاستغراب سوف يزول لاشك إن وقف القارىء على بعض هذه المظاهر التي سوف يأتي ذكرها في هذا المبحث، وقد أطيل في بعض النقول لأهميتها.

وقال محمد علاء الدين الحصكفي(١) فيمن نذر لغير الله: «واعلم أن الذي يقع للأموات من أكثر العوام وما يؤخذ من الدراهم للشمع والزيت ونحوهما إلى الأولياء الكرام تقرباً إليهم هو بالإجماع باطل وحرام»(٢).

*** قال ابن عابدين شارحاً هذا النص:**

«قوله: تقرباً، كأن يقول: ياسيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب أو الفضة أو من الطعام أو من الشمع والزيت كذا قوله: «باطل وحرام» لوجوه منها أنه:

«نذر لمخلوق والنذر لايجوز لأنه عبادة والعبادة لاتكون لمخلوق

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد الحصني المعروف بعلاء الدين الحصكفي مفتي الحنفية في دمشق من تصانيفه الدر المختار في شرح تنوير الأبصار وإفاضة الأنوار على أصول المنار توفي سنة ١٠٨٨ هـ خلاصة الأثر ٤/٦٣ ـ ٦٥ والأعلام ٦/٢٩٤.

(٢) الدر المختار مع رد المحتار ٢/٤٣٩.

ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك...»[1].

* وقال الألوسي واصفاً حال المستغيثين بغير الله وتعلقهم الشديد بالأموات حيث صرفوا لهم أنواعاً من الطاعات كالنذر وغيره: وفي قوله - تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ [الحج: ٧٣] إشارة إلى ذم الغالين في أولياء الله - تعالى - حيث يستغيثون بهم في الشدة (أي الأولياء) غافلين عن الله تعالى. وينذرون لهم النذور، والعقلاء منهم يقولون إنهم وسائلنا إلى الله تعالى - وإنما ننذر لله - عز وجل - ونجعل ثوابه للولي ولا يخفى أنهم في دعواهم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام القائلين: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. ودعواهم الثانية لابأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك[2].

* **وقال الكاندهلوي**[3]

«وأما اتخاذ المساجد عليها فلما فيه من الشبه باليهود باتخاذهم مساجد على قبور أنبيائهم وكبرائهم ولما فيه من تعظيم الميت وشبه بعبدة الأصنام».. وإما اتخاذ السرج عليها فمع ما فيه من إسراف في ماله المنهي عنه بقوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾ [الإسراء: ٢٧].

(١) رد المحتار على الدر المختار ٢/ ٤٤٩ - ٤٤٠.

(٢) روح المعاني ١٧/ ٢١٢

(٣) هو محمد يحيى بن محمد بن إسماعيل الكاندهلوي الحنفي كان أديباً وعالماً فاضلاً ذا ملكة علمية راسخة من مصنفاته الكواكب الدراري توفي سنة ١٣٣٤هـ انظر مقدمة محقق المصنف لابن أبي شيبة ١/ ٢٧. العناقيد الغالية ص ٤٧.

ففيه تشبه باليهود فإنهم كانوا يسرجون المصابيح على قبور كبرائهم وتعظيم للقبور وانشغال بما لا يعنيه...»(١).

* **وقال الألوسي الحنفي:**

«ولقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين من إشرافها وبنائها بالحجر والآجر وتعليق القناديل عليها والصلاة إليها والطواف بها واستلامها والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة إلى غير ذلك... وكل ذلك محادة لله - تعالى - ورسوله ﷺ، وإبداع دين لم يأذن به الله - عز وجل.. ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله ﷺ، في قبره عليه الصلاة والسلام، وهو أفضل قبر على وجه الأرض. والوقوف على أفعالهم في زيارتهم له، والسلام عليه الصلاة والسلام.

«فتتبع ذاك وتأمل ما هنا وما هناك والله - سبحانه وتعالى - يتولى هداك»(١).

* **وقال الإمام ولي الله الدهلوي:**

«وإذا كنت - أيها القارىء تتوقف بصحة ما يقال عن عقائد المشركين وأعمالهم فانظر إلى المخرفين في هذا العصر، لاسيما من يقطنون منهم بأطراف دار الإسلام، ماهي تصوراتهم عن «الولاية»، فرغم أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين، يرون وجود الأولياء في عصرنا هذا من المستحيلات، ويؤمون القبور والعتبات، وقد ابتلوا بأنواع من الشرك

(١) الكواكب الدراري (١/٣١٦، ٣١٧).
(١) روح المعاني (١٥/٣٢٩، ٢٤٠).

والبدع والخرافات، وتمكن منهم التحريف والتشبيه، وتغلغل في نفوسهم حتى لم تبق بحكم ما جاء في الحديث الصحيح: «لتتبعن سنن من كان قبلكم... إلخ» بلية من البلايا ولافتنة من الفتن إلا وطائفة من طوائف المسلمين ـ اسماً ـ تخوض فيها وتتعلق بها، عافانا الله ـ سبحانه ـ عن ذلك.

وبالجملة فإن رحمة الله ـ تعالى ـ اقتضت بعثة سيد الأنبياء محمد ابن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه في الجزيرة العربية، وأمره بإقامة الملة الحنيفية، ومجادلة هذه الفرق الباطلة عن طريق القرآن العظيم، وقد كان الاستدلال في مجادلتهم بالمسلمات التي هي من بقايا الملة الإبراهيمية، ليتحقق الإلزام ويقع الإفحام»[١]، وقال في البدور البازغة: صدق رسول الله ﷺ، حيث قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب اتبعتموهم قالوا يا رسول الله: اليهود والنصارى قال: فمن»[٢].

ألا ترى أن مشركي مكة كانوا يذعنون بانصرام[٣] سلسلة الوجود إلى الله كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وما أغناهم ذلك عن الإشراك بالله ـ تعالى ـ وربما قرع سمعك فيبقى يسرد من الأخبار أن العلم سيرفع بين يدي القيامة فيتمارى رجلان، يقول أحدهما: إياك ستين ويقول الآخر: إياك

---

(١) الفوز الكبير ص ٢٦ وانظر الطبعة القديمة ص ٢٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب ماذكر عن إسرائيل (٦/٤٩٤)، (٣٤٥٦) كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى ومسلم (٤/٢٠٥٤) ح(٢٦٦٩) كلاهما من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

(٣) انصرام: انتهاء.

سبعين فيرفعان القضية إلى أعلمهم. فيقول: إياك تسعين وأقسم بالذي نفسي بيده إنه قد وقع في آيات آخر، فلست أرى أحداً إلا وفيه الإشراك كما قال ـ عز وجل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] وكفّر الله ـ تعالى سبحانه ـ مشركي مكة لقولهم لرجل سخي كان يلت السويق للحجاج أنه نصب منصب الألوهية فجعلوا يستعينون به عند الشدائد.

ولقد علمنا الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأيمن التحيات فيما أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم أنه قال: سمعته يعني رسول الله ﷺ، يقرأ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] قال: إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»[١]. فقد علمنا أن الشرك ليس بمحصور في العبادة، بل يكون بهذا النحو ولعل رجلاً عريض القفا يقول وكيف هذا سمعنا رجلاً يقول بذلك فنقول له: اعلم أن التحريف ليس اعتياض لفظ مكان لفظ كما وقف عليه فهوم العامة، بل شأن التحريف أهول من ذلك ـ وأكثر أنواعه وجوداً أن يقلب اللفظ ظاهر مراده إلى هواه وهواجس نفسه، فقد أشار السيد عليه الصلاة والسلام إلى أنه سيوجد رجال يسمون الخمر بغير اسمها ويسمون الزنا بغير اسمه ثم يقولون ما هذا حرم الله ـ تعالى ـ في كتابه فعليكم به لابأس ـ ألست ترى أقواماً يقولون إن المسكر الذي يتخذ من العسل وما يماثله ليس بخمر ثم أحلوه، فأولئك الذين فيهم قال

---

(١) كتاب تفسير القرآن ومن سورة التوبة (٥/٢١٨) ح (٣٠٩٥) وابن جرير في (١٠/١١٤) والبيهقي في السنن (١٠/١١٦) جميعهم من طريق مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال الترمذي (حديث غريب).

رسول الله ﷺ، ما قال: وأقواماً يقولون إذا وطىء الرجل أمة ابنه فذلك حلال له، فأولئك قوم أركسوا على وجوههم وغرتهم الأماني فسوف يعلمون غداً من الكذاب الأشر، ألست ترى أقواماً يذعنون لأقوالهم ويجدون في صدورهم استحلال ما أحلوه حتى إنهم كادوا يسطون بالذين يتلون عليهم آيات الله ـ تعالى ـ ألست تراهم إذا قيل لهم دعونا من أقوال الناس فهم قد يصيبون وقد يخطئون وعليكم بالكتاب وبما حكاه الصادق المصدوق عليه السلام من أمر الله تعالى قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] [الزخرف: ٢٣] وخطأوا هذا الرأي بل عسى أن يقتلوهم إن استطاعوا، فأولئك هم المشركون حقاً ولقد اقشعر جلدي حين بلغني ما يسرد في الأساطير عن رجل اعترفوا له بالفضل أنه قال لو تجلى الله ـ سبحانه ـ يوم القيامة على غير صورة فلان ما رأيته فقد حط بالله ـ سبحانه ـ درجته عن فلان فإن صدقت الرواية، فليس بمعذور عند الله تعالى»[1].

* وقال الإمام إسماعيل الدهلوي في كتابه تقوية الإيمان وتبعه أبو الحسن الندوي في رسالة التوحيد واللفظ له: استفحال فتنة الشرك والجهالة في الناس.

أعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر، وأصبح التوحيد الخالص غريباً، ولكن معظم الناس لايعرفون معنى الشرك، ويدعون الإيمان مع أنهم قد تورطوا في الشرك وتلوثوا به، فمن المهم قبل كل شيء أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد، ويعرفوا حكمهما في القرآن والحديث.

---

(١) في المطبوعة (لمقتدون).

(١) البدور البازغة ص ١٦٧، ١٧٠.

مظاهر الشرك وأشكاله المتنوعة:

ومن المشاهد اليوم أن كثيراً من الناس يستعينون بالمشايخ والأنبياء، والأئمة[١] والشهداء، والملائكة، والجنيات عند الشدائد، ويصرخون بأسمائها، ويسألون منها قضاء الحاجات وتحقيق المطالب، وينذرون لها، ويقربون لها قرابين لتسعفهم بحاجاتهم، وتقضي مآربهم[٢]، وقد ينسبون إليها أبناءهم طمعاً في رد البلاء، فيسمي بعضهم ابنه بعبد النبي وبعضهم بعلي بخش، وحسين بخش، وبير بخش، ومدار بخش[٣]، وسالار بخش[٤] ولابأس بما نقوله في الأنبياء من الحب والتقدير، أما إذا عدلناهم بالله، واعتقدنا أنهم والله - جل

(١) يعني أئمة أهل البيت الذين غلت فيهم الشيعة، وأحاطوهم بهالات من التقديس والتعظيم ويعتقدون فيهم العصمة، والاطلاع على الغيب، ويفسرون الإمام تفسيراً يجعلها مشاركة للنبوة، بل منافسة لها في كثير من الخصائص، وقد تأثر أهل السنة بكثير من العقائد الشيعية في الهند بتأثير الحكام والأمراء، وحكم الاختلاط بهم، والجهل بالإسلام قاله معرب الكتاب أبو الحسن الندوي.

(٢) مآربهم: حاجاتهم.

(٣) هو الشيخ الكبير المعمر بديع الدين المدار الحلبي المكنبوري، أحد مشاهير الأولياء بأرض الهند، ينسبون إليه من الوقائع الغريبة ما يأباه العقل والنقل، وإليه نسب شهر من شهور السنة في التقويم المنتشر عند العامة وأهل القرى في الهند ودخل اسمه في الأمثال السائرة عند عوام الناس، وهو مؤسس الطريقة المدارية التي انحرفت في العهد الأخير، ودخل فيها الشيء الكثير من الخرافات والرياضيات البهلوانية، كانت وفاته في عاشر جمادى الأولى سنة ٨٤٤هـ. قاله أبو الحسن الندوي.

(٤) هو السيد سالار مسعود الغازي من أشهر الأعلام في الهند نسجت حوله أساطير كثيرة، وشخصيته لم يسلط عليها الضوء الكافي علميًا وتاريخيًا، ذكر ابن بطوطة في رحلته، وقال إنه فتح أكثر تلك البلاد، وله أخبار عجيبة وغزوات شهيرة، مات شهيداً سنة ٥٨٨هـ ودفن في مدينة بهرائج في الولاية الشمالية في الهند، قال في «نزهة الخواطر»: بنى على قبره ملوك الهند عمارة سامية البناء، والناس يفدون إليه من بلاد شاسعة، ويزعمون أنه كان عزباً شاباً لم يتزوج، فيزوجونه كل سنة، ويحتفلون لعرسه وينذرون له أعلاماً فينصبونها على قبره قاله أبو الحسن الندوي.

وعلا ـ بمنزلة سواء، كان ذلك شركاً، لاشك فيه، ولكننا لانقول بذلك، بل نعتقد بالعكس، إنهم خلق الله وعبيده، أما ما نعتقده فيهم من القدرة والتصرف في العالم، (فهماً)[1] مما أكرمهم الله وخصهم به، فلا يتصرفون في العالم إلا بإذن منه ورضاه، فما كان نداؤنا لهم، واستعانتنا بهم إلا نداء لله واستعانة به، ولهم عند الله دالة ومكانة ليست لغيرهم، قد أطلق أيديهم في ملكه، وحكمهم في خلقه، يفعلون ما يشاؤون، وينقضون ويبرمون، وهم شفعاؤنا عند الله، ووكلاؤنا عنده، فمن حظى عندهم، ووقع عندهم بمكان، كانت له حظوة ومنزلة عند الله، وكلما اشتدت معرفته بهم، اشتدت معرفته بالله، إلى غير ذلك من التأويلات الكاسدة، والحجج الداحضة، التي ماأنزل الله بها من سلطان.

والسر في ذلك أن القوم قد نبذوا كلام الله وحديث رسوله وراءهم، وسمحوا لعقولهم القاصرة أن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه، وتشبثوا بالأساطير والروايات الشائعة التي لاتستند إلى تاريخ ونقل صحيح، واحتجوا بتقاليد خرافية، وعادات جاهلية، وإن كانوا عولوا على كلام الله ورسوله وعنوا بتحقيقه، لعرفوا أنها نفس التأويلات، والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر النبي ﷺ ويحاجونه[1] بها، ولم يقبلها الله منهم، بل كذبهم فيها فقال في سورة

(١) هكذا في الأصل لعل الصواب (فهو).

(١) كلامه هذا بطوله يبدو فيه التناقض والاضطراب، فمرة يقول نعتقد إنهم خلق الله وعبيده، ومرة يرى أنهم أكرمهم الله تعالى بنوع من القدرة والتصرف، وأن نداءهم نداء لله، والتقرب إليهم تقرب إلى الله ثم يعود فيقول إن هذا الكلام من التأويلات الكاسرة والحجج الداحضة، وذلك دون أن يمهد بالانتقال من فقرة إلى أخرى، ودون وجود ما يشعر بأن هذا الكلام عنه أو عن غيره، فالله المستعان.

(١) يحاجونه: يجادلونه.

يونس: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: ١٨] وقد علمنا من هذه الاية أنه لا يوجد في سماء ولا أرض من يشفع لأحد، وتنفع شفاعته من استشفع به، وما شفاعة الأنبياء إلا بإذن ربهم ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فإذا ناداهم أحد، أو صرخ باسمهم، أو لم ينادهم ولم يصرخ باسمهم، فلا يتحقق إلا ما يريده الله وما يأمر به.

حقيقة شرك أهل الجاهلية وضلالهم:

وكذلك تبين أن الكفار الذين كانوا في عصر النبي ﷺ لم يكونوا يعدلون آلهتهم بالله، ويرونهم مع الله بمنزلة سواء، بل كانوا يقرون بأنهم مخلوقون لله، ولم يكونوا يعتقدون أبداً أن آلهتهم لا يقلون عن الله قدرة وقوة، وهم، والله في كفة واحدة فما كان كفرهم وشركهم إلا نداءهم لآلهتهم، والنذور التي كانوا ينذرونها لهم، والقرابين التي كانوا يقربونها بأسمائهم، واتخاذهم لهم شفعاء، ووكلاء فمن عامل أحداً بما عامل به الكفار آلهتهم، وإن كان يقر بأنه مخلوق وعبد، وكان هو وأبو جهل في الشرك بمنزلة سواء.

خلال الشرك وأعماله:

فاعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله، ويساوي بينهما، بلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال، خصها الله بذاتها العلية، وجعلها شعاراً للعبودية، أن يأتي بها

لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركاً، وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان، أو الملك، أو الجني الذي يسجد له أو يذبح، أو ينذر له، أو يستغيث به، أقل من الله شأناً، وأصغر منه مكاناً، وأن الله هو الخالق وهذا عبده وخلقه، لا فرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء، والجن والشياطين، والعفاريت، والجنيات فمن عاملها هذه المعاملة كان مشركاً، لذلك وصف الله اليهود والنصارى، الذين غلوا في أحبارهم ورهبانهم، مثلما غلا المشركون في آلهتهم بما وصف به عباد الأوثان والمشركين، وغضب على هؤلاء، الغلاة المنحرفين، كما غضب على غلاة المشركين، فقال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (التوبة: ٣١).

وقد ذكر أن جميع الخلق سواءً كانوا علماء أو عباداً، حكاماً أو ملوكاً، كلهم عبيد خاضعون، عاجزون ضعفاء، لا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا يملكون إذا بعثهم الله، وطلبهم إلا أن يقفوا أمام ربهم خاضعين مستسلمين، طائعين منقادين، يقول الله - تعالى - في سورة مريم ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم ٩٣ - ٩٥]، فظهر أنه هو المتصرف وحده، وأنه لا يملك أحداً غيره ولا يمكنه فيه، وأن الناس يأتون ربهم فرادى لا يمنع أحد آخر، وقد تضافرت الآيات على ذلك وكثرت.

ومن تأمل في آيتين أو ثلاث من الآيات الكثيرة التي سردناها،

وغيرها من الآيات التي لم يتسع المجال لذكرها، عرف الفرق بين الشرك والتوحيد، وتجلت له حقيقتهما، وقد آن الأوان لأن نذكر الخلال والأعمال التي خصصها الله بذاته العلية، ولم يأذن لغيره أن يكون له نصيب منها، وهي كثيرة يطول ذكرها، ولكن لابد أن نخص بالذكر منها ما يستطيع القارىء، الفهم الذكي أن يقيس عليها، ويميز بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

العلم المحيط الشامل من خصائص الله تعالى:

وفي مقدمة هذه الأمور، أنه من شأن الله وحده أن يكون حاضراً وناظراً في كل مكان، يعلم ما دَقَّ وجَلَّ، وبَعُدَ أو دَنَا، أو خَفِيَ أوْ ظَهَرَ، لا تخفى عليه خافية في أي وقت، لا فرق في ذلك بين نور وظلمة، وبين سماوات وأراضين، وبين قمم الجبال، وأغوار البحار، هذا العلم المحيط الشامل لكل زمان ومكان، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، صفة خاصة بالله ـ تعالى ـ لا يشاركه فيها أحد، فمن كان يلهج باسم أحد من الخلق، ويناديه قائماً وقاعداً، وعن قرب وبعد، ويستصرخه ويستغيث به عند نزول البلاء، ودفع الأعداء، ويختم ختمة باسمه، أو يراقبه ويركز فكره عليه، ويصرف همته إليه، متمثلاً صورته كأنه يشاهده، ويعتقد أنه إذا ذكر اسمه باللسان أو القلب، أو تمثل صورته، أو قبره، واستحضرهما، علم بذلك وعرفه، وأنه لا يخفى عليه من أمره شيء، وأنه مطلع على ما ينتابه من مرض وصحة، وعسر ويسر، وموت وحياة وحزن وسرور، ولا يتفوه بشيء من كلام، وتنطق به شفتاه، ولا يساوره هم من الهموم، ولا يجول بخاطره معنى، إلا وعلم ذلك، واطلع عليه، كان بذلك مشركاً ، وكل ذلك يدخل في الشرك.

ويسمى هذا النوع «الإشراك في العلم» وهو إثبات صفة العلم المحيط لغير الله، وإن كان هذا الإثبات لنبي أو ولي، أو شيخ أو شهيد، أو إمام[1] أو سليل إمام، أو عفريت أو جنية، سواء اعتقد أنه يعلم من ذاته، أو يعلم أنه منحة من الله، وعطاء منه، وقد استقل بهذا العلم، وأصبح له صفة لا تنفك عنه كل ذلك شرك.

(١) يعني أئمة أهل البيت قاله معرب الكتاب: الشيخ أبو الحسن الندوي.

التصرف المطلق بالإرادة والقدرة لكماله من خصائص الله تعالى

والشيء الثاني يجب أن يعتقد الإنسان، أن التصرف في العلم بالإرادة، وإصدار الأمر والنهي، والإماتة والإحياء كما يشاء، والبسط والقبض في الرزق، والإفاضة بالصحة والمرض، والفتح والهزيمة، وتسخير القضاء والقدر لإنسان، يكون النصر دائماً حليفه، ويكون محظوظاً لا تزال أموره في إقبال أو بالعكس فتدبر عنه الدنيا، ويلج به الخذلان، وإنجاح المطالب وتحقيق الأماني، ودفع البلايا، والإغاثة في الشدائد، وإلهاف الملهوف، وإنهاض العاثر، هذه كلها من خصائص الله - تعالى - لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء والأولياء، والشهداء والصلحاء، والعفاريت والجنيات، فمن أثبت هذا التصرف المطلق لأحد منهم، وطلب منه حاجاته، وقرب القرابين والنذر لأجل ذلك، أو استصرخه في نازلة، كان مشركاً، ويقال لهذا النوع «الإشراك في التصرف» سواء اعتقد أنهم يقدرون على ذلك بأنفسهم، أو يعتقد أن الله - سبحانه وتعالى وهبهم هذه القدرة، وخلع عليهم هذه الكرامة.

أعمال العبادة وشعائرها، خاصة بالله تعالى:

والشيء الثالث أن الله - سبحانه وتعالى - خص أعمال التعظيم لنفسه، وهي التي تسمى «عبادة» كالسجود والركوع، والوقوف بخشوع وتواضع (مثلاً يضع يده اليمنى على اليسرى)[1] وإنفاق المال باسم من

(١) كما كان يقف السيد بين يدي سادتهم في مجلس الملوك في بلاد العجم. قاله معرب الكتاب أبو الحسن الندوي.

قلت: ومن هذا القبيل ما نرى كثيراً في القبورية الجهلة في مسجد رسول الله ﷺ، يضع أحدهم يده اليمنى على اليسرى قائماً بأتم خشوع وخضوع متوجهاً إلى القبر الشريف ويخشعون أكثر من خشوعهم لله في الصلاة.

يعتقد فيه الصلاح أو العظمة، والصوم له، وقصد بيته من أنحاء بعيدة، وشد الرحل إليه بوجه يعرف كل من رآه أنه يؤم بيته حاجاً زائراً، والهتاف باسمه في الطريق كالتلبية، والتجنب من الرفث والفسوق، والقنص وصيد الحيوانات، ويمضي بهذه الآداب والقيود، ويطوف بالبيت، ويسجد له، ويسوق الهدي إليه وينذر النذور هناك، ويكسو ذلك البيت، كما تكسى الكعبة، والوقوف على عتبته، والإقبال على الدعاء والاستغاثة، والسؤال لتحقيق مطالب الدنيا والآخرة، وبلوغ الأماني، وتقبيل حجر من أحجار هذا البيت والالتزام بجداره، والتمسك بأستاره، وإنارة السرج والمصابيح حوله تعظيماً وتعبداً، والاشتغال بذاته، والقيام بجميع الأعمال التي يقوم بها السدنة من كنس وإنارة، وفرش وسقاية وتهيئة أسباب الوضوء والغسل، وشرب ماء بشره تبركاً، وصبه على الجسم، وتوزيعه على الناس، وحمله إلى من لم يحضر، والمشي مدبراً عند العودة، حتى لا يولي البيت دبره، واحترام الغابة التي تحيط به، والتأدب معها، فلا يقتل صيدها، ولا يعضد شجرها، ولا يختلى خلاها، ولا يرعى ماشية في حماها.

كل هذه الأعمال علمها رب العالمين عباده، وأفردها لنفسه، فمن أتى بها لشيخ طريقة، أو نبي، أو جني، أو لقبر محقق، أو مزور، أو لنصب أم لمكان عبادة، عكف فيها أحد الصالحين على العبادة والذكر والرياضة، أو لبيت، أو لأثر من آثار أحد الصالحين، يتبرك به، أو شعار يعرف به، أو يسجد لتابوت أو يركع له، أو يصوم باسمه[1] أو

(١) يظهر أن بدعة الصوم بأسماء الصالحين والصالحات من الأمة، قد ظهرت في العصر القديم في الهند، وقد يكون الصوم لشخصيات خيالية لا وجود لها، ولهذا الصوم أحكام وآداب في النية والإفطار، وأيام محدودة، ويطلب منه قضاء الحاجات من أولئك الذين يصام باسمهم، والاستعانة بهم، وقد شنع على ذلك الإمام الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (المتوفى

يقف أمامه خاشعاً متواضعاً، واضعاً، إحدى يديه على الأخرى، أو يقرب له حيواناً، أو يؤم بيتاً من هذه البيوت من بعيد، فيشد إليه الرحل، أو يوقد السرج فيه تعظيماً وتعبداً، أو يكسوه بكسوة (كما تكسى الكعبة) أو يضع على ضريح ستوراً[1]، أو يغرز علماً، أو عوداً باسمه[1] وإذا رجع رجع على أعقابه، أو يقبل القبر، أو يحرك المراوح عليه، ليذب الذباب، كما يفعل الخدم مع أسيادهم الأحياء، أو ينصب عليه سرادقاً، أو يقبل عتبته، ويضع اليمنى على اليسرى، ويتضرع إليه، أو يجلس على ضريح سادناً وقيِّماً، ويتأدب مع ما يحيط به من أشار وآجام، وأعشاب، فلا يتعرض لها بإهانة أو إزالة، إلى غير ذلك من الأعمال والالتزامات، فقد تحقق عليه الشرك، ويسمى «إشراكاً في العبادة» سواءً اعتقد أن هذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها، وأنها جديرة بذلك، أو اعتقد أن رضا الله في تعظيم هذه الأشياء، وأن الله يفرج الكرب ببركة هذا التعظيم.

١٠٣٤هـ) في رسالة له إلى إحدى الصالحات من أتباعه، وعده إشراكاً في العبادة، (رسالة رقم ٤١/٣) رسائل الإمام أحمد بن عبد الأحد)، قاله أبو الحسن الندوي.

(١) اعتاد الغلاة في تعظيم الأموات والقبور أن يكسوا ضرائح الأولياء والصالحين بالستور والثياب، ويعاملونها معاملة الأحياء، من المشايخ والعظماء، قاله أبو الحسن الندوي وقد ظهرت هذه البدعة في بعض البلاد العربية، يقول الشيخ علي محفوظ الحنفي في كتابه «الإبداع في مضار الابتداع»: «ولكن خدمة الأضرحة سولها لهم الشيطان، ذلك ليفتح لهم باباً من الأرزاق الخبيث، فتراهم إذا احتاجوا لتجديد ثوب التابوت لكل عام، أو إذ بلى، يوهمون العوام أن بها من البركة ما لا يحاط به، وإنها نافعة في الشفاء» من الأمراض، ودفع الحساد وجلب الأرزاق والسلامة من كل المكاره، والأمن عن جميع المخاوف، فتهافت عليها البسطاء، وهان عليهم بذل الأموال في الحصول على اليسير منها، (الإبداع ص ٩٦، ٩٧).

(١) وهي من عادات الغلاة والجهال في الهند قاله أبو الحسن الندوي.

علامات التعظيم الدال على العبودية والاستكانة، خاصة بالله تعالى:

الرابع: أن الله علم عباده طرقاً يستقيم بها إيمانهم، وتنزل البركة في حياتهم الدنيا، وتتحقق بها مطالبهم، منها النذر لله في الشدة، ونزول البلاء، والنداء باسمه عند كربة وضيق، وافتتاح كل عمل باسمه، والذبح له حين يرزقون ولداً شكراً لله ـ تعالى - وتسميتهم بأسماء يتجلى فيها التوحيد والعبودية، كعبدالله، وعبد الرحمن، وهبة الله، وجاد المولى، وعطاء الله، وأمة الله، وعطية الرحمن[1]، وتخصيص جزء من حواصل المزارع وثمار البساتين باسم الله - تعالى - وتخصيص جزء من المال، والماشية ونذره لله - تعالى - وتعظيم الهدي والقلائد لبيت الله، وامتثال أوامره، والانتهاء عن نواهيه في المأكل، والمشرب، والملبس واعتقاد أن كل ما يصيبه من خير وشر، ومجاعة، ورخص وغلاء وصحة وسقم، وفتح وعزيمة، وسعد وشقاء، ومساعدة الحظ وتخلقه، وحزن وفرح، كله في قبضته، والإحالة إلى مشيئته قبل ذكر إرادته، فيقول سأعمل كذا إذا شاء الله، وتعظيم اسمه تعظيماً تتجلى فيه قدرة الله، وتعظيم اسمه تعظيماً تتجلى فيه قدرة الله، وعجز العبيد، فيقول مثلاً ربي، وسيدي، وخالقي، وإذا أراد أن يحلف يحلف باسمه، إلى غير ذلك من علامات التعظيم وشعائره، فمن أتى بذلك للأنبياء والأولياء والشهداء، والعفاريت والجنيات، مثلاً ينذر لها إذا ألمت به كربة، أو نزلت به ضائقة. أو ينادي بأسمائها عند مرضه أو نزالة أو

(١) ذكر المؤلف هنا أسماء هندية تنطق بالتوحيد، وتنم عن العقيدة الصحيحة - كـ «خدا بخش» يعني هبة الله، «الله ديا» يعني عطية الله، غيرناها بأسماء شائعة في بلاد العرب. تسهيلاً للقارىء العربي قاله أبو الحسن الندوي.

يفتح عمله بأسمائها فإذا رزق ولداً نذر لها نذوراً أو سمى أولاده، بعبد النبي، أو «إمام بخش» أو «بير بخش» ويخصص جزءاً من الحبوب أو الثمرات لها، ويقدم لها مما أخرجته الأرض من زروع وثمار، ثم يستعمله في أغراضه ويخصص من المال وقطعان الأنعام، أموالاً ودواباً ثم يتأدب معها فلا يضربها، ولايزجرها عن العلف والتبن ولا يضربها بعصاً أو حجر أدباً وتعظيماً، ويتمسك بالعادات القديمة، والأعراف الشائعة في الأكل والشرب، واللباس ويتقيد بها كما يتقيد بأحكام الشريعة، فيحرم طعاماً ولباساً لأناس ويحظرهما على طبقة (كالذكور والإناث ولباساً لأناس ويحظرهما على طبقة (كالذكور والإناث ويبيعهما لأخرى، فيقول: إن الطعام الفلاني لايقربه الرجال)(١)، وإن الطعام الفلاني لاتقربه الجواري، ولاتقربه المرأة التي تزوجت بزوج ثان وإن الخبيص الذي يعد باسم الشيخ عبد الحق(٢) لايأكله من يستعمل النارجيلة(٣) وينسب ما يحدث من خير وشر، وما يتناب من بؤس ورخاء، إلى هؤلاء المشايخ والأولياء، فيقول: إن فلاناً أدركته لعنة فلان، فجن، وفلان طرده فلان فافتقر، وفلان أنعم عليه فلان فساعده الحظ، وحالفه الإنبال، وأصابت الناس المجاعة بنوء كذا، ونوء كذا،

(١) نوع من الطبخ يطبخ في الهند باسم السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ، يمنع منه الرجال دون النساء، فلا يأكلونه، ولايقربونه قاله أبو الحسن الندوي.

(٢) يعني الشيخ عبد الحق الدهلوي من كبار المشايخ والمربين ومن أئمة الطريقة الجشتية في الهند، ولد ونشأ في «ردولي» من توابع لكناؤه، وكان له شأن رفيع في التوحيد وتعظيم الشريعة، والمحافظة على الفرائض والسنن، ودعاء الخلق إلى الله، والتجريد والتفريد، توفي سنة ٨٣٦هـ، وقد اخترع الغلاة والجهال في الهند طعاماً خاصاً يسمونه بـ «زاد الشيخ عبد الحق» يركب من السميد والسكر، وله آداب، وقيود يحافظ عليها بشدة، الخبيص: الحلواة المخبوصة وخبص الشيء بالشيء: خلطه. قاله أبو الحسن الندوي.

(٣) يعني الشيشة. قاله أبو الحسن الندوي.

وفلان بدأ عمله يوم كذا، وفي ساعة كذا فلم يوفق، ولم يتم، أو يقول: إن شاء الله ورسوله كان كذا، أو يقول: إن شاء شيخي وقع كذا، أو يضفي على من يعظمه أسماء وصفات تختص بالله، وهي من نعوت العظمة والكبرياء، والغنى عن الحق، والقدرة المطلقة، والجود الذي لانهاية له، أو القهر والجبروت، مثل المعبود، وأغنى الأغنياء، وإله الآلهة، ومالك الملك، وملك الملوك، أو يحلف بالنبي، أو بعلي، أو بأحد أولاده (الذين يسميهم الشيعة الأئمة الأثني عشر) أو بشيخ، أو بقبره، كل ذلك يتحقق منه الشرك ويسمى «الإشراك في العبادة» يعني أن يعظم غير الله في الأعمال التي اعتادها تعظيما، لا يليق إلا بالله.

وهذه الأنواع الأربعة للشرك، قد جاء ذكرها صريحاً في القرآن والحديث»[١].

بعد ذكر هذه النماذج التي أوردها علماء الحنفية لبيان أن الشرك واقع في هذه الأمة، يتبين لك أن كل هذا يدحض قول من زعم أن الشرك الأكبر لايمكن؛ أن ظهر في أمة محمد، ﷺ، ويتضح لكل ذي لب أن صوراً متنوعة ومتعددة من الشرك الأكبر قد وقعت وتقع في أمة محمد، ﷺ ويكفي للتدليل على وقوعه قول النبي ﷺ: «لاتقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان»[٢] وفي لفظ «حتى يعبد فئات من أمتي الأوثان».

---

(١) رسالة التوحيد ص ٢٥ - ٤٤.

(٢) أخرجه أبو داود وكتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ح (٤٢٥٢) وأصله عند مسلم ٢٢١٥/٤ وقال الألباني عنه في تحذير الساجد ص (١٢٠) (على شرط مسلم).

الخلاصة:

١ ـ إن مظاهر وصور الشرك الأكبر في الربوبية كالإشراك مع الله في التصريف والتدبير الشامل وغير ذلك والألوهية كصرف كثير من العبادات لغير الله تعالى وغيرها مازالت موجودة في الأمة، خصوصاً ما يتعلق بالأولياء الصالحين وغيرهم.

٢ ـ إن علماء الحنفية لم يدخروا وسعاً في الإشارة إلى تلك الصور، والتحذير منها وقد تم إيراد الكثير من نصوصهم في هذا المضمار.

المناقشة:

س١ ـ اذكر بعضاً من مظاهر الشرك الأكبر في الربوبية والموجودة في الأمة؟

س٢ ـ انتشرت في الأمة صور كثيرة للإشراك في مسألة الألوهية، اذكر بعضاً منها؟

س٣ ـ اذكر بعضاً من نصوص علماء الحنفية في الإشارة إلى هذه المظاهر والتحذير منها؟

* * *

الفصل الثاني

الشرح الميسر
للفقه الأكبر

المنسوب لأبي حنيفة
رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه

المقدمة

إن الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وبعد...

فإن كتاب (**الفقه الأكبر**) للإمام أبي حنيفة في مسائل أصول الدين، من الكتب المشتهرة التي اعتنى بها كثير من علماء الحنفية، شرحاً وتدريساً وغير ذلك، واهتم به غيرهم من العلماء بعد أن ذاع صيته، ولم أقف على من شرحه شرحاً موافقاً لمذهب السلف، حيث إن عامة الشراح قد شرحوه بطريقة توافق طريقة المتكلمين، وقد اعتمد عليه علماء الحنفية وقرروا أنه عقيدة الإمام، ويدل على ذلك كثرة شروحه، ثم إن هذاا لكتاب معول عليه عند الماتريدية ومع ذلك خالفوا بعض مسائله، كما في عصمة الأنبياء وبعض مسائل الصفات وغيرها، فهو حجة عليهم ثم إن هذا الكتاب في جملته يوافق ما قرره الطحاوي في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة المشهور المنسوب إلى أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى.

وراوي هذا الكتاب هو حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، فهو ابن المصنف رحمه الله، وهو أدرى بمذهب أبيه من غيره، قال عنه ابن خلكان (**إنه كان على مذهب أبيه، وإنه كان صالحاً خيراً**)

وقد ضعفه بعض المحدثين في الرواية، ولكننا لانقدح في روايته لهذا الكتاب لملاصقته لأبيه، ولأن العلماء تناقلوا هذا الكتاب، فما رأينا فيه من مخالفة لما قرره الطحاوي في عقيدته، جزمنا أنه أدخل فيه وليس من كلام الإمام مثل ماجاء: (**أن الله كلم موسى بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وهو يتكلم بلا آلة ولا حرف**) (**ولفظنا بالقرآن مخلوق**)

(ولايكون بينه وبين خلقه مسافة) فكل هذا مما أحدثه المتأخرون بعد أبي حنيفة ولايعرف هذا في كلام السلف، فمنها ما يرجع إلى أن كلام الله معنى نفسي وأن القرآن الذي نقرؤه عبارة عن ذلك المعنى النفسي، وهذا مذهب أحدثه ابن كلاب، ومنها مايرجع إلى بدعة التلفظ بالقرآن، وأول من أحدثها الكرابيسي في زمن الإمام أحمد بن حنبل، ومنها ما يرجع إلى شروط مخترعة، توجب امتناع الرؤية، وهذا مما أحدثه أهل الكلام، من الأشعرية والماتريدية فكل هذا مما أدخل على هذا الكتاب، وما عدا ذلك فيظهر أنه كلام الإمام رحمه الله، أو من تخريج ولده حماد على كلامه.

ومنهجي في إخراج هذاالكتاب ما يلي:

١ ـ وضع عناوين جانبية تقسم الكتاب إلى فقرات.

٢ ـ وضع المتن في أعلى الصفحة.

٣ ـ شرح الكلمات الغامضة.

٤ ـ شرح المتن إجمالاً بطريقة مبسطة موافقة لمذهب السلف.

٥ ـ عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن.

٦ ـ تخريج الأحاديث النبوية مع بيان درجتها ما أمكن.

٧ ـ عمل خلاصة لكل فقرة مما يسهل الاستفادة منها.

٨ ـ وضع أسئلة للمناقشة وذلك لبيان مدى الاستفادة منها، ولكي يكون كتاباً مدرسياً يسهل تناوله للطلاب.

وما كان فيه من حق فمن الله، وما كان سوى ذلك فمن نفسي واستغفر الله من كل ذنب.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد عبدالرحمن الخميس

ترجمة الإمام أبي حنيفة

اسمه وكنيته ولقبه:

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوطَي - بضم الزاي وفتح الطاء - الخزاز الكوفي.

مولده: ولد سنة ٨٠ هـ بالكوفة في حياة صغار الصحابة.

قال عنه الفضيل بن عياض (كان أبو حنيفة رجلا فقيهاً معروفاً بالفقه، مشهوراً بالورع، واسع المال، معروفاً بالأفضال على كل من يطيف به، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار، كثير الصمت، قليل الكلام، حتى ترد مسألة في الحلال أو الحرام، فكان يحسن أن يدل على الحق هاربا من السلطان)(١).

وقال عنه ابن عبد البر: (كان في الفقه إماماً، حسن الرأي والقياس، لطيف الاستخراج جيد الذهن، حاضر الفهم، ذكياً ورعاً عاقلاً)(٢).

وقال عنه شيخ الإسلام: (إن أبا حنيفة وإن كان الناس خالفوه في أشياء، وأنكروها عليه فلا يستريب أحد في فقهه وفهمه وعلمه)(٣).

وقال عنه الذهبي: (كان إماما ورعاً عالماً متعبداً كبير الشأن

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٠).
(٢) الاستغناء (١/ ٥٧٢).
(٣) منهاج السنة (٢/ ٥٧٢).

لايقبل جوائز السلطان)[١].

وقد ارتفع شأنه حتى أصبح أحد الأمة الأربعة المتبوعين أصحاب المذاهب المنتشرة.

وفاته: توفي رحمه الله ليلة النصف من شعبان سنة ١٥٠هـ، ودفن في مقابر الخيزران ببغداد، وكان عمره سبعين عاما[٢].

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/١٦٨).

(٢) الانتقاء (ص١٧١).

بيان أصول الإيمان

أصل التوحيد، ومايصح الاعتقاد عليه
يجب أن يقول: آمنت بالله

اللغة: (أصل) أصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه، ومنشأة الذي ينشأ منه.

الشرح: بدأ الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ببيان مايجب في باب الاعتقاد، وما لايكون الاعتقاد صحيحاً إلا به، وأصل وأساس التوحيد، وهو أن يقول الإنسان: «**آمنت بالله**..» ومعنى التلفظ بذلك أن القائل يقر ويعترف بإيمانه بالله تعالى، وهذا الإيمان له ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية هو أن يؤمن بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والرزق والتدبير والتصرف والملك في هذا الكون، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١).

وكل الخلق عموماً مقرون بهذا النوع من التوحيد ويسمى توحيد الربوبية، فلارب للخلق إلا الله عز وجل.

النوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات، ومعناه الإقرار والاعتراف بأن الله تعالى واحد في أسمائه وصفاته، فنثبت لله تعالى كل ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، التي أثبتها لنفسه في كتابه أو أثبتها له رسوله ﷺ، من غير أن نكيفها بكيفية معينة، ومن غير أن نمثلها بصفات المخلوقين أو نشبه الله بخلقه، ومن غير أن نلحد فيها

(١) سورة فاطر الآية(٣).

بتحريف في معناها، أو تأويل يخرجها عن معناها الحقيقي، وذلك كله مع إثبات التنزيه لله تعالى إذ قال في محكم كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1].ففيها التنزيه عن المشابهة مع إثبات الصفات.

النوع الثالث: توحيد العبودية (**الألوهية**) ويشتمل على الإقرار والاعتراف بأنه تعالى المستحق للعبادة دون سواه، وذلك هو مقتضى شهادة (لا إله إلا الله)، فهي نفي لجميع الآلهة الباطلة، ثم إثبات العبادة لله وحده دون سواه، وكل الآلهة غير الله باطلة. قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[2]. وذلك لكونها ليس لها من أمر الربوبية شيء، فيجب الإقرار بوجوب إفراد الله بالعبادة، ثم بعد ذلك تصرف العبادة كلها له وحده دون سواه، من صلاة وزكاة وصوم وحج، ونذر ونحر ورغبة ورهبة وخوف ورجاء وتوكل وغيره، ومن صرف شيئاً من العبادة لغيره سبحانه فقد أشرك.

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(١) سورة الحج الآية (٦٢).

وملائكته، وكتبه. ورسله

اللغة: **(ملائكة)** جمع ملك وهو خلق نوراني لطيف قائم على أمر الله **(رسل)** جمع رسول من نزل إليه شرع وأمر بتبليغه.

الشرح: ومن أركان الإيمان، الإيمان بالملائكة، خلقوا لعبادة الله والقيام على إنفاذ أمره، وهم متنوعون ولكل منهم وظيفته، فيجب الإيمان بهم إجمالا، ثم يجب الإيمان تفصيلاً بمن ورد فيه نص، وخزنة الجنة، وخزنة النار، ومنكر ونكير، ورقيب وعتيد، والحفظة وغيرهم. فكل هؤلاء يجب الإيمان بهم تفصيلاً.

* **ومن أركان الإيمان أيضاً**: الإيمان بالكتب التي أنزلتها الله تعالى على بعض رسله، وفيها شرع الله تعالى والمواعظ لعباده، فيجب الإيمان بها إجمالاً، وبما ورد به النص منها تفصيلاً، وهي: التوراة والإنجيل، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾[1]. والزبور، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2] وصحف إبراهيم وموسى، والقرآن، وهو خيرها وخاتمها والمصدق لها والمهيمن عليها، وهو كلام كلام الله تعالى، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيجب الإيمان بكل ذلك.

* **ومن أركان الإيمان أيضاً**: الإيمان بالرسل، ومعناه الإيمان بأن الله تعالى اختار من الناس رسلاً لإبلاغ شرعه ووحيه، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ

---

(١) سورة آل عمران الآية (٣).

(٢) سورة النساء الآية (١٦٣).

يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾[١]. وقال عز وجل: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[٢].

وهؤلاء الرسل هم خير بني آدم على الإطلاق، ومنهم من نعرفه ومنهم من لانعرفه، كما قال عز وجل: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[٣]. وأول الرسل هو نوح عليه السلام، وآخرهم وخيرهم محمد ﷺ والمذكورون في كتاب الله خمسة وعشرون، نؤمن بهم تفصيلاً، ومن أنكر نبوة أحدهم كفر، ونؤمن بالباقين على وجه الإجمال، ولانفرق بين أحد من رسل الله تعالى، بل نحبهم ونؤمن بهم أجمعين.

---

(١) سورة الحج الآية (٧٥).
(٢) سورة النساء الآية (١٦٥).
(٣) سورة النساء الآية (١٦٤).

والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره من الله تعالى

اللغة: (**البعث**) الإحياء بعد الموت (**القدر**) المراد منه المقدور والتقدير.

الشرح: ويجب الإيمان بالبعث بعد الموت، وذلك يعني الإيمان بأن الله تعالى يبعث الناس بعد موتهم، أي يحييهم بعد الموت، فيحاسبهم على ما قدموا في الدنيا، ويجازيهم على أعمالهم، والبعث يكون للأرواح وللأجساد معاً، يركب الله الإنسان مرة أخرى كما ركبه في أول خلقه، فيحييه وذلك على الله تعالى يسير، قال الله عز وجل في الرد على من استغرب البعث: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾[1]، وقال تعالى حاكيا بكفر من أنكر البعث: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾[2]، فمن أنكر البعث كفر، بل يبعث الله الناس يوم القيامة فيجزيهم بأعمالهم، كما قال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[3].

(١) سورة القيامة الآيتان (٣: ٤).
(٢) سورة التغابن الآية (٧).
(٣) سورة المجادلة الآية (٦).

*** وأما الإيمان بالقدر فهو من أعظم أركان الإيمان، ويتضمن الإيمان بأربعة أمور:**

الأول: الإيمان بالعلم: ومعناه الإيمان بأن الله تعالى علم كل شيء قبل خلقه، وقبل خلق السموات والأرض فلم يخف عليه خافية، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ** ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿ **وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ** ﴾[2]. قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «**ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم**»[3].

الثاني: الإيمان بالكتابة: ومعناه الإيمان بأن الله تعالى كتب كل شيء يكون في هذا الكون قبل خلقه، فكتب الصغير والكبير، ولم يترك شيئاً إلا أحصاه، كما قال عز وجل: ﴿ **مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ** ﴾[4]، وهذا التقدير الأزلي الذي لم يخرج عنه شيء قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته: «**ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه**

---

(١) سورة آل عمران الآية (٥).

(٢) سورة يونس الآية (٦١).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص٩٥).

(٤) سورة الحديد الآية (٢٢).

ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»[١].

الثالث: الإرادة: ومعناه الإيمان بأنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا بمشيئة الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن إرادته ومشيئة نافذة لا تتخلف أبداً، وحتى الخير والشر كله كائن بمشيئة الله تعالى، قال عز وجل: ﴿**وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾[٢]. وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «**وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن»**[٣].

الرابع: الخلق: فكل شيء كائن فالله تعالى هو الذي خلقه وأوجده، وأعمال العباد مخلوقة لله تعالى، الخير والشر، كما قال عز وجل: ﴿**وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾**﴾[٤]. وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ**﴾[٥]. وقد خالفت القدرية في هذا وجعلوا الإنسان مريداً للشر خالقاً له دون إرادة الله تعالى وخلقه، فجعلوه خالقاً مع الله عز وجل.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٣٣ : ٢٣٤).
(٢) سورة التكوير الآية (٢٩).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص٩٥).
(٤) سورة الصافات الآية (٩٦).
(٥) سورة الجاثية الآية (٢٣).

والحساب، والميزان

اللغة: (**الحساب**) مصدر حاسب، أي ناقش وجزى (**الميزان**) مفعال من وزن، وهو ما يوزن به.

الشرح: ويؤمن أهل السنة بالحساب: **فالله تعالى يبعث الناس يوم القيامة، فيحاسبهم بأعمالهم ويجازيهم بها، وهذا من أعظم الأمور التي تكون في يوم القيامة، قال عز وجل**: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[1]، وقال: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝﴾[2].

ويؤمنون أيضا بالميزان: وهو ميزان عظيم له كفتان حقيقيتان، توزن به أعمال العباد يوم القيامة، فمن رجحت حسناته فقد فاز، ومن رجحت سيئاته فقد خسر، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[3]. وقال الطحاوي في (**عقيدته**): «**ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان**»[4].

---

(١) سورة الانشقاق الآيتان (٧:٨).

(٢) سورة الطلاق الآية (٨).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٤٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٩٦).

والجنة، والنار، وذلك كله حق

اللغة:

الشرح: ومن أعظم الأمور التي يؤمن بها أهل السنة مما يتعلق باليوم الآخر، الجنة والنار، فالجنة دار المتقين الصالحين، ودار الطيبين، فيها النعيم المقيم، وهي دار الثواب والنعمة والرحمة، والنار دار الكافرين والمنافقين والفاسقين، فيها العذاب الأليم، وهي دار العقوبة والنقمة، ليس فيها خير أبداً. والآيات في ذكرهما لا تحصى، منها قوله تعالى: ﴿ يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤ ﴾(١). وقال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾(٢). وقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾(٣). وقال عزوجل: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾(٤). وقال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾(٥). فكل ذلك حق يجب الإيمان به، ومن كذب بشيء من ذلك فهو كافر بالله تعالى.

الخلاصة:

أصول الإيمان أن يؤمن الإنسان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله

---

(١) سورة النساء الآيتان (١٣: ١٤).

(٢) سورة الفتح الآية (١٧).

(٣) سورة الكهف الآية (١٠٢).

(٤) سورة الزمر الآية (٧٣).

(٥) سورة الزمر الآية (٧١).

واليـوم الآخر بمـا فيه من جنـة ونار وحسـاب وميزان وصراط، والإيمـان بالقدر خيره وشره.

المناقشة:

س١ ـ اذكر ما هي أصول الإيمان؟

س٢ ـ اذكر بعضاً من مشاهد يوم القيامة؟

وحدانية الله تعالى

والله تعالى واحد، لا من طريق العدد، ولكن من طريق أنه لا شريك له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه، وصفاته الذاتية والفعلية.

اللغة: **(كفوا)** الكفء هو النظير والمساوي والند **(الذاتية)** الصفات اللازمة للذات **(الفعلية)** المتعلقة بالمشيئة.

الشرح: الله تعالى واحد، ليس بمعنى الواحد الذي هو نصف الاثنين، ولكن بمعنى أنه واحد لا شريك له، لا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، وما ورد من اشتراك في اسم أو صفة بين الله تعالى وبين خلقه، فالاشتراك في اللفظ فقط، وذلك نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(١) وقوله في الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(٢) فالاشتراك لفظي فقط، وأما حقيقة الاسم والصفة وكيفيتها فإنها تختلف في حق الله عنها في حق المخلوق كاختلاف ذات الله عن ذات المخلوق والله تعالى من صفته أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(٣) فهو متنزه سبحانه عن أن يكون له ولد، ومتنزه عن أن يكون له والد، فإن ذلك يستلزم الحدوث، وهذا متصور في حق

---

(١) سورة النساء الآية (٥٨).

(٢) سورة الإنسان الآية (٢).

(٣) سورة الإخلاص الآيتان (٣:٤).

المخلوقات، وأما في حقه تعالى فهو مستحيل، والله تعالى لا يشبه أحداً من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلقه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١).

بل إنه سبحانه وتعالى أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء، أول قبل كل شيء وآخر بعد كل شيء. أول وآخر بأسمائه الحسنى، وصفاته العلي، الذاتية منها والفعلية أما الذاتية فهي الصفات اللازمة للذات أولا وآخراً ولا ترتبط بالمشيئة، وذلك كالحياة مثلاً، وأما الفعلية فهي التي ترتبط بالمشيئة فتكون إذا أراد الله أن تكون: كالغضب والرضى، وهي قديمة النوع وإن كانت إحداها مرتبطة بالمشيئة، أما الذاتية فهي قديمة مطلقاً، وتقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية تقسيم مشهور عند أهل السنة والجماعة(٢).

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(٢) انظر الأسماء والصفات (ص١١٠) والاعتقاد (ص٧٠:٧٢) كلاهما للبيهقي، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص٣٠٠) ومجموع الفتاوى (٥/٩٩) (٦/٢٦٨) والعلو للذهبي (ص١٧٤).

الصفات الذاتية والفعلية

أما الذاتية: فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة، وأما الفعلية فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل، لم يزل ولا يزال بصفاته وأسمائه لم يحدث له صفة ولا اسم.

اللغة: **(التخليق)** خلق الأشياء **(الترزيق)** رزق الكائنات **(الإنشاء)** الابتداء **(الإبداع)** أي على غير مثال سبق.

الشرح: **ثم بين رحمه الله بعضا من الصفات الذاتية كصفة الحياة** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾(١) ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾(٢)، **والعلم لقوله:** ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾(٣) والكلام لقوله: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى﴾(٤) وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(٥)والقدرة لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٦) والسمع والبصر لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(٧). والإرداة لقوله ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ

---

(١) سورة الفرقان الآية (٥٨).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٥).
(٣) سورة البقرة الآية (٢٥٥).
(٤) سورة الأعراف الآية (١٤٤).
(٥) سوررة النساء الآية (١٦٤).
(٦) سورة البقرة الآية (٢٠).
(٧) سورة النساء الآية (٥٨).

لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا...﴾[1] وذكر بعضاً من الصفات الفعلية مثل التخليق لقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[2] والترزيق لقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[3] والانشاء لقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾[4] لقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5] والصنع لقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[6] والله تعالى أول بأسمائه وصفاته فلم يحدث له اسم ولا صفة بعد أن لم تكن بل أسماؤه وصفاته قديمة.

الخلاصة:

أن الله تعالى واحد لا شريك له، لا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه ولا في صفاته، وهو أول بلا ابتداء، وصفاته كلها أزلية، الذاتية منها والفعلية.

المناقشة:

س ١ ــ ما الدليل على أن الله تعالى أول قبل كل شيء؟
س ٢ ــ هل صفات الله قديمة أم لا؟
س ٣ ــ اذكر ثلاثا من الصفات الذاتية، وثلاثا من الصفات الفعلية.

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٢٥).
(٢) سورة الزمر الآية (٦٢).
(٣) سورة هود الآية (٦).
(٤) سورة المؤمنون الآية (٧٨).
(٥) سورة الأنعام الآية (١٠١).
(٦) سورة النمل الآية (٨٨).

صفات الله أزلية

لم يزل عالماً بعلمه، والعلم صفة في الأزل، وقادراً بقدرته، والقدرة صفة في الأزل، ومتكلماً بكلامه، والكلام صفة في الأزل، وخالقاً بتخليقه، والتخليق صفة في الأزل، وفاعلا بفعله، والفعل صفة في الأزل، والفاعل هو الله تعالى، والفعل صفة في الأزل والمفعول مخلوق، وفعل الله تعالى غير مخلوق.

اللغة: في الأزل) في القدم:

الشرح: إن الله تعالى عليم لا يغيب عنه شيء، وذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[2] وعلمه تعالى صفة لذاته، وهي صفة أزلية قديمة، ليست محدثة بعد أن لم تكن، ومن قال إن الله كان لا يعلم حتى أحدث لنفسه عالماً فهو كافر بالله تعالى، إذا جحد صفة ثابتة لله تعالى، ورماه بالنقص.

والله ـ عز وجل ـ قادر على كل شيء، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[3]، فلا يعجزه شيء كما قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[4]، وقدرته تعالى صفة ذاتية قديمة في الأزل، وليست محدثة، فمن أنكرها وزعم أن الله تعالى صار

---

(١) سورة فاطر الآية (٣٨).

(٢) سورة آل عمران الآية (٥).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٠).

(٤) سورة فاطر الآية (٤٤).

قادراً بعد أن لم يكن وأحدث لنفسه قدرة بعد أن لم تكن، فهذا كافر بالله تعالى، حيث رمى الله تعالى بالنقص، ونفى صفته الثابتة.

* **وكذلك صفة الكلام صفة ذاتية قديمة،** فالله تعالى متصف بصفة الكلام من قبل أن يتكلم: قال الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1] وقال: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[2] فالله تعالى يتكلم بما يشاء وقتما يشاء، لم يزل ولا يزال متكلما، ولا يشبه كلامه كلام البشر، ومن أنكر صفة الكلام لله تعالى فقد كفر.

* **ومن صفاته تعالى أنه فاعل بفعله،** فالله تعالى إذا أراد أن يفعل شيئاً فعله، وصفة الفعل صفة أزلية قديمة، لم يزل ولا يزال فاعلاً لما يشاء، وذلك كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[3]فمن أنكر هذه الصفة لله تعالى فقد كفر، ونفى عن الله صفة ثابتة له كذلك، والصفات فرع عن الذات فهي قديمة قدم الذات والفاعل لكل شيء حقيقة هو الله تعالى، والفعل صفة من صفاته، وأما المفعولات فهي المخلوقات، فهي مخلوقة، ولكن فعل الله غير ملخوق، بل هو من صفاته الأزلية.

* **ومن صفاته أنه خالق لكل شيء كما قال:** ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[4] والخلق بمعنى التخليق صفة أزلية قديمة.

---

(١) سورة النساء الآية (١٦٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٤٣).

(٣) سورة البروج الآية (١٦).

(٤) سورة الزمر الآية (٦٢).

القول في القرآن

وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة، ومن قال إنها مخلوقة أو محدثة أو وقف أو شك فيهما فهو كافر بالله تعالى. والقرآن كلام الله - تعالى - في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق.

اللغة:

الشرح: فمن زعم أن الله تعالى أصبح خالقاً بعد أن لم يكن فهو كافر.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ما زال بصفته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبديا، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم»[1] فكل صفات الله تعالى أزلية غير محدثة ولا مخلوقة، ومن قال إن صفات الله تعالى محدثة أو مخلوقة، أو توقف في نفي الحدوث عنها، أو شك في أزليتها وقدمها، فهو كافر بالله تعالى.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٦٨: ٨٣).

والقرآن كلام الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾(١) وقد أجمع أهل الحق على أن هذا القرآن كلام الله تعالى، ومن نفى أنه كلام الله فقد كفر، وهو مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب، ومقروء على الألسن، ومنزل على النبي عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(٢) وقال عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٣).

ولفظ القارىء بالقرآن هو من فعل العبد، وصوته وحركة لسانه مخلوق، وكتابة الكاتب للقرآن مخلوقة من حيث هي فعل للعبد، وقراءة القارىء مخلوقة من حيث هي فعل للعبد، والقرآن في كل ذلك غير مخلوق، بل هو كلام الله تعالى غير مخلوق ثم قوله «**ولفظنا بالقرآن مخلوق**..» ليس على طريقة أهل السنة بل على طريقة أهل الكلام وليس من كلام أبي حنيفة رحمه الله لأن مسألة اللفظ إنما حدثت بعد ما قال ابن كلاب بالكلام النفسي وتستر بها بعض الجهمية لأنهم كانوا يريدون به الملفوظ وهو القرآن فأنكر عليهم أئمة السنة أمثال الإمام أحمد وغيره سدّاً للذريعة إلى القول بخلق القرآن، قال الإمام الطحاوي في عقيدته: «وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام

(١) سورة التوبة الآية (٦).
(٢) سورة الشعراء الآيات (١٩٢ : ١٩٥).
(٣) سورة الفرقان الآية (١).

البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (المدثر ٢٦) فلما أوعد الله بسقر لمن قال:﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ (المدثر ٢٥) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر»[1].

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٢١:١٢٢).

وما ذكره الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخباراً عنهم، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين، والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى، كما في قوله تعالى ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾.

اللغة:

الشرح: وكل ذلك ذكره الله تعالى في القرآن، حكاية عن موسى عليه السلام، أو غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، من كلام قالوه، أو ما حكاه الله تعالى عن فرعون وإبليس، من جنس قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1] أو قول إبليس: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾[2]، وكذلك كلام الأمم التي كذبت رسلها وما ردوا على رسلهم، كل ذلك مما حكاه الله تعالى إخباراً عنهم، وكلامه تعالى غير مخلوق، أما كلام موسى الذي قال حين قاله، وكلام فرعون وإبليس، وغيرهم من المخلوقات، كل ذلك مخلوق، لأن أفعال العباد مخلوقة، لكن ما حكاه الله تعالى عنهم فإنما هو كلامه، وكلامه غير مخلوق. بقي هل هو قديم أم حادث، فالصواب أن كلامه ـ تعالى ـ قديم النوع، حادث الأفراد بمعنى أن أفراده تتجدد لا بمعنى أن أفراده مخلوقة فكثير من أفراد كلامه تعالى لم يتكلم الله بها تعالى حتى الآن، بل

(١) سورة النازعات الآية (٢٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠).

متجدد فيها بعد وبهذا زال كثير من إشكالات المتكلمين فمن زعم أن في القرآن حرفا مخلوقا فقد كفر بالله تعالى.

وقد سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى حين كلمه، سمعه بأذنيه حقيقة، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[1] وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[2] فهو كلام حقيقي بصوت وحرف، سمعه موسى حقيقة.

الخلاصة:

إن الله تعالى عالم في الأزل، قادر في الأزل متكلم في الأزل، خالق في الأزل، والقرآن كلام الله غير مخلوق وما حكاه الله في القرآن عن المخلوقين، فإنه كلامه تعالى إخباراً عنهم.

المناقشة:

س١ ـ هل القرآن مخلوق؟ وما حكم من قال ذلك؟
س٢ ـ ما حكاه الله تعالى عن الكفار في كتابه، هل هو كلامه أم لا؟

---

(١) سورة النساء الآية (١٦٤).
(٢) سورة الأعراف الآية (١٤٣).

وقد كان الله تعالى متكلما ولم يكن كلم موسى عليه السلام، وقد كان الله تعالى خالقاً في الأزل ولم يخلق الخلق، فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا.

اللغة:

الشرح: لقد كان الله تعالى متكلما من قبل أن يكلم موسى، وذلك لأن الكلام صفته الأزلية، فهو متكلم بكلام حقيقي ليس ككلام المخلوقين، لم يزل ولا يزال متكلما وقتما يشاء، متكلم قبل أن يكلم موسى وبعد أن كلمه، لم تحدث له صفة الكلام بعد أن لم تكن، ولما كلم موسى عليه السلام كلمه بكلامه الذي هو صفة به في الأزل، وسمعه موسى عليه السلام على الحقيقة.

وهكذا جميع صفاته تعالى أزلية، ولا تشبه صفات المخلوقين، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] فمن زعم أن صفات الله تعالى كصفات المخلوقين، ومن زعم أن الله تعالى يشبه أحداً من خلقه أو يشبهه أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم.

هذا مع العلم أن صفاته تعالى أزلية، وتدل على معان حقيقية، لكن على الكيفية اللائقة بالله تعالى ولا يعلم هذه الكيفية على حقيقتها إلا الله تعالى، فهي مما استأثر الله عز وجل بعلمه.

والله تعالى يعلم كل شيء، الصغير والكبير، الجزئيات والكليات،

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(١) وعلمه تعالى علم كامل لا يغيب عنه شيء، مطلق لا تخفى عليه ذرة، بخلاف علم المخلوقين، فإن الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه، فصفته غير صفة المخلوقين والله تعالى قادر، وقدرته مطلقة لا يعجزها شيء، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)، فلا يعجزه شيء سبحانه وتعالى، فقدرته ليست كقدرة المخلوقين.

وهو سبحانه وتعالى يرى كل شيء لا تخفى عليه من أمور خلقه خافية، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾(٣)، وصفة الرؤية عند الله تعالى ليست كصفة الرؤية عند المخلوقين، وهي وإن كانت تدل على معنى حقيقي، لكن كيفيتها لا يعرفها إلا الله تعالى. وهكذا كل صفاته تعالى لا يعلم على أي كيفية هي إلا هو سبحانه وتعالى، فهي مما استأثر الله بعلمه.

---

(١) سورة المجادلة الآية (٧).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٠).

(٣) سورة طه الآية (٤٦).

ويتكلم لا ككلامنا، ويسمع لا كسمعنا، ونحن نتكلم بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وهو شيء لا كالأشياء ومعنى الشيء الثابت بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حدَّ له ولا ضدَّ له ولا ندَّ له ولا مثل له.

اللغة: **(الآلات)** الأدوات **(جوهر)** جوهر الشيء ذاته وحقيقته وهو في الفلسفة ما قام بنفسه ويقابله العرض وهو ما قام بغيره **(ضد)** ضد الشيء ما يقابله ويناقضه **(ند)** الند هو المكافىء والنظير.

الشرح: والله تعالى يتكلم لا ككلام البشر بل كلامه على الكيفية اللائقة به سبحانه، ويسمع لا كسمع البشر، بل على ما يليق به عز وجل وأما قوله: «**والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف والحروف مخلوقة**».

فهو من بدع المتكلمين الذين يقولون بخلق القرآن وليس هذا من كلام أبي حنيفة رحمه الله قطعاً لأن بدعة القول بخلق حروف القرآن مبنية على بدعة القول بالكلام النفسي، والقول ببدعة الكلام النفسي لم يكن في زمن أبي حنيفة المتوفى سنة (١٥٠هـ) بل كان في عهد ابن كلاب (٢٤١هـ)، ثم من عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن بحروفه هو كلام الله تكلم بحروفه وبصوته هو، فكما أن كلامه ليس ككلام خلقه فكذلك صوته ليس كصوت خلقه، ولا يكون الكلام إلا بحرف وصوت وإما قوله ﴿ **بلا جسم ولا جوهر ولا عرض..** ﴾ فهذه من ألفاظ المتكلمين وليست من كلام أبي حنيفة وهي ألفاظ مجملة لم يرد نفيها ولا إثباتها فالجواب السكوت عنها.

الخلاصة:

أن الله تعالى يتكلم وقتما يشاء وكيفما يشاء، بلا كيفية، وكلامه تعالى لا يشبه كلام غيره، وهو يتكلم بصوت وحرف، وكلامه غير مخلوق.

المناقشة:

س١ ـ هل هناك كيفية معينة لكلام الله تعالى؟

س٢ ـ هل كلامه تعالى بصوت وحرف أم لا؟

س٣ ـ ما حكم من شبه كلام الله بكلام المخلوقين؟

القول في الصفات

وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف.

اللغة: (**إبطال**) نقض ونفي.

الشرح: والله تعالى قد أثبت لنفسه في القرآن صفة اليد، كما قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] وصفة الوجه، كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2] وصفة النفس، كما قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[3] فكل هذه الصفات قد ثبتت لله تعالى بلا كيف، فإن الله عز وجل قد أثبت لنفسه الصفة، فوجب علينا أن نثبتها له سبحانه وتعالى، ولم يذكر لنا الكيفية، فوجب علينا أن نسكت عنها إذ هي غيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد ضلت طوائف من الخلق، فتأولوا صفات الله تعالى بما يخرجها عن حقيقتها، فقالوا إن اليد هي القدرة، أو هي النعمة والإحسان، وقد أنكر أبو حنيفة رحمه الله ذلك، وبين أن في هذا إبطالا للصفة، وأن هذا هو قول القدرية المعتزلة وبين أن صفة اليد صفة حقيقية لله تعالى بلا كيف أي بلا كيفية معلومة.

---

(١) سورة الفتح الآية (١٠).
(٢) سورة القصص الآية (٨٨).
(٣) سورة آل عمران الآية (٢٨).

وبين أن الغضب والرضا كذلك صفتان من صفاته تعالى بلا كيف، قال تعالى مثبتا صفة الغضب: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(١) وقال مثبتاً صفة الرضا: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾(٢) وهذا النص في منهج أبي حنيفة ومذهبه في الصفات واضح جلي وهو يشمل على:

أ ـ أن كل ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله وأسمائه يجب إثباته بلا تشبيه ولا تعطيل.

ب ـ لا يجوز تأويل صفة بصفة أخرى.

جـ ـ من أول صفة بصفة أخرى فقد حرف وعطل.

الخلاصة:

صفات الله تعالى تقبل وتمرر على ظاهرها دون تأويل بما يخرجها عن حقيقتها، ودون تعطيل لها ودون تكييف لها بكيفية معينة.

المناقشة:

س١ ـ ما هو منهج أهل السنة في صفات الرب عز وجل؟

س٢ ـ ما هي أهم الفرق المنحرفة في باب الأسماء والصفات؟

س٣ ـ ما حكم من أوَّل اليد بالقدرة والغضب بالعقاب وغير ذلك؟

---

(١) سورة النساء الآية (٩٣).

(٢) سورة البينة الآية (٨).

القول في القدر

خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء، وكان الله تعالى عالماً في الأزل بالأشياء قبل كونها وهو الذي قدر الأشياء وقضاها، ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ، ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم، والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف، يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوماً ويعلم أنه كيف يكون إذا أودجه، ويعلم الله الموجود في حال وجوده موجوداً ويعلم أنه كيف فناؤه، ويعلم الله القائم في حال قيامه قائماً وإذا قعد فقد علمه قاعداً في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم ولكن التغير والاختلاف يحدث عند المخلوقين.

اللغة: (كتبه) كتابته (المعدوم) الشيء غير الكائن.

الشرح: لقد خلق الله تعالى الأشياء من عدم، لا من شيء، والله تعالى يخلق ما يشاء من لا شيء ولا يفتقر إلى شيء، وعلمه تعالى بالأشياء علم أزلي قديم، قبل أن تكون هذه الأشياء وقد سبق الكلام عن العلم الأزلي، وقد قدر سبحانه الأشياء وقضاها وذلك بأنه تعالى علمه ثم كتبها ثم أرادها فأوجدها وخلقها كما سبق بيانه، وكل شيء كائن أو معدوم إنما هو بقضاء الله وقدره، ولا يكون شيء في الدنيا أو في الآخرة إلا بمشيته تعالى وعلمه، وبقضائه وقدره، فهو تعالى قدر هذه الأشياء وقضاها، وشاء أن تحصل على الكيفية التي علمها، وكتبها في اللوح المحفوظ، وهو سبحانه لم يكتب الأشياء بالحكم فقط أي لم يكتب مثلاً (**ليكن زيد مؤمنا**) فإن هذا قد يتوهم منه الجبر، إذ أن كل ما حكم الله به فهو كائن لا ريب، وقوله: «**كتبه بالوصف لا بالحكم**»

فيحتمل والله أعلم أن تكون هذه العبارة منحولة وليست من كلامه رحمه الله، لأن فيها نفياً لمرتبة من مراتب الإيمان بالقدر، وهي مرتبة الخلق.

والقضاء والقدر والمشيئة كلها صفات أزلية بلا كيف، وقد علم الله تعالى الأشياء المعدومة - أي غير الكائنة - علمها وهي معدومة غير كائنة، كيف هي؟ وعلم أن لو أوجدها على أي كيفية سيكون وعلم سبحانه الموجودات في حال كونها موجودة كيف هي؟ ويعلم تعالى كيف يفني كل شيء عندما يقدر فناءه، وهو تعالى يعلم القائم حال كونه قائماً كيف هو؟ ولو أن هذا القائم قعد لعلمه الله تعالى كيف يكون قاعدا حال كونه قاعدا ومن قبل أن يقعد، كل ذلك من غير أن يتغير علمه سبحانه لأنه علم أزلي، ومن غير أن يحدث له علم بعد أن لم يكن، فعلمه تعالى قبل كل شيء غير مخلوق وإنما يكون التغير والاختلاف في المخلوقين، لا في الخالق ولا في صفاته، ويحتمل أن يكون قدر كبير من هذه العبارات من وضع المتكلمين وذلك تنزيها لأبي حنيفة من أن يستعمل كل هذه الاصطلاحات التي لم تكن على عهد السلف.

الخلاصة:

خلق الله الأشياء من عدم، ولا يكون شيء في هذا الكون إلا بإذنه وخلقه.

المناقشة:

س١ ــ مم خلق الله الأشياء؟

س٢ ــ هل يكون شيء بغير إذن الله تعالى؟

س٣ ــ هل يتغير علم الله تعالى؟

ما فطر الله عليه الناس

خلق الله تعالى الخلق سليماً من الكفر والإيمان، ثم خاطبهم، وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آن بفعله وإقراره وتصديقه، بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له، أخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم، وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية، فكان ذلك منهم إيماناً فهم يولدون على تلك الفطرة ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير، ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم.

اللغة: **(سليماً)** خالياً **(الخذلان)** نزع التوفيق والحرمان منه.

الشرح: قول الشيخ بأن الله خلق الخلق سليما من الكفر والإيمان فيه نظر، فإن الله تعالى خلق الناس على الفطرة وعلى الإقرار بالميثاق الأول، وفطرهم على الإقرار بتوحيده، والشعور بأنه تعالى المنفرد بالخلق والملك والرزق والتدبير، وغير ذلك، ثم بعد أن فطرهم على ذلك خاطبهم الله تعالى على ألسنة رسله، وأمرهم بالإيمان والطاعات، ونهاهم عن الكفر والمنكرات فكفر منهم من كفر، بفعله الاختياري، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[1] وبإنكاره وجحوده الحق وكفره بدعوة الرسل، وكان ذلك من خذلان الله لهم، حيث حرمهم من التوفيق فاحتوشتهم الشياطين، واجتالتهم عن دينهم، وكل ذلك منهم بقدر الله تعالى وقضائه ومشيئته.

---

(١) سورة فصلت الآية (١٧).

ومنهم من آمن باختياره بفعله وإقراره وتصديقه، وكان ذلك منه بتوفيق الله تعالى له حيث لم يخذله ولم يدعه للشيطان، ونصره على نفسه وهواه وشيطانه، ومن آمن ومن كفر كلهم لم يخرجوا عن مشيئة الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(١) وقد أخرج الله ذرية آدم من صلبة عقلاء حين خلقه، وخاطبهم وأمرهم بالإيمان به وتوحيده، ونهاهم أن يشركوا به، فأقروا له بالربوبية كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾(٢).
فكان هذا الإقرار منهم ـ وهو الميثاق الأول ـ إيمانا، فولدوا على هذه الفطرة، فمنهم من بدل بعد ذلك وغير بالكفر ومنهم من استجاب لدعوة الرسل وآمن بالله فثبت على الميثاق الأول، وقد جاء في الحديث: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»(٣) وكل شيء بقدر الله ومشيئته.

---

(١) سورة التكوير الآية (٢٩).
(٢) سورة الأعراف الآية (١٧٢).
(٣) البخاري (٣/٢٩٠/١٣٨٥) في الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم (٤/٢٠٤٧/٢٦٥٨) في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، كلاهما من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً.

ولم يجبر أحداً من خلقه على الكفر ولا على الإيمـان، ولا خلقه* مؤمناً ولا كافراً ولكن خلقهم أشخاصاً، والإيمان والكفـر فعل العبـاد، ويعلم الله تعـالى من يكفر في حـال كفره كـافراً، فـإذا آمن بعـد ذلـك علمه مؤمناً في حال إيمانه وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته، وجميـع أفعـال العباد من الحـركة والسكـون كسبهم على الحقيقـة، والله تعـالى، خالقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره.

اللغة: (يجبر) يُكْرِه.

الشرح: لم يكـره الله تعالى أحـداً من الخلق على الكفـر ولا عـلى الإيمان، وإنما خلقهم على الفطرة كـما قال تعـالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] وفي الحـديث: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم**»[2] ولا تعارض بين كون الإيمان والكفر فعلاً للعباد وكسباً لهم، وبين كون ذلك كله مخلوقاً لله تعالى مقـدوراً له، وعلمـه تعالى شـامل لكـل شيء، وهو يعلم الكافر حـال كفره، ويعلمـه كيف يكون إيمـانه حتى قبـل أن يؤمن وذلـك كله بعلمه تعـالى ومشيئته، وبعض هـذه العبارات الـواردة يحتمل ألا تكون من كلام الإمـام رحمه الله، وذلـك لتطرقهـا إلى موضـوعات لم يكن السلف يتكلمون فيها بهذا التفصيل في زمانه رحمه الله تعالى.

وكل شيء يحدث فالله تعالى يعلمه من غير أن يتغير علمه، وعلمه أزلي، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

(*) في الأصل (خلقهم).

(١) سورة الروم الآية (٣٠).

(٢) أخـرجه مسلم ٤/٢١٩٧ ح٢٨٦٥ في الجنـة وصفة نعيمهـا باب الصفـات التي يعـرف بهـا في الدنيا أهل الجنة وأهل النار من حديث مطرف بن عبدالله عن عياض بن حمار مرفوعا.

الخلاصة:

لم يكـره الله أحداً من خلقـه على الإيمـان ولا على الكفـر، ولكن خلقهم على الفطرة، ويعلم مـا كان ومـا يكون من غـير أن يتغير علمـه سبحانه وتعالى.

المناقشة:

س١ ــ هل أجبر الله أحداً من خلقه على الإيمان أو على الكفر؟
س٢ ــ كيف خلق الله الخلق؟ على الإيمان أم على الكفر؟
س٣ ــ هل يعلم الله تعالى الشيء وقت كونه أم قبل ذلك؟

الطاعات محبوبة لله
والمعاصي مقدورة غير محبوبة

والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضائه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره.

اللغة:

الشرح: إن الطاعات من الأقوال والأعمال إنما هي واجبة بأمر الله تعالى الشرعي، وبمحبته لهذه الطاعات ورضائه تعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1].

وهذه الطاعات كذلك بعلمه تعالى ومشيئته وقضائه وقدره، وذلك لأن الله تعالى علم أعمال العباد كلها، وشاءها وقضاها وقدرها، ولولا أن الله تعالى قدرها وقضاها ما وجدت، فإنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا بمشيئته تعالى وقدره، وقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[4] وما كان من معاص

((١) سورة الزمر الآية (٧).
(٢) سورة الصافات الآية (٩٦).
(٣) سورة التكوير الآية (٢٩).
(٤) سورة المدثر الآيات (٥٤: ٥٦).

في هذا الكون فإنما هي كذلك بعلم الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾(١)، والله تعالى قد قضاها وقدرها وشاء أن تقع لعموم النصوص السابقة، وإن كان الله تعالى لا يحبها ولا يرضاها، كما قال عز وجل: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾(٢) ولم يأمر سبحانه وتعالى بهذه المعاصي أمراً شرعياً، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣) وهكذا تبين أن الطاعات قد أرادها الله شرعاً ورضيها وأمر بها أمراً شرعياً، كما أنها إن وقعت فبإرادة الله الكونية، وأما المعاصي فهي إن وقعت فبإرادة الله الكونية وليس بإرادته الشرعية ولا بأمره الشرعي ولا برضاه ولا بمحبته، فافهم هذه المسألة تصل إلى الحق فيها.

---

(١) سورة آل عمران الآية (٥).

(٢) سورة الزمر الآية (٧).

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٨).

القول في عصمة الأنبياء

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح وقد كانت منهم زلات وخطايا.

اللغة: (منزهون) معصومون (زلات) جمع زلة وهي الخطأ.

الشرح: اختلف الناس في مسألة عصمة الأنبياء، وهل يمكن أن تقع منهم الذنوب أم لا؟ وقد نقل ابن تيمية مذهب السلف في ذلك فقال: «والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها، وحينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كمالهم، فإن الأعمال بالخواتيم مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم»[(١)]. وقال: «والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً والرد على من يقول إنه يجوز إقرارهم عليها»[(٢)].

وقال: «والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام.. بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين إلا ما يوافق هذا القول»[(٣)].

وآثار الكتاب والسنة توافق هذا القول، فقد يصدر الزلل من نبي دون تعمد الوقوع فيه فيعاتبه ربه وينبهه ويرجع، فهو لا يتعمد

---

(١) منهاج السنة (١/٢٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٩٢:٢٩٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/٣٢٩).

ارتكابه، وربه لا يقره عليه فهذا هو الصواب في المسألة، وأما الكفر والكبائر فهم معصومون عنها مطلقاً، ومما يدل على جواز وقوع الزلل منهم قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾[1] وقوله تعالى عن يونس: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] وقول النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري...**»[3] وغير ذلك.

الخلاصة:

الأنبياء معصومون من الكفر والكبائر مطلقاً، ومن تعمد الصغائر، وإذا وقعوا فيها فإنهم لا يقرون عليها.

المناقشة:

س١ ـ هل يمكن صدور الكفر والكبائر من الأنبياء؟

س٢ ـ ما حكم صدور الصغائر من الأنبياء؟

س٣ ـ هل يمكن أن يقر الأنبياء على الصغائر؟

---

(١) سورة طه الآية (١١٦).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٨٧).

(٣) مسلم (٢٠٨٧/٤) ح٢٧١٩ في الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل من حديث أبي بردة عن أبي موسى مرفوعاً.

القول في الرسول ﷺ

ومحمد عليه الصلاة والسلام حبيبه وعبده، ورسوله ونبيه، وصفيه ونقيه، ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين قط، ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط.

اللغة: (صفيه) من اصطفاه واختاره (نقيه) من نقاه من كل عيب.

الشرح: إن محمداً ﷺ وهو خليل الله تعالى، كما قال: «**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا**»[١] والخلة هي أعلى درجات المحبة، وهو عبدالله تعالى كما قال عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾[٢] وهو صفيه تعالى، اصطفاه على الناس جميعا، ونقيه الذي نقاه ربه من العيوب، لم يعبد الصنم قط حتى قبل البعثة، ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين أبداً، ولم يصدر ذلك منه بحال، ولم تصدر منه كبيرة قط، ولم يرتكب صغيرة قط عمداً أو بعلم أو بعد تنبيه على ذلك، وقد قال عز وجل: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝﴾[٣].

وهذا بناء على ما سبق تقريره من أن الأنبياء معصومون من الكبائر ومن تعمد الصغائر، أو الإقرار عليها، وكذلك هم منزهون عن

---

(١) مسلم (١/٣٧٧) ح(٥٣٢) في المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عمرو بن مرة عن أبي الحارث النجراني عن جندب مرفوعاً.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٤).

(٣) سورة الفتح الآية (٣).

الكذب والرذائل والقبائح وما يشبهها، ونبينا ﷺ قد بلغ الغاية في ذلك كله.

الخلاصة:

أن النبي ﷺ خليل الرحمن وصفيه، لم يشرك به طرفة عين، ولم يعمل كبيرة أو يتعمد صغيرة أبداً.

المناقشة:

س١ ـ اذكر منزلة النبي ﷺ من ربه.

س٢ ـ هل صدرت المعاصي من النبي ﷺ؟

المفاضلة بين الصحابة

وأفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الفاروق ثم عثمان بن عفان ذو النورين ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

اللغة:

الشرح: أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أصحاب النبي محمد ﷺ، وخيرهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، خليفة رسول الله وأول الخلفاء الراشدين، وأول الرجال إسلاماً وأعظمهم إيمانا وتصديقا، ورفيق رسول الله ﷺ في هجرته وأحب الناس إليه، وقد قال ـ ﷺ ـ: «**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»(١) ومن بعده عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه، الخليفة الثاني الراشد الشهيد، خير الأمة بعد أبي بكر الصديق، الذي فتح الله به الفتوح، ومصّر به الأمصار، وقال في حقه النبي ﷺ: «**لقد كان في ما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر**»(٢). وقوله «**محدثون**» - أي ملهمون.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/٢١) ح ٣٦٥٦ في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلا من حديث عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً، وأخرجه مسلم (٤/١٨٥٥)ح ٢٣٨٣ في فضائل الصحابة من حديث ابن مسعود مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري (٧/٥٢)ح ٣٦٨٩ في فضائل الصحابة باب مناقب عمر من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً ومسلم (٤/١٨٦٤) ح٢٣٩٨ من حديث أبي سلمة عن عائشة مرفوعاً.

وبعده في الفضل عثمان بن عفان ذو النورين، زوج ابنتي رسول الله ﷺ وثالث الراشدين، الشهيد المقتول ظلماً، الذي توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، وقد قال ﷺ في حقه: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[1] يعني: عثمان ويليه في الفضل رابع الراشدين، الليث المحارب علي بن أبي طالب رضي الله عنه زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ، العدل المرتضى، أبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة الشهيد كذلك والذي قال في حقه ﷺ: «**ألا يرضيك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه ليس بعدي نبي**»[2] وهؤلاء الأربعة الخلفاء ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة صراحة، فنترضى عنهم أجمعين ونعرف لهم قدرهم وفضلهم، ولا نذكرهم إلا بالخير.

---

(١) مسلم (١٨٦٦/٤/ ٢٤٠١) في فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه من حديث عطاء وسليمان ابني يسار وأبي سلمة بن عبدالرحمن عن عائشة مرفوعا.

(٢) البخاري (٨٨/٧/ح٣٧٠٦) في فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب، من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه مرفوعاً، مسلم (١٨٧٠/٤/ح٢٤٠٤) في فضائل الصحابة باب من فضائل علي عن عامر بن سعد عن أبيه وعن مصعب بن سعد عن أبيه.

لا يكفر مسلم بذنب ما لم يستحله

عـابدين ثـابتين عـلى الحق ومع الحق، نتـولاهم جميعاً ولا نـذكـر أحـداً من أصحـاب رسـول الله إلا بخـير، ولا نكفـر مسلماً بـذنب من الذنوب وإن كـانت كبيرة إذا لم يستحلهـا ولا نزيـل عنه اسم الإيمـان، ونسميه مؤمناً حقيقة، ويجوز أن يكون مؤمناً فاسقاً غير كافر.

اللغة: (نتولاهم) نحبهم ونواليهم وننصرهم (فاسقاً) خارجـاً عن طاعة الله.

الشرح: وكانوا رحمهم الله عابدين لله عز وجل ثـابتين عـلى الحق لا يتزحزحون، وكانوا مع الحق دائماً ملازمين له مبتعـدين عن الباطـل، فكلهم نتولاهم، محبة ونصرة وغير ذلك، وكل أصحاب رسـول الله ﷺ نتولاهم ولا نذكرهم إلا بخير، ونبغض من يقـع فيهم، وقد قـال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي...**»(١) وقال الطحـاوي رحمه الله في عقيـدته: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغـير الخير يـذكـرهم ولا ذكـرهم إلا بخـير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»(٢).

وأهل السنة لا يكفرون المسلم بالذنوب كما تفعل الخـوارج، حتى لو ارتكب الكبائر، ما دام غير مستحل لها، فأما إذا استحلها فإنه يكفـر

---

(١) البخـاري (٧/٢٥/ح٣٦٧٣) في فضائـل الصحـابـة بـاب قـول النبي ﷺ لـو كنت متخـذاً خليلاً. ومسلم (٤/١٩٦٧/ح٢٥٤١) في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة كلاهما من حديث أبي صالح عن أبي سعيد مرفوعاً.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٦٤).

بذلك الاستحلال، إلا إذا كان جاهلاً، فيعرف ويعلم فإن أصر بعد البيان كفر بذلك، وهم لا يزيلون عنه اسم الإيمان بذلك، فإن الخوارج نقلوه إلى الكفر، والمعتزلة جعلوه في منزلة بين المنزلتين، وكل منهما رفعوا عنه اسم الإيمان. أما أهل السنة فيسمونه مؤمناً حقيقة، وإن كان إيمانه ناقصاً بسبب ذنوبه، فإن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي حقيقة.

ومن المعلوم أن المؤمن قد يفسق بارتكابه للكبيرة مثلاً من غير أن يخرج بذلك من الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤ ﴾[1] فحكم بفسقهم ولم يكفرهم بذلك فتنبه لهذه المسألة فإنها هامة جدا، وقد ضلت فيها طوائف، نعوذ بالله من الخذلان.

الخلاصة:

أفضل الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ونحب جميع الصحابة ونذكرهم بالخير، ولا نكفر مسلما بذنب ما لم يستحله.

المناقشة:

س١ ـ من هم أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ؟

س٢ ـ هل يجوز ذكر الصحابة بغير الخير؟

س٣ ـ هل يكفر المسلم بالمعصية، وما حكمه إذا استحلها؟

---

(١) سورة النور الآية (٤).

ذكر بعض من عقائد أهل السنة

والمسح على الخفين سنة، والتراويح في ليالي شهر رمضان سنة، والصلاة خلف كل برّ وفاجر جائزة، ولا نقول: إن المؤمن لا تضره الذنوب. ولا نقول: إنه لا يدخل النار. ولا نقول: إنه يخلد فيها.

اللغة:

الشرح: والمسح على الخفين سنة ثابتة عن النبي ﷺ، قريبة من حد التواتر، وهي ثابتة بالكتاب عند من قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[1] بكسر اللام، وثابتة من حديث النبي ﷺ لما أراد المغيرة نزع خفيه فقال له: «**دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين**»[2] وغير ذلك. وأهل السنة يعدون المسح على الخفين من أصولهم، حيث خالفت فيه طوائف من المبتدعة. والتراويح في ليالي رمضان سنة، ثابتة من فعله ﷺ وأصحابه، ومن قوله أيضاً: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[3].

وتجوز الصلاة خلف كل برّ وفاجر من أهل القبلة، إلا أن كان

---

(١) سورة المائدة الآية (٦).

(٢) البخاري (١/٣٧٠/ح٢٠٦) في اللوضوء باب إذا دخل رجليه وهما طاهرتان، ومسلم (١/٢٤٠/ح٢٧٤) في الطهارة باب المسح على الخفين كلاهما من حديث عروة بن المغيرة عن أبيه مرفوعاً.

(٣) البخاري (١/١١٤/ح/٣٧) في الإيمان باب تطوع قيام رمضان من الإيمان ومسلم (١/٥٢٣/ح٧٥٩) في صلاة المسافرين باب الترغيب في قيام رمضان كلاهما من حديث حميد بن عبدالرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً.

مبتدعاً ببدعة مكفرة، أو داعية إلى بدعة ضلالة، فإن لم يوجد إمام سنة، جازت الصلاة خلف المبتدع إلا صاحب البدعة المكفرة، قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم»(١).

وأهل السنة لا يقولون كما تقول المرجئة: إن المؤمن لا يضره ذنب، بل إن الذنوب تضر وتنقص الإيمان، ويخشى على صاحبها من الكفر، وهم يقولون: إن الإيمان ينقص بالمعاصي، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله حيث لم يدخل الأعمال في مسمى الإيمان، وقد قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»(٢).

وكذلك أهل السنة يقولون: إن المؤمن قد يدخل النار إن غلبت ذنوبه على حسناته، إلا أن يشاء الله تعالى غير ذلك، وهذا لأنه نقص إيمانه بسبب المعصية، هذا وإن كان معه أصل الإيمان، وهو يعذب في النار على قدر ذنوبه ثم يخرج منها ويدخل الجنة، وأما الخوارج فقد كفروه وصرحوا بخلوده في النار - أعني مرتكب الكبيرة من المؤمنين - والمعتزلة أخرجوه من الإيمان لكنهم لم يكفروه، بل قالوا هو في منزلة بين المنزلتين، وصرحوا بخلوده في النار كذلك.

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٥٧).

(٢) انظر نفس المصدر (ص٢٩٠).

وإن كان فاسقاً بعد أن يخرج من الدنيا مؤمناً، ولا نقول: إن حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة، ولكن نقول من عمل حسنة بجميع شرائطها خالية عن العيوب المفسدة، ولم يبطلها بالكفر والردة، والأخلاق السيئة حتى خرج من الدنيا مؤمنا فإن الله تعالى لا يضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها.

اللغة: (**يبطلها**) ينقصها ويضيع ثوابها.

الشرح: وأما أهل السنة فلا يقولون بخلوده في النار، وإن فسق بارتكاب الكبائر، ما دام لم يرتفع عنه اسم الإيمان، وكذلك أهل السنة لا يجزمون أن حسناتهم مقبولة، وسيئاتهم مغفورة قطعا كقول المرجئة، بل يرجون من الله قبول الحسنات ومغفرة الذنوب، والمؤمن لا يأمن مكر الله تعالى، وفي الحديث: «**ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات**»[١]. وأهل السنة يقولون: إن المؤمن إذا عمل الحسنة بجميع شروطها الشرعية، وكانت خالية من العيوب التي تفسدها أو تحبطها كالرياء مثلا، ولم يبطلها بالكفر والردة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾[٢] وكذلك لم يبطلها بالأخلاق السيئة، كما في مثل قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟

---

(١) الترمذي (٥/٣٢٧) ح٣١٧٥ في التفسير باب ومن سورة المؤمنون، وأحمد (٦/١٥٩) والحاكم (٢/٣٩٣: ٣٩٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، كلهم من حديث عبدالرحمن بن سعيد عن عائشة مرفوعاً، وصححه الألباني في [سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٩٥/رقم ١٦٢)].

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٧).

صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[١] وغير ذلـك من رذائـل الصفـات ومـذمـوم الأخلاق، فالمؤمن إذا عمل الحسنة بهـذا الشكل، وبهـذه الصفات، حتى يخرج من الدنيا مؤمناً إيماناً صحيحاً فإن من فضـل الله وجوده أنـه يقبل منه هذه الحسنة ولا يضيعها ويثيبه عليها، وكما في الحديث: «**من تصدق بعـدل تمرة من كسب طيب ولا يقبـل الله إلا الطيب، فـإن الله يتقبلهـا بيمينـه، ثم يربيهـا لصاحبهـا كما يـربي أحـدكم فلوّه حتى تكـون مثـل الجبـل**»[٢] وهذا كله بنـاء على الأصـل، ولكن في نهايـة المـطاف فينبغي إرجاع الأمر لله وعدم الجزم بشيء.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٤).

(٢) البخاري (٣/٣٢٦/ح١٤١٠) في الزكاة باب الصدقة من كسب طيب من حـديث أبي صالـح عن أبي هريرة مرفوعاً.

وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها صاحبها حتى مات مؤمناً فإنه مؤمناً في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه بالنار، وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلاً، والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه يبطل أجره، وكذلك العجب.

اللغة:

الشرح: ثم إن جميع السيئات التي يعملها الإنسان المؤمن دون الشرك بالله والكفر به إن مات المؤمن على غير توبة منها، لكنه مات ولم يرتفع عنه اسم الإيمان، فإن أهل السنة يقولون: إنه تحت مشيئة الله تعالى، فإن شاء الله عذبه بالنار ثم أخرجه منها بإيمانه، وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] وفي الحديث: «**ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**»[2]. وهذا هو الحق لا ريب في هذا الباب.

ثم إن الرياء إذا دخل في العمل أبطل أجره، بل قد يبطل العمل نفسه إن كان الباعث على فعله مجرد الرياء وكذلك مما يبطل أجر العمل العجب، أن يعجب الإنسان بعمله، فيدل به على الله ويرى أنه قد بلغ به أعلى المنازل، وأتى به على أحسن الوجوه، فيمن به على الله تعالى وإنما حقيقة الأمر: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ

---

(١) سورة النساء الآية (٤٨).

(٢) البخاري (١/٨١/ح١٨) في الإيمان باب ١١ من حديث أبي إدريس الخولاني عن عبادة بن الصامت مرفوعاً.

صَـٰدِقِينَ﴾[١] وإنما يجب أن يرى الإنسان النقص في عمله، وأن يسأل الله قبوله والعفو عن التقصير فيه.

الخلاصة:

يرى أهل السنة جواز المسح على الخفين، وسنية تراويح رمضان، وجواز الصلاة خلف البر والفاجر، ويجتنبون الإرجاء، ويقولون: إن المذنب لا يكفر بالذنب، لكنه تحت المشيئة، ولا يقولون: إن المعاصي لا تضر.

المناقشة:

س١ ـ ما حكم المسح على الخفين، وصلاة التراويح في رمضان؟
س٢ ـ ما حكم الصلاة خلف الفاجر؟
س٣ ـ هل يضر مع الإيمان ذنب؟
س٤ ـ ما حكم المسلم العاصي؟ وهل يقطع له بالنار؟

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٧).

آيات الأنبياء وكرامات الأولياء حق

والآيات ثابتة للأنبياء، والكرامات للأولياء حق، وأما التي تكون لأعدائه مثل إبليس وفرعون والدجال فما روي الأخبار أنه كان ويكون لهم لا نسميها آيات ولا كرامات، ولكن نسميها قضاء حاجاتهم، وذلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجا لهم وعقوبة لهم فيغترون به ويزدادون طغياناً وكفراً، وذلك كله جائز ممكن.

اللغة: **(الآيات)** العلامات **(الكرامات)** ما يكرمهم الله به من خوارق العادات.

الشرح: آيات الأنبياء والرسل ثابتة لا ريب، وهي أمور خارقة يجريها لهم الله تعالى دليلاً على صدقهم، وذلك من جنس ناقة صالح ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾(١) ومن جنسِ نجاة إبراهيم من النار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾(٢) وعصا موسى عليه السلام ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾(٣) وغير ذلك من المعجزات الثابتة لهم، برهانا من الله تعالى على صدقهم في دعوى النبوة، وكذلك كرامات الأولياء حق، والأصل في إثباتها قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾(٤) فكل ما يجري للصالحين من

(١) سورة الأعراف الآية (٧٣).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٦٩).

(٣) سورة الأعراف الآية (١١٧).

(٤) سورة آل عمران الآية (٣٧).

خوارق العادات هو مما أكرمهم الله تعالى به، وأما إذا وقع لبعض أعداء الله شيء من هذه الخوارق كإبليس وكفرعون لما ألقى سحرته العصى ﴿ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾(١) فصارت عصيهم تبدو للناس كثعابين تسعى. والدجال لسرعة انتقاله في الأرض وإحيائه للمقتول وغير ذلك، فكل هذه الأمور لا تسمى كرامات إذ ليسوا بأولياء وهم أعداء الله تعالى، تسمى قضاء حاجات، والله تعالى يقضي حاجاتهم ـ حاجات أعدائه ـ استدراجاً لهم، وعقوبة لهم، فيغترون بذلك، ويتوهمون أنهم على حق، فيزدادون من الطغيان والكفر حتى يحل بهم غضب الله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾(٣)، وكل هذه الأمور ـ أعني الآيات والكرامات وقضاء الحاجات ـ كلها ممكنة جائزة الحدوث من الله تعالى، إذ هو المالك المتصرف في كل شيء، ولا يعجزه شيء سبحانه وتعالى.

الخلاصة:

آيات الأنبياء حق ثابت، وكرامات الأولياء كذلك، وما كان من خوارق لغير المؤمنين فهي استدراج لهم.

المناقشة:

س١ ـ ما معنى آيات الأولياء؟ مثّل لها بثلاثة أمثلة؟

س٢ ـ هل كرامات الأنبياء حق؟ وما الدليل؟

س٣ ـ ما حكم الخوارق التي قد تقع لغير المؤمنين؟

---

(١) سورة الشعراء الآية (٤٤).

(٢) سورة الأنعام الآية (٤٤).

رؤية الله في الآخرة

وكان الله تعالى خالقاً قبل أن يخلق، ورازقاً قبل أن يرزق، والله تعالى يُرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة.

اللغة:

الشرح: إن الله تعالى مستحق لاسم الخالق قبل أن يخلق الخلق، وقد قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبدياً»[1] وقال أيضاً: «ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري»[2]. وهو سبحانه رازق كذلك مستحق لهذا الاسم قبل أن يرزق الخلق، فأسماؤه وصفاته سبحانه قديمة.

والله عز وجل يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون بأعين رؤوسهم رؤية حقيقية، كما قال عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3] وقال في حق الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[4] فلما أخبر أن الكافرين محجوبون عنه، دل على أن المؤمنين غير محجوبين، فدل على أنهم يرونه، وفي الحديث: «**إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما**

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٦٨).
(٢) نفس المصدر السابق (ص٧٨).
(٣) سورة القيامة الآيتان (٢٢:٢٣).
(٤) سورة المطففين الآية (١٥).

ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»[1] وهي رؤية حقيقية، لا نؤولها بما يخرجها عن حقيقتها وينفي معناها، ولا نكيفها بكيفية معينة، ولا نشبهها برؤيتنا للمخلوقين، ولا ننفيها كما نفتها الجهمية والمعتزلة وغيرهم وقوله: «ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة» لعله أن يكون مدسوساً على أبي حنيفة، فهو من ألفاظ المتكلمين، ثم إنه توضيح لكيفية الرؤية، التي نفى قبل ذلك أي تكييف لها، وكيف يرى الإنسان ما ليس بينه وبينه مسافة؟ فتنبه لهذا.

الخلاصة:

صفات الله تعالى قديمة قبل أن يخلق الخلق، والله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار حقيقة بلا كيفية.

المناقشة:

س١ ـ هل صفة الخلق والرزق قديمة أم محدثة؟

س٢ ـ هل رؤية الله تعالى حقيقية يوم القيامة أم مجازية؟

---

(١) البخاري (٢/٤٠/٥٥٤) في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر من حديث قيس عن جرير مرفوعاً.

تعريف الإيمان

والإيمان هو الإقرار والتصديق، وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد متفاضلون في الأعمال.

اللغة: (**الإقرار**) الاعتراف (**اليقين**) التصديق الجازم (**مستوون**) ومتماثلون (**متفاضلون**) متفاوتون.

الشرح: يبين الإمام أبو حنيفة رحمه الله عقيدته في الإيمان، وهي أن الإيمان عنده إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وأن إيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص، وهذا منه ـ رحمه الله ـ خلاف مذهب السلف، فإن الإيمان عندهم تصديق وإقرار وعمل، ويزيد وينقص قال النبي ﷺ: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تؤدوا من المغنم الخمس**»[1] وقال الله تعالى في حق زيادته ونقصانه: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا﴾[2] والأدلة لا تُحصى، فما ذكره رحمه الله مخالف لمذهب السلف، وقوله: «**لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به...**» هذا من ألفاظ المتكلمين المحدثة، والسلف لم يتطرقوا لهذه الجزئيات إنما قالوا فقط: «**يزيد وينقص: يزيد بالطاعة**

---

(١) أخرجه البخاري (١/١٥٧) ح٥٣ في الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان، ومسلم (١/٤٦) ح١٧ في الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، كلاهما من حديث أبي جمرة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٢) سورة المدثر الآية (٣١).

وينقص بالمعصية»، ثم إن قوله بتساوي المؤمنين في الإيمان مما يعلم بطلانه ضرورة، فليس إيمان الملائكة والأنبياء كعامة المؤمنين، وهذا مما ينبغي التنبيه له فتأمل.

الخلاصة:

الإيمان عند أهل السنة قول وعمل، ويزيد وينقص، والمؤمنون متفاضلون في الأعمال والإيمان.

المناقشة:

س١ ـ عرف الإيمان عند أهل السنة؟

س٢ ـ هل يزيد الإيمان وينقص عندهم؟ وما زيادته ونقصانه؟

س٣ ـ هل يتساوى المؤمنون في إيمانهم؟

علاقة الإسلام والإيمان

والإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى، فمن طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام، ولا يوجد إسلام بلا إيمان، وهما كالظهر مع البطن، والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها.

اللغة: (**الانقياد**) الإذعان والاتباع والطاعة.

الشرح: إن معنى الإسلام التسليم لله تعالى، والانقياد لأمره عز وجل، وعدم رده مهما كان ولكي يكون الإسلام على أحسن وجه لا بد أن ينساق المسلم لأمر الله ورسوله دون أي تردد، فمن جهة اللغة، هناك فرق بين الإسلام والإيمان، لأن أصل وضعهما من جهة اللغة مختلف ولكن في الحقيقة فإنها متلازمان كالظهر مع البطن، وإذا افترقا دل كل منهما على ما يدل عليه الآخر، فصار كل منهما عبارة عن تصديق وإقرار وعمل، ولكن إذا ذكرا مجتمعين اختص الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة، وهذا معنى قول من قال: «**إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا**» وهذا هو التحقيق في المسألة، وأما اسم الدين فهو يشمل الإسلام والإيمان وجميع شرائع الإسلام، لأن النبي ﷺ قال في حق جبريل بعد أن ذكر الإسلام والإيمان والإحسان، قال: «**أتاكم يعلمكم دينكم**»[1] فسمى كل هذه الأشياء ديناً، فدل على أن اسم الدين يشمل الشرائع كلها.

---

(١) أخرجه مسلم (١/٣٦)ح١ في أول الإيمان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

الخلاصة:

معنى الإسلام التسليم والانقياد، ومن جهة اللغة يختلف عن الإيمان، لكنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، والدين اسم يشمل الإسلام والإيمان وجميع الشرائع.

المناقشة:

س١ ـ ما معنى الإسلام؟

س٢ ـ ما العلاقة بين الإسلام والإيمان؟

س٣ ـ عرّف الدين وهل يشمل الشرائع أم لا؟

معرفتنا بالله تعالى

نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف الله نفسه، في كتابه بجميع صفاته، وليس يقدر أحد أن يعبد الله حق عبادته كما هو أهل له، ولكنه يعبده بأمره كما أمره بكتابه وسنة رسوله ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء والإيمان في ذلك، ويتفاوتون فيما دون الإيمان في ذلك كله.

اللغة: (يقدر) يستطيع.

الشرح: إن المؤمن يعرف الله تعالى حق المعرفة، بأسمائه وصفاته، كما وصف نفسه في كتابه بجميع صفاته، إذ أن المؤمن يصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وليس معنى ذلك أن المؤمن يعبد الله تعالى حق عبادته، كما هو أهل لذلك، فإن حق الله تعالى عظيم لا يستطيع مخلوق أن يؤديه كما ينبغي، بل إن الإنسان لو عبدالله سبعين عاماً لا يفتر، ما استطاع أن يؤدي شكر نعمة واحدة كنعمة البصر مثلاً.

ولهذا قال النبي ﷺ: «**واعلموا أنه لن يدخل أحد منكم الجنة عمله**»(١). وإنما يعبد المؤمن ربه، كما أمره الله تعالى بذلك في كتابه وفي سنة رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٩/٤) ح٢٨١٦ في صفات المنافقين باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، من حديث بسر بن سعيد عن أبي هريرة، ومن حديث ابن سيرين عن أبي هريرة.

والمؤمنون كلهم - كما يرى أبو حنيفة - متساوون في المعرفة واليقين، كما أنهم متساوون أيضا في أعمال الإيمان: كالتوكل والمحبة وغيرها، ويتفاوتون فيما دون ذلك، وهذا باطل لا شك، فالمؤمنون متفاوتون في كل ذلك، وكيف يكون يقين أي منا كيقين النبي ﷺ، وتوكله كتوكله، فهذا كلام واضح البطلان، ولكن المؤمنين متفاوتون في الإيمان وفي الأعمال لا شك في ذلك.

الخلاصة:

لا يستطيع أحد أن يؤدي حق الله في العبادة، والمؤمنون متفاوتون في الإيمان والأعمال، متفاضلون في كل ذلك.

المناقشة:

س١ ــ هل يؤدي أحد حق الله تعالى عليه كما ينبغي؟

س٢ ــ هل يتفاوت المؤمنون في الإيمان والأعمال أم يتساوون؟

شفاعة الأنبياء والميزان والحوض

والله تعالى متفضل على عباده، عادل قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجبه العبد تفضلاً منه، وقد يعاقب على الذنب عدلاً منه، وقد يعفو فضلاً منه وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق، وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمنين المذنبين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت، ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق، وحوض النبي عليه الصلاة والسلام حق.

اللغة: (**متفضل على عباده**) محسن إليهم **أضعاف**) جمع ضعف وهو مثل الشيء معه (**الشفاعة**) طلب قضاء حق الغير (**المستوجبين العقاب**) المستحقين له.

الشرح: إن الله تعالى متفضل على الناس، بنعمه وإحسانه، وعفوه وحلمه، وهو سبحانه عادل لا يظلم، بل يعطي من الثواب على الحسنة أضعاف ما يستحق العبد، وذلك كرم منه تعالى وفضل كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[1]. كما أنه تعالى قد يعاقب على الذنب، وإن فعل فذلك عدل منه لاستحقاق العبد العقاب بمعصيته وقد يعفو تعالى عن صاحب الذنب فضلا منه، وذلك نعمة كبرى منه سبحانه يستحق الشكر عليها وشفاعة الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة ثابتة بالكتاب

---

(١) سورة النساء الآية (٤٠).

والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾(١) فشفاعتهم ثابتة لكنها إنما تكون بإذن الله تعالى، وشفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من المسلمين الذين استوجبوا العقاب بذنوبهم، هذه الشفاعة حق ثابت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(٢) فشفاعته ﷺ للمذنبين حق إن شاء الله تعالى.

ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، كما سبق الكلام عنه، وكذلك حوض النبي ﷺ حق ثابت، وهو حوض عظيم: ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ورائحته كريح المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا يرده المؤمنون يوم القيامة، ويصد عنه أهل البدع والمحدثات، وهو حوض عظيم الاتساع قال في حقه النبي ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً**»(٣) وهذا الحوض المورود مما يكرم به نبينا ﷺ.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٥).

(٢) أحمد (٣/٢١٣) وأبو داود (٥/١٠٦/ح/٤٧٣٩) في السنة باب في الشفاعة، والترمذي (٤/٦٢٥ ح٢٤٣٥) في صفة القيامة باب كلهم من حديث أنس مرفوعاً، وورد من حديث جابر وابن عباس وابن عمر وكعب بن عجرة وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في (صحيح الجامع ١/٦٩١/رقم ٣٧١٤).

(٣) البخاري (١١/٤٧٢/ح٦٥٧٩) في الرقاق باب في الحوض من حديث أبي مليكة عن ابن عمرو مرفوعاً.

الجنة والنار لا تفنيان

والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق، وإن لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز. والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا، ولا تموت الحور العين أبداً، ولا يفنى عقاب الله تعالى. وثوابه سرمدا، والله تعالى يهدي من يشاء فضلا منه، ويضل من يشاء عدلا منه، وإضلاله خذلانه وتفسير الخذلان أن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه وهو عدل منه. وكذا عقوبة المخذول على المعصية.

اللغة:

الشرح: إن القصاص بين الخصوم يوم القيامة بإعطاء المظلوم من حسنات الظالم، وإن لم يكن له حسنات فبطرح شيء من سيئات المظلوم على الظالم، كما صح الحديث بذلك «**فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»(١)، ومما يعتقده أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان الآن وموجودتان لا تفنيان أبدا، خلافا لقول من قال غير ذلك من أهل البدع. والحور العين خالدات لا يمتن أبداً.
بل خالدات بخلود الجنات، وكذلك فإن النار لا تفنى، ولا يفنى عذابها، فعقاب الله دائم لا ينقطع، وثوابه تعالى دائم لا ينقطع.

والله تعالى يهدي من يشاء تفضلاً منه، ويضل من يشاء عدلاً

(١) مسلم (١٩٩٧/٤/ح٢٥٨١) في البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم، وأحمد (٣٠٣/٢) والترمذي (٦١٣/٤/ح٢٤١٨)في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، كلهم من حديث العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.

منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾[1]. قال الإمام الطحاوي في عقيدته: «يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا. وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله»[2].

والإضلال هو الخذلان، ومعنى الخذلان الحرمان من التوفيق إلى ما فيه رضوان الله، وإذا ما خذل الله عبداً فهذا عدل منه وهو يستحق الخذلان، وكذلك عقوبة الله للمخذول على ما يرتكبه من المعاصي عدل من الله تعالى.

الخلاصة:

الله تعالى قد يعاقب على الذنب أو يعفو، ويضاعف الحسنات، وللأنبياء شفاعة ثابتة، والوزن حق، والحوض حق، والقصاص حق، والجنة والنار حق لا تفنيان، والهدى والضلال بيد الله تعالى.

المناقشة:

س١ ـ ما القول في شفاعة الأنبياء؟

س٢ ـ ماذا تعرف عن الحوض والميزان؟

س٣ ـ هل يقتص للخصوم من بعضهم يوم القيامة؟

س٤ ـ ما حكم القول بفناء النار؟ وهل ينقضي بقاؤها وبقاء الجنة؟

---

(١) سورة النحل الآية (٩٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٩٨).

عذاب القبر

ولايجوز أن نقول: إن الشيطان يسلب الإيمان من العبد المؤمن قهراً وجبراً. ولكن نقول: العبد يدع الإيمان فحينئذ يسلبه منه الشيطان.

وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر، وإعادة الروح إلى الجسد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين حق جائز، وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى عز اسمه فجائز القول به سوى اليد بالفارسية ويجوز أن يقال (بَرُوىء خُدَ) أي -عز وجل- بلا تشبيه ولا كيفية.

اللغة: (يدع) يترك.

الشرح: إن الشيطان لا يستطيع أن يسلب الإيمان من المؤمن قهراً وجبراً، ولكن إذا تخلى العبد عن إيمانه ويقينه وعمله الصالح، وركن إلى الشبهة والمعصية وغيرها، فحينئذ يسلب الشيطان منه الإيمان، ومن أصول أهل السنة الإيمان بسؤال القبر ويباشره ملكان هما منكر ونكير، وقد ثبت في حقهما عدة أحاديث صحيحة منها قوله ﷺ: «**إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل**»[1]. الحديث وهكذا فإن أهل

(١) الترمذي (٣/٣٨٣/ح/١٠٧١) في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً وقال الترمذي: حسن غريب، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع ١/١٨٦/ح٧٢٤).

السنة يؤمنون بأن الروح ترجع إلى الجسد في القبر للسؤال، وهذا حق ثبتت به الأحاديث الصحيحة، وكذلك ضغطة القبر وعذابه حق، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة ومنها الحديث السابق، فهذا كله حق كائن للكفار لا شك فيه، وقد وردت فيه النصوص الكثيرة من القرآن والسنة، فلا سبيل لإنكاره، وأثبتت النصوص كذلك أن عصاة المؤمنين يجوز أن يعذب الله من شاء منهم في القبر بذنوبه حتى يقضي ما عليه.

ثم بين الإمام رحمه الله أن ما قاله العلماء بالفارسية أو بغيرها من اللغات غير العربية من صفات الله تبارك وتعالى فيجوز القول به ما عدا اليد بالفارسية فلا يجوز القول بها ولكن يجوز أن ينطق الإنسان كلمة عز وجل بالفارسية أو غيرها.

معنى القرب والبعد

وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها، ولكن على معنى الكرامة والهوان، والمطيع قريب منه بلا كيف، والعاصي بعيد منه بلا كيف، والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي وكذلك جواره في الجنة، والوقوف بين يديه بلا كيفية.

اللغة: (المناجي) المفعول من ناجى، والمناجاة هي الكلام الهامس.

الشرح: والله تعالى يقرب من يشاء من المؤمنين، فيكرمه وينصره ويسدده، ويبعد من يشاء من العصاة والكافرين فيهينه ويخذله، كل ذلك بلا كيف، وكذلك جواره في الجنة، والوقوف بين يدي الله تعالى، كل ذلك حق نؤمن به ولا نكيفه، فإن التكييف باب الضلال.

الخلاصة:

سؤال القبر وعذابه حق، والشيطان يسلب الإيمان إذا تركه العبد، ويجوز ذكر الله تعالى بالفارسية ما عدا اليد، وقربه وبعده تعالى من عباده، ووقوفهم بين يديه، ومجاورتهم له، كل ذلك بلا كيف.

المناقشة:

س١ ــ ماذا تعرف عن سؤال القبر وعذابه؟
س٢ ــ هل يقدر الشيطان أن يسلب الإيمان من العبد ابتداء؟
س٣ ــ هل يمكن تكييف القرب والبعد لله تعالى؟

القول في تفاضل آيات القرآن

والقرآن منزل على رسول الله ﷺ، وهو في المصاحف مكتوب، وآيات القرآن في معنى الكلام كلها مستوية في الفضيلة والعظمة، إلا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل آية الكرسي لأن المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته، فاجتمعت فيها فضيلتان: فضيلة الذكر وفضيلة المذكور، ولبعضها فضيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفار، وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار، وكذلك الأسماء والصفات كلها مستوية في العظمة والفضل لا تفاوت بينها.

اللغة: (جلال) هو العظمة ورفعة الشأن.

الشرح: القرآن هو كلام الله تعالى، منزل على رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾(١) والقرآن الذي هو كلام الله تعالى، هو هذا المكتوب في المصاحف بين أيدينا كما هو الإجماع على ذلك.

وآيات القرآن كلها مستوية في الفضيلة والعظمة كونها كلام الله تعالى، غير أن بعض الآيات لها فضيلة زائدة من حيث إنها كلام الله، وكونها تشتمل على ذكل أشياء لها فضل على غيرها مثل آية الكرسي، فهي كلام الله، وتشتمل على ذكر أمور مثل جلال الله تعالى وعظمته وبعض صفاته، فلها فضل على غيرها، بينما هناك بعض الآيات لها

---

(١) سورة النساء الآية (١٠٥).

فضيلة الذكر كونها كلام الله تعالى إلا أن المذكور فيها لا فضل له كالآيات التي فيها ذكر الكفار، فهي كلام الله تعالى ولكن الكفار المذكورين فيها ليس لهم فضل.

وكذلك أسماء الله وصفاته مستوية في الفضل والعظمة، ولكنا نقول: إن هذه الأسماء ما يفضل على غيره، كما في حديث: «**اسم الله الأعظم في ثلاث آيات**...»(١) فهي تتفاضل كذلك كما تفاضل الكلام.

الخلاصة:

آيات القرآن متساوية في الفضل والعظمة، إلا أن لبعضها فضلا زائداً، وصفاته تعالى وأسماؤه متساوية في الفضل والعظمة إلا أن لبعضها فضلا؟

المناقشة:

س١ ـ هل تفاوت آيات القرآن في الفضل؟

س٢ ـ هل تتفاوت أسماء الله تعالى وصفاته في الفضل؟

---

(١) الحاكم (١/٥٠٥) من حديث القاسم عن أبي أمامة وسكت عنه، والطبراني والبيهقي وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٢٨) رقم ٩٧٩.

أبناء رسول الله وبناته

وقاسم وطاهر وإبراهيم كانوا بني رسول الله ﷺ، وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم كن جميعاً بنات رسول الله ﷺ. وإذا أشكل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد، فإنه ينبغي له أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى إلى أن يجد عالماً فيسأله، ولا يسعه تأخير الطلب، ولا يعذر بالوقف فيه، ويكفر إن وقف، وخبر المعراج حق، من رده فهو مبتدع ضال.

اللغة: **(أشكل)** اشتبه **(دقائق)** المسائل الدقيقة وهي العويصة **(المعراج)** مفعال من العروج أي الصعود، وهو ما يصعد عليه.

الشرح: وأبناء النبي ﷺ هم: القاسم وبه كان يكنى، والطاهر ويقال له: الطيب ويقال: عبدالله، وهما ولداه من خديجة رضي الله عنها، وإبراهيم وهو ولده عليه الصلاة والسلام من أمته مارية التي أهداه إياها المقوقس ملك مصر، وليس له أولاد غيرهم رضي الله عنهم، وأما بناته فهن فاطمة زوج علي بن أبي طالب وأم الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً، ورقية وهي زوج عثمان بن عفان، وأم كلثوم وتزوجها كذلك عثمان بعد وفاة رقية رضي الله عنهم، وزينب وتزوجها أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه وكلهن بناته من خديجة رضي الله عنهن، وانتقل الإمام رحمه الله إلى مسألة أخرى وهي الكلام عما يجب على الإنسان إذا أشكل عليه شيء من مسائل التوحيد الدقيقة والعويصة فالواجب عليه أن يعتقد ما هو الصواب عند الله، كالجاهل الذي يسأل في أمر فيشكل عليه، فيوطن نفسه على اعتقاد ما هو حق

عند الله تعالى، إلى أن يجد عالماً فيسأله، ولا يجوز له التأخر والتقاعس في السؤال والبحث.

وأما قوله بأنه **(لا يعذر بالوقف)** ففيه تناقض مع ماقبله، إلا إذا كان المقصود بالتوقف هنا هو التوقف في قبول الخبر أو الأمر، فهذا مما ينافي الإيمان حقاً، لكنه إن قبل الخبر أو الأمر لكنه قال أو من بما هو الصواب عند الله تعالى. وذلك حتى يتمكن من السؤال والبحث، فهنا يثبت إيمانه.

وأما خبر المعراج فهو حق ثابت لا ينكره إلا مبتدع ضال، وقد أطبق أهل السنة على الإيمان به والقول به، ولم ينكره إلا المبتدعة أهل الضلال، لكنه حق.

الخلاصة:

كان للنبي ﷺ ثلاثة أولاد وأربع بنات، والواجب على كل إنسان اعتقاد ما هو الحق عند الله فيما يستغلق عليه من مسائل التوحيد، ويجب الإيمان بخبر المعراج واعتقاد أنه حق.

المناقشة:

س١ ـ اذكر من هم أبناء رسول الله ﷺ وبناته؟

س٢ ـ ما الواجب على الإنسان إذا اشتبه عليه شيء من مسائل التوحيد؟

س٣ ـ ما حكم من أنكر خبر المعراج؟

أشراط الساعة

وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

اللغة: (سائر) جميع.

الشرح: ومما يؤمن به أهل السنة والجماعة ما وردت به النصوص من أشراط الساعة وعلاماتها ومنها خروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء وغيرها، وقد جمعها النبي ﷺ في قوله في الساعة: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج**»[1] الحديث فكل هذه العلامات وغيرها مما وردت به الأخبار الصحيحة كله حق كائن ولا بد وذلك بمقتضى تصديقنا الخبر، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢٦/٤) ح٢٩١٠ في الفتن باب الآيات التي تكون قبل الساعة، وأحمد (٦/٤) وغيرها من حديث أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري.

الخلاصة:

يؤمن أهل السنة بسائر علامات الساعة التي وردت في الأخبار الصحيحة، وهي كائنة لا محالة.

المناقشة:

س١ ــ هل يجب الإيمان بعلامات الساعة الواردة في الأخبار؟

س٢ ــ اذكر بعضاً من علامات الساعة الواردة في الأخبار الصحيحة؟

الفصل الثالث

شرح
العقيدة الطحاوية
الميسر

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(١)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[(٢)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[(٣)].

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فهذا شرح موجز لبيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني والذي قرره عنهم **الإمام أبو جعفر الطحاوي**، وقد أجاد وأفاد رحمه الله تعالى، وكيف لا، وهو أثبت من نقل عقيدة الأئمة المذكورين، لرسوخ علمه ومكانته في المذهب الحنفي، فهو أثبت من قرر عقيدة هؤلاء الأئمة، إذ إنه ثقة عند الفقهاء والمحدثين، **وقد تلقت جماهير الأمة هذا المتن الذي قرره الطحاوي بالقبول**، وكثرت شروحاته

((١)) آل عمران: الآية (١٠٢).

((٢)) النساء: الآية (١).

((٣)) الأحزاب: الآيتان: (٧٠-٧١).

والتعليقات عليه، فمنهم من وافق السنة، ومنهم من سلك طريقة المتكلمين، ومن أعظم هذه الشروح وأغزرها فائدة شرح الإمام ابن أبي العز الأذرعي الحنفي - رحمه الله تعالى -، **وقد تعقب على الطحاوي في هذه العقيدة ثلاث مسائل:**

الأولى:

قول الطحاوي «قديم بلا ابتداء» فهذه من محدثات أهل الكلام، ولا يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ.

الثانية:

قوله: «**تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات**» وهذه ألفاظ لم ترد في الشرع لانفياً ولا إثباتاً، بل هي من محدثات المتكلمين، والأولى التقيد بالألفاظ الشرعية.

الثالثة:

تقريره «**أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان**»، **فأخرج بذلك الأعمال من اسم الإيمان، وهذا خلاف ما عليه جماهير السلف من المذاهب المختلفة.**

فرحم الله **الإمامين**: الطحاوي وابن أبي العز وسائر الأئمة أجمعين، على خدمتهم للسنة ولعقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد أحببت أن أشرح هذه العقيدة، شرحاً موجزاً، يناسب المبتدئين من طلبة العلم، وينفع العامة.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين وأن يثقل لي به الموازين.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

الفقرة الأولى

قال الإمام الحجة أبو جعفر الوراق الطحاوي رحمه الله:

هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين.

[١] نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله:

إن الله واحد لاشريك له.

اللغة: الشريك: هو من له نصيب من الشيء.

الشرح: إن الله - تعالى - واحد في كل شيء، واحد في ذاته، واحد في أفعاله، واحد في أسمائه وصفاته، واحد في استحقاقه للعبودية، لاشريك له في شيء من ذلك، فلا شريك له في خلقه وأمره ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(١) و ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢) و لاشريك له في النفع والضر والإماتة والإحياء وغير ذلك من ألوان التصرف والتدبير في هذا الكون.

وكذلك لا شريك له في أسمائه وصفاته، ولا شريك له في ألوهيته واستحقاقه للعبودية ولايتم توحيد عبد حتى يتخلص من كل أنواع الشرك هذه، ويأتي بضدها من أنواع التوحيد الواجب عليه، فيوحده في

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣.

ربوبيته وأفعاله، ويوحده في أسمائه وصفاته فلا يصف مخلوقاً بما لا يستحقه إلا الخالق، ويوحده في ألوهيته فلا يصرف أياً من أنواع العبادة لغيره ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(١) و ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢).

[٢] ولا شيء مثله.

[٣] ولاشيء يعجزه.

[٤] ولا إله غيره.

اللغة يعجزه: أعجزه الشيء: أي جعله عاجزا لايقدر عليه.

إله: معبود فالإله هو المعبود، وإله كل شخص ما يعبده.

الشرح: **(ولا شيء مثله)** وهذا من أصول التوحيد أن تعتقد بأن الله - تعالى - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣) فلا يشبه أحداً من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلقه، لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في حقوقه، **(ولا شيء يعجزه)**أي أنه - تعالى - على مايشاء قدير، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٤) ولا يعسر عليه شيء ولايعجزه شيء ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾(٤) وذلك من تمام قدرته وكمالها سبحانه وتعالى، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٤٤.

يكن، وهذا دال على كمال ربوبيته. (ولا إله غيره) وهذه كلمة التوحيد، وهي التي دعت إليها كل الرسل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١) ومعناها لا مستحق للعبادة إلا الله، وذلك لأنه هو الخالق الرازق، المالك المدبر، فاستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة دون سواه، وما عبد من دونه فإنما عبد الباطل ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾(٢) وذلك لأنهم لايملكون شيئاً من الأمر ولا التصرف ولا التدبير، وهذه الكلمة فيها نفي لعبادة ما سواه وإثبات العبادة له وحده، فيها كفر بما عبد من دونه، تم إثبات العبادة له، وهي توحيد الألوهية.

الخلاصة:

إن الله - تعالى - واحد في ذاته، وأسمائه وصفاته، واحد في استحقاقه للعبودية، ولا يشبهه شيء من خلقه في شيء من ذلك، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء ولايتعسر عليه شيء، كما أنه لا مستحق للعبادة غيره سبحانه وتعالى.

المناقشة:

[١] ما معنى وحدانية الله تعالى؟
[٢] ما هي أنواع التوحيد الثلاثة؟
[٣] ما هي أنواع الشرك الثلاثة؟
[٤] أذكر الكلمة التي دعا إليها جميع الرسل.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٢) سورة الحج، الآية: ٦٢.

الفقرة الثانية

[٥] قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء.

[٦] لايفنىٰ ولايبيد.

[٧] ولايكون إلا ما يريد.

اللغة: **(القديم)** وهو المتقدم على غيره، **(لايفنىٰ ولايبيد)** الفناء والبيد بمعنى والمقصود لايهلك ولايزول.

الشرح: **(القديم)** ليس من أسماء الله - تعالى - والمقصود أنه - تعالى - لم يسبقه شيء كما أنه دائم وباق بلا نهاية، وذلك معنى قوله - تعالى - : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[١] فالأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء، وقد فسر النبي، ﷺ، بذلك **(لايفنىٰ ولايبيد)** كما قال - تعالى - : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٢]،وكما قال - تعالى - : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٣] فالله - تعالى - يفني خلقه، ولايفنىٰ، ويبيديهم ولا يبيد، بل هو الآخر بعد كل شيء سبحانه - وتعالى - .

(ولايكون إلا ما يريد) فالله - تعالى - على ما يشاء قدير، قال - تعالى - : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٤] فإذا أراد الله أمراً أوجده رغماً عن جميع خلقه، وإذا لم يرد أمراً فلا يستطيع الخلق جميعاً أن يوجدوه،

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

وهـذه هي الإرادة الكونيـة القـدريـة التي لاتتخلف، فكـل خـير أو شر يحدث في هذا الكون إنما يحـدث بمشيئته وإرادتـه، وإرادته لاتغلب، فـما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن والدلائل على ذلك كثيرة جداً.

(٨) لاتبلغه الأوهام، ولاتدركه الأفهام.

(٩) ولايشبه الأنام.

(١٠) حي لايموت، قيوم لاينام.

اللغـة: (**لاتبلغـه الأوهـام**) أي لاتنتهي إليـه الـظنـون، (**الأنـــام**) الخلق، (**القيوم**) القايم الدائم قيم على كل شيء يحفظه ويكلؤه.

الشرح: إن الله ـ تعالى ـ لايحيط به أحد من خلقه علماً، كما قال ـ تعـالى ـ:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[١] فـلا تبلغـه الـظنـون والأفكـار، والتخيلات والتصورات، ولا يعـرف أحد من خلقـه كنه ذاتـه، كما أنـه لايشبه أحداً من خلقه لا في ذاته ولا في أسـمائه، ولا في صفـاته ولا في أفعاله، سبحانه ـ وتعالى ـ ليس كمثله شيء، وهو سبحـانه وتعـالى حي لايموت كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ وقال: ﴿**كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾[٢]، وقال: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[٣]فـالله ـ تعالى ـ حي لايـدركه المـوت، وهو قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وإلا اختلت مـوازين الكون كله، بـل هو القائم على أمور ملكه سبحانه ـ وتعالى ـ.

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٨.

وفي هذا كله رد على المشبهة الذين شبهوا الله - تعالى - بخلقه فكفروا بذلك.

(١١) خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة.

(١٢) مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة.

اللغة: **(بلامؤنة)**: بلا ثقل ولاكلفة، **(بلا مشقة)**: بلا تعب ولا جهد.

الشرح: إن الله - تعالى - لم يخلق لحاجته إليهم، ولا لرغبته في الاستعانة بهم. إنما خلقهم لعبادته، قال - تعالى - : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١] وهو سبحانه - وتعالى - يرزق جميع خلقه من إنس وجن، وطير ووحش وغيرهم، المؤمن والكافر، ويعطي كل واحد منهم مسألته من غير أن ينقص ذلك من ملكه شيئاً، بيده مقاليد السموات والأرض، وهو سبحانه - وتعالى - يتوفى خلقه دون مخافة ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٢] ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[٣] والله - تعالى - : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[٤] وهو يبعث الموتى يوم القيامة ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٤١.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[١] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾[٢]، فالله ـ تعالى ـ يبعث الناس يوم القيامة بعد موتهم، ولا يشق عليه ذلك، فالذي يحيي الأرض بعد موتها بالماء الذي ينبت به الزرع قادر على أن يحيي الموتى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٣]، والذي خلقهم أول مرة قادرة على أن يعيدهم مرة أخرى، وذلك أهون عليه، سبحانه ـ وتعالى ـ عما يصفون.

الخلاصة:

إن الله تعالى الأول والآخر حي لايموت فعال لما يريد، لايحيطون به علماً، لاتأخذه سنة ولانوم، لايسأل عما يفعل وهم يسألون.

المناقشة:

(١) هل من أسماء الله تعالى (القديم).

(٢) ما معنى ولايكون إلا مايريد؟

(٣) هل الشركاء بإرادة الله؟

(١) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

الفقرة الثالثة

(١٣) ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًّا، كذلك لا يزال عليها أبديًّا.

(١٤) ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري.

اللغة: (أزليًّا) هو المتناهي في القديم الذي لا بداية له، (أبديًّا) الذي يبقى بلا نهاية.

(الباري) برأ الخلق أي خلقهم من غير مثال سابق.

الشرح: إن كل صفة من صفات الله ـ تعالى ـ ثابتة له أزلاً، من قبل أن يخلق خلقه، وهي كلها صفات كمال، وعدمها نقص ومحال أن يتصف الله ـ تعالى ـ بالكمال بعد النقص ولم تنضف صفة إليه ـ سبحانه وتعالى ـ بعد أن خلق الناس، بل كل صفاته ثابتة له قبل خلقهم، وكما أنه ـ سبحانه وتعالى ـ بعد أن خلق الناس، بل كل صفاته ثابتة له قبل خقلهم، وكما أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أزلي بصفاته، فليس لها مبتدأ فكذلك هو أبدي عليها، فلا تنقض هذه الصفات، بل هي باقية ببقاء الموصوف ـ سبحانه وتعالى ـ.

وهو ـ تعالى ـ **خالق قبل أن يخلق الخلق**، مُتَسَمٌّ بهذا الاسم حتى قبل خلقهم، وليس تسميه بهذا الاسم متوقفاً على حدوث خلقهم فعلاً.

وكذلك لم يستفد ويكتسب اسم الباري بعد أن أحدث البرية،

بل هو الباري حتى قبل إحداثهم وخلقهم، فأسماؤه وصفاته قديمة قدم ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ وقد ثبت أن النبي، ﷺ، أخبر أن الله ـ تعالى ـ **«قدَّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»**(١).

(١٥) له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق.

(١٦) وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قيل إنشائهم.

(١٧) ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

اللغة (الربوبية) الملك والتصرف والتدبير (مربوب) مخلوق، (يسير) سهل:

الشرح: إن الله ـ تعالى هو الرب بكل معاني الربوبية حتى قبل أن يخلق أحداً من خلقه، وكذلك هو الخالق حتى قبل أن يخلقهم، فهذه الأسماء وما دلت عليه من المعاني ثابتة له من قبل ومن بعد. فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ كما أنه محيي الموتى بعد أن يحييهم، فإنه محيي الموتى قبل أن يحييهم، وكما أنه الخالق بعد أن أنشأ خلقه، فإنه الخالق قبل أن ينشئهم كذلك.

لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ على كل شيء قدير، إذا أراد شيئاً فعله، وإذا لم يرد شيئاً لم يكن هذا الشيء وهذه هي الإرادة الكونية القدرية

(١) مسلم ح (٢٦٥٣) في القدر باب حجاج آدم وموسى، وأحمد (٢/١٦٩) وغيرهما من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً.

التي لا يخرج عنها شيء، ولا تتخلف أبداً، وقد قالت المعتزلة: قادر على كل ما هو مقدور له، وأما أفعال العباد فلا يقدر عليها، وهذا سلب لصفة الكمال فإن الله ـ تعالى ـ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١) وكذلك كل شيء كائن في هذا العلم فبإرادة الله ـ تعالى ـ ومشيئته والإيمان بهذه المسألة من أهم لوازم الإيمان بالربوبية لله ـ تعالى ـ، وكل شيء في هذا الكون مفتقر إلى الله ـ تعالى ـ محتاج إليه في إيجاده وبقائه، وكل أمر على الله ـ تعالى ـ يسير كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٢)، وهو لا يحتاج إلى شيء ـ سبحانه وتعالى ـ بل كل شيء محتاج إليه ضرورة وحاجته لله ـ تعالى ـ ثابتة لا تتغير ولا تكون في وقت دون وقت أو مكان دون مكان. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣).

الخلاصة:

صفات الله ـ تعالى ـ الذاتية قديمة، وصفاته الفعلية قديمة النوع وإن حدثت آحادها وهي باقية ببقائه ـ تعالى ـ وهو مستحق لأسمائه وصفاته قبل خلقه وبعد خلق.

المناقشة:

(١) هل معنى الربوبية لله يحتاج إلى وجود مربوبين؟
(٢) هل قدرة الله نافذة في كل شيء
(٣) ما معنى قوله ـ تعالى ـ: **﴿ليس كمثله شيء﴾**؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الشورىٰ الآية: ١١.

الفقرة الرابعة

(١٨) خلق الخلق بعمله.

(١٩) وقدر لهم أقداراً.

(٢٠) وضرب لهم آجالاً.

(٢١) ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم.

اللغة: (آجالاً) جمع أجل وهو المدة التي ينتهي إليها الشيء.

الشرح: إن الله ـ تعالى ـ خلق الخلق عالماً بهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1] فعلمه ـ تعالى ـ محيط بكل شيء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[2] يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[3] لا يغيب عنه شيء، وعلمه محيط بالكليات والجزئيات، ـ سبحانه وتعالى ـ وكل شيء خلقه الله ـ تعالى ـ بقدر كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[4] وكما قال أيضاً: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[5] فالخير والشر مقدران، وكل شيء مخلوق بقدر وفي ذلك رد على من زعموا أن الشر ليس مخلوقاً لله،

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٣) سورة سبأ، الآية ـ ٣.

(٤) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٢.

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ قد كتب لخلقه آجالاً لا يتخطونها، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣] فلا يمكن أن يتقدم شيء أو يتأخر عن الأجل الذي ضربه الله له.

هذا وإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كان ولم يزل يعلم كل شيء قبل أن يخلق خلقه، وعلم أهل السعادة وأهل الشقاوة، والصالحين والطالحين، كل ذلك قبل خلقهم، وعلم ما يكون منهم في يوم كذا على هيئة كذا ـ سبحانه وتعالى ـ لا تخفى عليه من خلقه خافية.

الخلاصة:

لقد خلق الله الخلق بعلمه، وقدر مقادير لكل شيء، ولم يخف عليه شيء من خلقه ولا من أعمالهم وذلك قبل خلقهم.

المناقشة:

(١) ما معنى قوله: وقدر لهم أقداراً؟
(٢) لماذا تعتقد أن الله يعلم أعمال العباد قبل خلقه لهم؟

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

الفقرة الخامسة

(٢٢) وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته.

(٢٣) وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن.

اللغة: (ومشيئته تنفذ) وإرادته تمضي وتقع وتتحقق.

الشرح: لقد أمر الله خلقه بطاعته، ووعدهم على طاعته جزيل الثواب، ونهاهم عن معصيته وتوعدهم عليها بالعقاب، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[١] وذكره رحمه الله ـ تعالى ـ للأمر والنهي بعد كلامه عن الخلق إشارة إلى أن الخالق له الأمر والنهي كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾[٢] وكل شيء يجري بتقدير الله ومشيئته بقضائه وقدره فليس هناك شيء كائن إلا بمشيئة الله ـ تعالى ـ ولا يمكن أن يقع شيء في هذا الكون دون مشيئة الله ـ تعالى ـ ومشيئته ـ سبحانه وتعالى ـ تنفذ وتتحقق، ولا يمكن أن تتخلف أبداً، وهي المشيئة الكونية القدرية ويراد بها كل ما أراد الله أن يقع في هذا الكون، من خير أو شر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٣] وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٤] ومشيئة العباد لا تخرج عما شاء الله

---

(١) سورة النساء الآية: ١٣، ١٤.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٥٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

لهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١) وهذه الإرادة الكونية غير الإرادة الشرعية التي قد لا تتحقق، فقد يحب الله أمراً ولا يشاء حدوثه، وقد يبغض الله أمراً لكنه يشاء أن يقع لحكمة يعلمها، وما شاء الله لعباده كان، وما لم يشأ لهم فلا يمكن أن يقع ولو أرادوه جميعاً، وهذا خلاف ما ذهبت إليه القدرية من أن المعصية يحدثها الإنسان بإرادته مستقلاً عن أرادة الله ـ تعالى ـ والله ـ تعالى ـ لا يريدها، وإنما فاعلها الإنسان فقط وهو مريدها من دون الله، وهكذا جعلوا الإنسان مريدا لأشياء وموجداً لها دون إرادة الله.

(٢٤) يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً.
(٢٥) وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله.

اللغة: (يعصم) يمنع من الوقوع في الضلالة.

الشرح: (٢٤) إن الله ـ تعالى ـ هو الذي يهدي من يشاء من عباده للإيمان، ويعصمهم من الوقوع في الضلال والمعاصي، ويعافيهم من ذلك، ومن آثاره الضارة في الدنيا والآخرة، فمن فعل الله به ذلك فهو فضل من الله ـ تعالى ـ ومنة تستوجب الشكر عليها، كما أنه ـ سبحانه ـ يضل من يشاء من خلقه، ويخذلهم، فيكلهم إلى أنفسهم، ويخلي بينهم وبين الشيطان، فلا يعصمهم، ويبتليهم بذلك، فيقعون في الضلال والمعصية، وذلك عدل منه ـ سبحانه وتعالى ـ له الحكمة البالغة، وله العدل المطلق، والدليل على أن الله ـ تعالى ـ هو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، قوله ـ تعالى ؛ ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١) وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٢) وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٣) فكل ذلك من عند الله ـ تعالى ـ وهذا من أصول أهل السنة خلافاً للمعتزلة الذين قالوا بأن أفعال العباد مخلوقة لهم.

أما أهل السنة فيقولون من اهتدى فالله هو الذي هداه بفضله ونعمته، ومن ضل فالله هو الذي أضله بعدله.

(٢٥) وكل الناس يتقبلون في مشيئة الله ـ تعالى ـ بين هذين الأمرين، الفضل والعدل، فإن الناس: إما مؤمن مهتد راشد، وذلك بفضل الله ـ تعالى ـ وعلمه وحكمته وكرمه ونعمته، وإما ضال زائغ بالكفر أو الفسق، وذلك بعدل الله ـ تعالى ـ وعلمه وحكمته، فلا خروج لأحد عن مشيئة الله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٤) ثم إن المرء نفسه قد يهتدي تارة بفضل الله ـ تعالى، ثم يعاقبه الله ـ عز وجل ـ على ذنوب أو غفلة فيخذله، ثم قد تدركه الهداية بعد ذلك، وقد يضل ضلالاً أبدياً والعياذ بالله ـ تعالى ـ وكل شيء بمشيئته ـ عز وجل ـ.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٣.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٤) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

الخلاصة:

أمر الله الخلق بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بقضائه ومشيئته،، ومشيئة العباد تحت مشيئة الله، وهو الهادي لمن يشاء، ويضل من يشاء، ولا خروج لأحد عما شاء الله له.

المناقشة:

(١) بماذا أمر الله ـ تعالى ـ؟ وبماذا نهى؟

(٢) هل تشمل إرادة الله الخير والشر؟

(٣)فسر المقصود بأن الله ـ تعالى ـ يضل من يشاء بعدله.

الفقرة السادسة

(٢٦) وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد.

(٢٧) لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره.

اللغة: **(الضد)**: المخالف، **(الند)** المماثل والمكافىء.

الشرح: (٢٦) إن الله ـ تعالى ـ متعالٍ ومتنزه عن أن يكون له ضد مخالف في أمره وحكمه وخلقه وملكه، أو ند مماثل مكافىء في شيء من ذلك، أو في أسمائه وصفاته، بل إنه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١]، وقال تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

(٢٧) وهو سبحانه وتعالى إذا قضى أمراً أوجده وأنفذه، لو اجتمع الخلق جميعاً على جلب نفع هو ممسكه، أو على منع ضرٍّ هو مريده ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٥]، وإذا حكم الله تعالى بأمرٍ فإن حكمه نافذ

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٧.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٥) سورة يس، الآية: ٨٢.

مـاضٍ لا يؤخـره شيء ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾[١]. وإذا أراد أمـراً فإن أمـره نافـذ لا يغلب بل أمـره ـ تعالى ـ ينفـذ على جميـع الخلق ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

الخلاصة:

الله تعـالى متنزه عن المخـالف والمساوي والمشـابه، ولا يـرد قضاؤه ولا يؤخر حكمه، ولا يغالب أمره.

المناقشة:

١ ــ ما معنى: الأضداد - الأنداد؟

٢ ــ هل يؤخر قضاء الله وحكمه شيء؟

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٤١.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣١.

الفقرة السابعة

(٢٨) آمنا بذلك كله، وأيقنّا أن كلا من عنده.

(٢٩) وأن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى.

اللغة: (آمنا): صدقنا، **(أيقنّا)** تحققنا، **(المصطفى)** المختار.

الشرح: (٢٨) آمنا وصدقنا بكل ما سبق وتحققنا منه ووقر في نفوسنا يقيناً جازماً.

(٢٩) محمد، ﷺ، وهو أشهر أسمائه الشريفة، وذلك لكثرة ما فيه من الخصال الشريفة التي يحمد عليها، وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، من قريش ومن أوسط العرب نسباً، ومن أنفسها حسباً، وأعرقها ممتدا، والعبودية هي أشرف المقامات للإنسان، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾[1]. وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[2]. وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[3]،وقد اصطفاه الله ـ تعالى ـ من خيرة خلقه، وفضله واختاره على جميع بريته، وهو النبي المجتبى، المقرب المختار، وهو الرسول المرتضى الذي ارتضاه الله لخاتمة الرسالات، وأنزل عليه أشرف الكتب وأعظمها.

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الجن، الآية: ١٩.

(٣٠) وأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، ﷺ.

(٣١) وكل دعوى النبوة بعده، ﷺ، فغيٌّ وهوى.

اللغة: **(خاتم الأنبياء)** آخرهم الذي ختمت به النبوة. **(غيٌّ)** الغي هو الزيغ والضلال.

الشرح: **(٣٠) إن محمداً، ﷺ، هو خاتم الأنبياء كما قال تعالى**: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]، وهو أكثر الخلق خشية لله واتقاء له كما قال: «**إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدود الله**»[2]، وقال، ﷺ، أيضاً: «**إن أتقاكم لله وأعلمكم بحدود الله أنا**»[3]، صلوات الله وسلامه عليه، وهو سيد المرسلين كما قال، ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[4] فهو أشرف الخلق، وهو حبيب رب العالمين سبحانه وتعالى، اصطفاه الله واجتباه وقربه وأدناه، وقال، ﷺ،: «**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا**»[5]. يعني نفسه، ﷺ.

(٣١) وكل دعوى النبوة بعد النبي، ﷺ، غيٌّ وضلال، وزيغ وهوى وبطلان، فمن ادعى النبوة بعده لنفسه أو لغيره كفر، ومن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في النجاح باب الترغيب في النكاح ٩/١٠٤ ح ٥٠٦٣ من حديث أنس بن مالك.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب قول النبي، ﷺ، (أنا أعلمكم بالله) (١٣/٧٠) ح (٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢ والترمذي في الزهد باب ذكر الشفاعة ح(٣٦١٨) وابن ماجه في الزهد باب ذكر الشفاعة ح(٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري. وهو صحيح.

(٥) أخرجه مسلم كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/٣٧٧ ح (٥٣٢).

صدقه في ذلك كفر، بل ومن إرتاب في ذلك كفر، فالمؤمن يؤمن أنه لا نبي بعده، ﷺ، نعم قد يدعي النبوة بعده مدعٍ كاذب، وقد يأتي ببعض خوارق العادات، ويكون له أتباع، لكنه يفتضح ولا يتم أمره، كما قد وقع لكل من ادَّعى النبوة بعده، ﷺ.

(٣٢) وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء، ﷺ.

اللغة: (الورى) الخلق.

الشرح: (٣٢): إن النبي، ﷺ، هو الرسول الأعظم، ورسالته لجميع الثقلين الجن والإنس، فكل رسول قبله كان يرسل إلى قومه فقط، أما هو ﷺ، فإنه أرسل إلى جميع الثقلين، كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[١] وقال ﷺ: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»[٢] وقد أرسله الله ـ تعالى ـ بالحق والهدى، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[٣]، وأرسله بالنور الهادي إلى سواء السبيل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[٤]، فالقرآن هو الضياء الهادي، وهو النور والشفاء لما في الصدور.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) أخرجه البخاري كتاب التيمم باب التيمم (١/٤٣٥) ح (٣٣٥) ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/٣٧٠) ح (٥٢١) من حديث جابر بن عبدالله.

(٣) سورة الصف، الآية: ٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٥.

الخلاصة:

النبي، ﷺ، هــو النبي المختـار الــذي أرسله الله تعـالى للثقلين بالهدى ودين الحق، وهو خاتم الأنبياء فليس بعده نبي.

المناقشة:

١ ـ هل كان الرسول، ﷺ، مبعوثاً لجميع الخلق أم لقومه خاصة.
٢ ـ ما حكم من ادَّعى النبوة بعد رسول الله، ﷺ، لنفسه أو لغيره؟

الفقرة الثامنة

(٣٣) وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقّاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿**سأصليه سقر**﴾ فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿**إن هذا إلا قول البشر**﴾ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر.

اللغة:

الشرح: (٣٣) القرآن هو كلام الله ـ تعالى ـ على الحقيقة، منه بدأ ولا ندري كيف تكلم به سبحانه وتعالى لكنه كلامه حقًّا، والكلام صفة كمال ثابتة لله ـ تعالى ـ، وضده صفة نقص تنزه الله ـ سبحانه ـ عنها، وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(١)، فالكلام صفة ثابتة له ـ سبحانه وتعالى ـ على الكيفية اللائقة بكماله وجلاله، والقرآن كلامه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾(٢)، والمقصود به القرآن، فهو كلام الله حقا، أنزله على رسوله محمد، ﷺ، وحيا، وصدقه المؤمنون في ذلك، وعلموا، وأيقنوا أنه كلام الله ـ تعالى ـ حقيقة، وأنه ليس بمخلوق إذ إن الصفات فرع عن الذات، وصفات الله تعالى قديمة غير مخلوقة، أما كلام البشر فهو حادث مخلوق مثلهم، وكل من زعم أن القرآن

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

كلام البشر فهو كافر، وقد أوعده الله تعالى بالنار كما قال سبحانه، ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[1]، فلما رأى المؤمنون كيف توعد الله بسقر من زعم أن القرآن كلام البشر، علموا أنه كلام خالق البشر، ولا يشبه كلام البشر، بل إن كل صفة لله ـ تعالى ـ تختلف عن صفات المخلوقين كاختلاف ذات الله تعالى عن ذوات المخلوقين.

الخلاصة: القرآن كلام الله على الحقيقة، وليس بمخلوق، ومن زعم أنه كلام بشر فقد كفر.

المناقشة:

١ ـ ما تقول في القرآن؟

٢ ـ ما حكم من زعم أن القرآن مخلوق؟

(١) سورة المدثر، الآيات: ٢٤-٢٦.

الفقرة التاسعة

(٣٤) ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا أعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر.

اللغة: (اعتبر) أي استفاد العبر من غيره والعظة، **(انزجر)** أي انتهى وكف وابتعد عن الشيء.

الشرح: أيما رجل وصف الله ـ تعالى ـ بمعنى من معاني البشر، وشبه الله بخلقه في معاني أسمائه وصفاته، أو كيفيتها، فقد كفر بالله العظيم القائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] وإذا رأى الإنسان هذا وفهمه وأدركه، فإنه يعتبر من تكفير الله ـ تعالى ـ لمن شبهه بالبشر، فإنه لا بد سوف يعتبر، وينزجر عن أن يقول بمثل قول الكفار الذين حكم الله ـ تعالى لهم بالنار، دار البوار، وسوف يعلم أن الله ـ تعالى ـ بصفاته، وكيفيتها وحقيقة معانيها ليس كالبشر أبداً.

الخلاصة:

صفات الله ـ تعالى ـ ليست كصفات البشر، وأيما رجل وصف الله تعالى بصفات البشر فقد كفر.

المناقشة:

١ ــ ما الدليل على أن صفات الله ليست كصفات البشر؟

٢ ــ ما حكم من جعل صفات الله كصفات البشر؟

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

الفقرة العاشرة

(٣٥) والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ وتفسيره على ما أراد الله - تعالى - وعلمه، وكل ماجاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله، ﷺ، فهو كما قال، ومعناه على ماأراد لاندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولامتوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله - عز وجل - ولرسوله، ورد علم ما أشتبه عليه إلى عالمه.

اللغة: .....

الشرح: رؤية المؤمنين ربهم - عز وجل - يوم القيامة بأبصارهم عياناً ثابتة بالكتاب والسنة، فقد قال - تعالى - : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] وقال - تعالى -: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2] وقد فسر النبي، ﷺ، الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله - عز وجل - وقال، ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته**»[3] وليس معنى ذلك الإحاطة بالله - تعالى - حاشا لله، لكنها رؤية بصرية حقيقية، وليست رؤية قلبية معنوية، بل إنها أعظم نعيم يتنعم به أهل الجنة، والأحاديث عن النبي، ﷺ، في هذا الباب متواترة كما جزم بها كثير من الأئمة، ومقصود الآيات والأحاديث هو ظاهرها، وأن المؤمنين يرون ربهم عياناً يوم القيامة، ونحن نصدق الأخبار الواردة في ذلك،

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٣) أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة فضل صلاة العصر ٣٣/٢ ح ٥٤ ومسلم كتاب المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر ٤٣٩/١ ح ٦٣٣ من حديث جرير بن عبدالله.

ولانتكلف تأويلها بآرائنا القاصرة، ولانتوهم بأهوائنا ما يخالف حقيقتها، فإن الإنسان إذا أراد السلامة في دينه من الزيغ والضلال، فعليه أن يسلم لله ـ تعالى ـ ورسوله، ﷺ، فيما ورد في الأخبار الثابتة، وإذا اشتبه عليه أمر علمه إلى خالقه، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

(٣٦) ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً، شاكًّا، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مكذباً.

اللغة: **(رام)** طلب، **(حظر)** منع، **(حجبه مرامه)** منعه قصده، **(فيتذبذب)** فيتقلب.

الشرح لايثبت على حقيقة الإسلام إلا من سلم لنصوص القرآن والسنة، واستسلم لها تصديقاً وانقياداً، فلم يعارضها بهوى ولاشبهة، ولا برأي ولا معقول ولاقياس وإذا طلب الإنسان العلم الذي لايمكن تحصيله، مما غيَّبه الله - تعالى ـ عن خلقه، مما يتعلق به ـ سبحانه ـ وتعالى ـ وحكمته وقضائه، ولم يقتنع عقله وفهمه بالتسليم لمراد الله ـ تعالى ـ ومراد رسوله، ﷺ، والانقياد لمرادهما، فإنه بهذا القصد سوف يحرم من إدراك التوحيد الخالص على حقيقته، والمعرفة الصافية بالله ـ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

تعالى ـ والإيمان الصحيح الذي ينبني على التصديق والإذعان، والقبول والانقياد، والتسليم والاستسلام فيصبح متذبذباً بين التصديق والتكذيب، والإيمان بالأخبار الشرعية والكفر بها، والإقرار بها وإنكارها، تمتلكه الوساوس والشكوك والخيالات الفاسدة، تائهاً متحيراً لا يستقر على قرار، فلا هو بالمؤمن المصدق كامل الإيمان، ولا هو بالجاحد المنكر تمام الجحود والنكران، إذ أن حقيقة الإيمان التصديق والاستسلام حتى في الأمور التي تخفى حكمتها، والتي قد لا يدرك العقل حقيقتها، اكتفاءً بخبر الله - تعالى ـ وخبر رسوله، ﷺ.

(٣٧) ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار الإسلام لمن اعتبرها منهم بوهم، أو تأولها بفهم إذا كان تأويل الرؤية ـ وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ـ ترك التأويل، ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين، ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه، فإن ربنا ـ جل وعلا ـ موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية.

اللغة: (يتوق) يتجنب، (زل) تعثر وأخطأ.

الشرح: لايصح الإيمان برؤية الله ـ تعالى ـ لمن تأولها من المسلمين بفهمه، أو توهم حقيقيًّا أو ظن بنفسه إمكان معرفة كيفيتها، فهذا مخطىء ولم يؤمن بالرؤية إيماناً حقيقياً، لأن الرؤية لايعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله ـ تعالى، وأمر الرؤية وغيرها مما يتعلق بالخالق ـ جل وعلا ـ كل ذلك تأويله وتفسيره الصحيح، وهو عدم تفسيره وتكييفه بشيء مما يعهده الناس في دنياهم، بل نصدق المعنى الصحيح الذي دلت عليه ولانكيف، ونستسلم ونسلم وننقاد لخبر الله ـ تعالى ـ ورسوله، ﷺ، وهذا هو دين المسلمين الصحيح الذي بعث الله به

نبيه، ﷺ، وعلى المسلم أن يحذر من أمرين: **الأول**: نفي ما وصف الله به نفسه والإلحاد فيه وتحريفه عن معناه الحقيقي المراد منه، **الثاني**: التشبيه بأن يشبه الخالق بالمخلوق في شيء مما يتعلق به في ذاته وأفعاله، وأسمائه وصفاته. وهما مجموعان في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] فنصف الآية الأول نفي للتشبيه والمماثلة، والنصف الثاني إثبات للصفات، **فالآية جمعت بين التنزيه والإثبات ومن لم يتجنب هذين الأمرين وهما النفي والتشبيه، زل في عقيدته وأخطأ، وجانب الصواب ولم يصب التنزيه الواجب لله، وهو تنزيهه عن الشريك والمثيل، والند والنظير، وذلك لأن الله ـ تعالى ـ متصف بكل صفات الوحدانية في ذاته وأفعاله، وأسمائه وصفاته، في خلقه وأمره، منعوت كذلك بنعوت الفردانية في كل ذلك، فإنه أحد فرد صمد ليس له شريك ولامثيل، وليس في معناه ولا يشبهه أحد من الخلق لا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه وصفاته.**

(٣٨) وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، ولاتحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.

اللغة: **(تعالى)** تنزه، **(الحدود)** جمع حد، وهو ما ينتهي إليه الشيء، **(المبتدعات)** المحدثات.

الشرح: **الله** ـ سبحانه وتعالى ـ متعال متنزه عن الحدود والغايات، فليس لله حد يحده ولا غاية ينتهي إليها، وليس معنى ذلك اتصاله ـ سبحانه ـ بمخلوقاته وتداخله معها بل هو ـ سبحانه وتعالى ـ بائن من خلقه، وكذلك فإنه ـ سبحانه ـ متنزه عن الأركان والأعضاء

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

والأدوات، وهي الجوارح وأدوات الاكتساب عند العبد، والآلات التي يستجلب بها النفع، ويستدفع بها الضر، متعالٍ عن ذلك ـ سبحانه وتعالى ـ هذا في نفس الوقت الذي نثبت له الأسماء والصفات الواردة في القرآن، لكن نقول: إن لها معانٍ حقيقية تدل عليها، ونحن نفهم هذه المعاني، ونثبتها لله ـ تعالى ـ على الوجه اللائق به، ولكن لانقول بالكيفية فإنها مما اختص الله ـ تعالى ـ بعلمه، كما أنه ـ **سبحانه وتعالى ـ لاتحويه الجهات الست كسائر المحدثات**، بل متنزه عن ذلك، ولايفهم من هذا نفي الجهة مطلقاً، بل إنه ـ سبحانه ـ في جهة العلو، لكن المقصود أنه ـ سبحانه ـ لاتحويه الجهات وتحيط به كما في سائر المخلوقات وليت المصنف رحمه الله تعالى لم يذكر هذه المصطلحات الكلامية وإن كنا نعلم يقيناً أنه لم يقصد ما قصده أهل الكلام، لأنه صرح بإثبات الصفات كالعلو والوجه وغيرهما، فكان الأولى أن يبتعد عن هذه المصطلحات الكلامية بالمرة لأنها تحتمل حقاً وباطلاً ومذهب أهل السنة في مثلها الحكم عليها بعد التفصيل فقول القائل «تعالى عن الحدود والغايات»: إن أراد به أن الله تعالى ليس بمحصور ولا محدود في شيء موجود فهذا حق.

وإن أراد أن الله تعالى ليس في حد العلو، ولا في جهة العلو فهذا باطل لأنه نفي لعلوم الله تعالى على خلقه وقول القائل: «والأركان والأعضاء»: إن أراد أن صفات الله كالوجه واليدين والعينين لاتشبه وجوه الخلق ولاصفاتهم فهذا حق وإن أراد أن الله تعالى لا وجه له ولايدين فهذا باطل وكذا قول القائل: «ولا تحويه الجهات الست» إن أراد أن الله تعالى ليس في جهة من الجهات ولا فوق ولاتحت ولايمين ولا شمال ولا خلف ولا أمام فهذا باطل لأن هذا صفة معدوم بل صفة

ممتنع، وهذا كفر صريح لأنه نفي لقول الله تعالى بل نفي لوجوده سبحانه وإن أراد أنه ليس بمحصور في شيء موجود فهذا حق والله أعلم.

الخلاصة:

إن الله ـ تعالى ـ يُرى يوم القيامة بالأبصار، يراه المؤمنون حقًّا من غير أن يحيطوا به، وهذا هو مضمون الآثار في هذا الباب، والواجب على المسلم أن يبتعد عن التأويل وكلام أهل التعطيل ويعلم أن الله ـ تبارك وتعالى ـ منزه عن الحادثات ومنزه عن أن يشبه سائر المخلوقات.

المناقشة:

(١) ما حقيقة رؤية الله ـ تعالى ـ يوم القيامة؟

(٢) ما الواجب على المسلم تجاه نصوص الصفات؟

(٣) فسر المقصود بأن الله ـ تعالى ـ لاتحويه الجهات الست؟

الفقرة الحادية عشرة

(٣٩) والمعراج حق، وقد أسرى بالنبي، ﷺ، وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى.

اللغة: (**المعراج**) مفعال من العروج وهو الصعود، والمعراج الآلة التي يصعد فيها.

الشرح: وأهل السنة يثبتون للنبي، ﷺ، عروجاً إلى السماء بشخصه، بجسده وروحه، وذلك ليلة الإسراء، والإسراء ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وكان من مكة إلى بيت المقدس حيث قال ـ تعالى ـ : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[١] حيث صلى إماماً بالأنبياء عليهم السلام، وثبت المعراج كذلك إلى السماء بشخصه الشريف، حيث صعد حتى السماء السابعة، حتى كان عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، وأكرمه الله بما شاء من تكليمه إياه بغير واسطة، وصعوده إلى مكان لم يصله غيره، ومناجاة الله له، وما أطلعه عليه من أحوال الجنة والنار، وأوحى إليه ما أوحى، وشرع له خمس صلوات في اليوم والليلة، وما كذب فؤاد النبي، ﷺ، ما رأى، بل كان كل ما رآه بعيني رأسه حقًّا، تعظيماً له وتشريفاً على سائر الأنبياء، وإظهاراً لعلوم مقامه، ﷺ، فوق الجميع، وكل ما كان في هذه الليلة المباركة على وجه ثابت عن النبي، ﷺ، في الصحيحين وغيرهما.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٤٠) والحوض الذي أكرمه الله - تعالى - به غياثاً لأمته حق.

اللغة: **(غياثاً)** أي نجدة وإغاثة.

الشرح: ثبت عن النبي، ﷺ، وجود الحوض المورود، بل إن أحاديث الحوض متواترة **كما بين ذلك أهل العلم**، ومجملها أنه حوض عظيم، يمد من شراب الجنة، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، طوله وعرضه سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، كيزانه كنجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، **وهو أعظم حوض يوم القيامة وأحلاها**، وأكثرها وارداً، وهو غياث لأمته من عطش يوم القيامة وظمئه، **فهو فضل الله على** نبيه، ﷺ، أكرمه الله - تعالى - به، وفضله على سائر الأنبياء، جعلنا الله من أهل حوضه المورود في اليوم المشهود.

الخلاصة:

الإسراء من مكة إلى بيت المقدس حق، والمعراج إلى السماء حق، والوحي في السماء حق، والحوض حق، وحديث رسول الله، ﷺ، حق في هذا الباب.

المناقشة:

(١) ما حكم من أنكر الإسراء بالنبي، ﷺ ؟

(٢) إلى أين أسري به؟ وإلى أين عرج به؟

(٣) ماذا تعرف عن حوض النبي، ﷺ؟

الفقرة الثانية عشرة

(٤١) والشفاعة التي أدخرها لهم حق، كما روى في الأخبار.

(٤٢) والميثاق الذي أخذه الله ـ تعالى ـ من آدم وذريته حق.

اللغة: (الميثاق) العهد المؤكد.

الشرح: (٤١) **الشفاعة لرسول الله، ﷺ، أنواع**: أعظمها شفاعته لأهل الموقف جميعاً حتى يفصل الله بينهم فيقول الله له: ﴿... اشفع تشفَّع...﴾[١] وهي ثابتة بلا ريب، وحق بلا مَيْنٍ، وكذلك شفاعته، ﷺ، فيمن تساوت حسناته وسيئاته، ومنها شفاعته في أقوام أمر بهم إلى النار، لايدخلونها، ومنها شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما يستحق ومنها شفاعته، ﷺ، في قوم يدخلون الجنة بغير حساب، ومنها شفاعته في تخفيف العذاب عمن يستحقه، ومنها شفاعته لجميع المؤمنين في دخول الجنة، ومنها شفاعته لأهل الكبائر من أمته يخرجون من النار، كل هذه الأنواع ثابتة له، ﷺ، بمقتضى الأخبار الصحيحة، غير أنها لا تكون إلا بإذن الله ـ تعالى ـ كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[٢] وقال: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٣] وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[٤] فهي حق لاريب فيه غير أنها لا تكون إلا بإذن الله ـ تعالى ـ.

(١) أخرجه البخاري/ كتاب التوحيد/ باب كلام الرب عز وجل ٤٧٣/١٣ ح(٧٥١٠). ومسلم /كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٢/١-١٨٣) ح(٣٢٦).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٤٢) والميثاق حق، وهو الذي أخذه الله ـ تعالى ـ من آدم عليه السلام وذريته حين مسح ظهره بيده فخرجت منها كل نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة، فأخذ عليهم العهد أنه ربهم وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا، وهذا هو الميثاق الأول، وهو المذكور في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[1].

الخلاصة:

شفاعة رسول الله، ﷺ، لأمته حق، والميثاق الأزلي على آدم وذريته حق.

المناقشة:

(١) ما هي الشفاعة العظمى يوم القيامة؟
(٢) أذكر أنواع الشفاعة التي تعرفها.
(٣) ما تعرف عن الميثاق الأول؟

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

الفقرة الثالثة عشرة

(٤٣) وقد علم الله - تعالى - فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزداد في ذلك العدد ولاينقص منه.

وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكل ميسر لما خلق، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله.

اللغة:

الشرح: (٤٣) لقد علم الله - تعالى - في الأزل عدد من يدخل الجنة من بني آدم، وعدد من يدخل النار منهم، علم كل ذلك على سبيل الإجمال والتفصيل علماً تامًّا، فلا يزداد في عددهم ولاينقص، وكل إنسان قد كتب له في بطن أمه (شقي أو سعيد) وكذلك كتب في اللوح المحفوظ، ولايتبدل علم الله - تعالى - بذلك أبداً.

(٤٤) وكذلك أفعال العباد فيما علم الله منهم أن يفعلوه، فقد علم - سبحانه وتعالى - أفعال خلقه قبل أن يفعلوها، علمها في الأزل، وكتب ذلك، وقضاه، وكل إنسان ميسر لما خلق له أما **أهل الجنة** فييسرون لعمل أهل الجنة، **وأما أهل النار** فييسرون لعمل أهل النار والأعمال بالخواتيم، فقد يختم للرجل بعمل صالح بعد إساءة فيدخل الجنة، وقد يختم للرجل بعمل خبيث بعد أعمال صالحة فيدخل النار، والعبرة بالخواتيم، ولا سعيد إلا من قضى الله له السعادة وقدرها له وكتبها، وجعله من أهلها، ولا شقي إلا من قضى الله له الشقاوة

وقدرها له وكتبها، وجعله من أهلها ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[١].

(٤٥) وأصل القدر سر الله ـ تعالى ـ في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله ـ تعالى ـ طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ فمن سأل: لم فعل؛ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

اللغة: (**الخذلان**) عدم التوفيق، (**الطغيان**) تجاوز الحد، (**أنامه**) خلقه.

الشرح: أصل القدر سر الله ـ تعالى ـ لم يطلع عليه أحد من الخلق، ولايصح التعمق فيه، ومحاولة الوصول إلى حقيقته، كما قال النبي، ﷺ: «**وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»[٢] **ومن رام الوصول إلى حقيقة، فقد سلك طريق الخذلان والحرمان من التوفيق، وصعد سلم الحرمان من الهداية، وبلغ درجة الطغيان ومجاوزة الحد، إذ لا يعلم حقيقة القدر إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومهما فكر الناس فلن يصلوا**

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/٢٤٣ ـ ٢٢٤، وأبو نعيم في الحلية (٤/١٠٨) كلاهما من طريق أبي وائل عن ابن مسعود. واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/١٢٦، ٧/١٢٥٠) وابن عدي في الكامل (٧/٢٤٩٠) كلاهما من طريق أبي قلابة عن ابن مسعود، وابن عدي في الكامل (٦/٢١٧٢)، والسهمي في تاريخ جرجان ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨. كلاهما من طريق عطاء عن ابن عمر، والطبراني في الكبير (٢/٩٢) من طريق الأشعث عن ثوبان، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١/٤٢ ـ ٤٦) (حسن لغيره).

إلى حقيقته، غير أننا نؤمن بأن الله - تعالى - علم كل شيء، وكتبه، وأراده، وخلقه وأوجده، فهذه أربعة مراتب للقدر لابد من استيفائها وإلا لم يكن الإنسان مؤمناً بالقدر، والواجب على المسلم الحذر من إعمال الفكر تعمقاً في أمر القدر، أو الاستسلام للوساوس، وليعلم أن الله - تعالى - قد حجب علم القدر عن الخلق، ونهاهم عن محاولة الوصول إلى حقيقته، وقال - سبحانه وتعالى - ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[1].

ولايجوز للعبد أن يسأل: لماذا فعل الله كذا؟ فإن هذا رد على حكم القرآن وهو كفر مبين أما أن يحاول الإنسان معرفة الحكم الإلهية من وراء تشريع كذا وكذا فلا بأس بذلك إن **شاء الله - تعالى -**.

(٤٦) فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله - تعالى - وهي درجة الراسخين في العلم لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر وإدعاء العلم المفقود كفر، ولايثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود.

اللغة: . . . . .

الشرح: إن ما سبق ذكره هو إجمال ما يحتاج إلى معرفته الإيمان به، من نور الله قلبه من أوليائه تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم، المتلقين عن الله خبره بالقبول والاستسلام.

والعلم نوعان: علم في الخلق موجود، وهو علم الشريعة أصولها وفروعها، **والثاني علم الخلق مفقود**، وهو علم القدر الذي حجبه الله -

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

تعالى - عن خلقه، فمن أنكر العلم الموجود كفر لجحده بالنصوص الموجودة، ومن ادعى علم القدر والغيب لنفسه كفر لأنه مما استأثر الله بعلمه، وهو كذلك جحد للنصوص الواردة في نسبة ذلك العلم إلى الله - تعالى - ولايثبت الإيمان للعبد فيحكم له به، أو يبقى معه إلا إذا قبل العلم الموجود، ولم يحاول الوصول إلى حقيقة العلم المفقود.

الخلاصة:

كل شيء بقضاء الله وقدره، وقد علم الله أفعال العباد، وعلم أهل الجنة والنار، وكتب ذلك وأراده، والقدر سر الله المكتوم، لايبحث عنه الصالحون ولا يتعمقون فيه، ولايثبت الإيمان إلا بالتسليم لذلك.

المناقشة:

(١) هل يجوز الخوض في القدر؟

(٢) العلم نوعان: هما: .... و ....

الفقرة الرابعة عشرة

(٤٧) ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله ـ تعالى ـ فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله ـ تعالى ـ فيه يجعلون كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

اللغة:

الشرح: ونؤمن إيماناً جازماً، وتصديقاً لازماً بأن اللوح حق كما قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[(١)] وهذا اللوح المحفوظ هو الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق جميعاً، والقلم المذكور هو الذي خلقه الله ـ تعالى ـ وكتب به في اللوح المحفوظ المقادير، كما قال النبي، ﷺ: «أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»[(٢)] فكل شيء مكتوب في هذا اللوح، لو أراد الخلق جميعاً أن يجعلوه ما قدره الله كائناً، أن يجعلوه غير كائن ما استطاعوا، ولو أرادوا أن يوجدوا ما كتبه الله غير كائن ما استطاعوا، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فلا يتغير منه شيء، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وهذا مقتضى حديث

---

(١) سورة البروج، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٢) أبو داود (٤٧٠٠) في السنة والترمذي (٢١٥٦) في القدر و(٣٣١٦) في التفسير وغيرهما وهو حديث صحيح.

النبي، ﷺ، حين قال لابن عباس - رضي الله عنهما -: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١).

(٤٨) وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقض، ولا معقب ولا مزيل ولا مغير، ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله - تعالى - وربوبيته، كما قال - تعالى - في كتابه: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديراً**﴾ وقال - تعالى -: ﴿**وكان أمر الله قدراً مقدوراً**﴾. فويل لمن صار لله - تعالى - في القدر خصيماً، وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًّا كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً.

اللغة: (**مبرماً**) معقوداً موثقاً، (**سقيماً**) مريضاً، (**أفاكاً**) كذاباً.

الشرح: يجب على العبد أن يعلم أن الله - تعالى قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فعلم كل شيء قبل أن يخلقه، وذلك على وجه الإجمال والتفصيل، وقدر ذلك تقديراً محكماً ليس فيه ما ينقضه أو يؤخره، أو يزيله أو يغيره، أو ينقص فيه أو يزيد لا في خلق السموات ولا في خلق الأرض، ولا ما بينهما، بل كل شيء علمه الله - تعالى - وقدره وكتبه، وهذا العلم من ضروريات ولوازم الإيمان، ومن أصول المعرفة بالله - تعالى - ومن لوازم الإقرار بربوبيته - سبحانه وتعالى - ولهذا قال - تعالى - في كتابه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾(١) وقال:

(١) الترمذي (٢٥١٨) في صفة القيامة وقال حسن صحيح ورواه غيره.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[٢] فكل شيء علمه الله ـ تعالى ـ كما يكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأراده وخلقه فعلاً، وكل من خاصم الله تعالى كما يكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأراده وخلقه فعلاً، وكل من خاصم الله ـ تعالى ـ في قدره وكذب بشيء من ذلك، فالويل له إذ أنكر علم الرب ـ تعالى ـ وقدرته، وويل لمن نظر في القدر بقلب مريض، فضلَّ عن معرفة الحق والصواب، إذ اعتمد على الأوهام المريضة في فحص الغيب والتماس السر المكتوم الذي ستره الله ـ تعالى ـ عن جميع خلقه، ومهما قال في القدر فسوف يعود من ذلك القول ويصبح كذاباً إذ إنه لن يصل إلى حقيقة القدر أبداً، وقد باء بالإثم حيث التمس علم ما حظر عنه علمه، وأمر بالكف عن فحصه ومحاولة كشفه.

الخلاصة:

اللوح حق، والقلم حق، وكل شيء مسطور قبل الخلق، لا يزاد فيه ولا ينقص ولا يبدل ولا يغير، وكل مراد الله ينفذ على رغم جميع الخلق.

المناقشة:

١ ـ ماذا تعرف عن اللوح والقلم؟

٢ ـ هل يستطيع الخلق أن يغيروا أمراً أراده الله ـ تعالى ـ؟

---

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

الفقرة الخامسة عشرة

(٤٩) والعرش والكرسي حق.

(٥٠) وهو مستغن عن العرش وما دونه.

(٥١) محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجزه عن الإحاطة خلقه.

اللغة:

الشرح: (٤٩) عرش الرحمن ـ تعالى ـ حق لا ريب فيه، قد ذكره الله ـ تعالى في آيات كثيرة من كتابه، منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾(١) وهو خلق عظيم هائل لا يحيط به إلا الله تبارك وتعالى ويحمله عدد من الملائكة العظام، وهو سقف جنة الفردوس، كل ذلك قد صح عن النبي، ﷺ، وصح أن له قوائم، وذلك يبطل تأويله بالملك، والكرسي حق كذلك، ولا يحيط به إلا الله ـ تعالى ـ، وقد وسع السموات والأرض كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾(٢) وذلك يبطل تأويله بالعلم كذلك.

(٥٠) والله ـ تعالى ـ مستغن عن العرش والكرسي، لم يستو على العرش لاحتياجه إليه، بل لحكمة بالغة قضاها، وهو متنزه عن أن يحتاج إلى العرش أو ما دونه، فشأن الله ـ تعالى ـ أعظم من ذلك، بل العرش والكرسي محمولان بقدرته وسلطانه ـ عز وجل ـ.

---

(١) سورة البروج، الآية: ١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٥١) وهـو - سبحانـه وتعالى - محيط بكـل شيء من المخلوقات، العرش وما دونه، وليس فوق العرش إلا الله - تعالى - وقـد أحاط بكـل خلقه، إحاطة علم وإدراك، وإحاطة غلبة وقهر، ولا يحيط به أحـد من خلقه كما قال - تعالى -: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[1] فسبحان ذي العزة والجلال والملكوت!

الخلاصة:

إن العرش حق، والكرسي حق، ولا يحتاج الله - تعالى - إلى شيء منهما، وقد أحاط - تعالى - بخلقـه، ولا يحيط به منهم شيء.

المناقشة:

١ ـ على ماذا استوى الله عز وجل؟

٢ ـ ماذا تعرف عن الكرسي؟

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٠.

الفقرة السادسة عشرة

(٥٢) ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً.

(٥٣) ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين.

اللغة: (الخليل) في اللغة هو الصاحب الأمين المقرب، (المبين) الواضح.

الشرح: (٥٢) إن الله تعالى ـ قد اتخذ نبيه إبراهيم خليلاً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[١] فقربه واصطفاه، واجتباه وأدناه، وبلغه منزلة لم يبلغها سواه، إلا النبي، محمد ﷺ، كما أنه ـ سبحانه وتعالى كلم موسى عليه السلام تكليماً كما قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٢]وأكد بالمصدر هنا ليوضح أن المقصود هو الكلام عن الله ـ تعالى ـ بل هو كلام حق بحروف وصوت على الكيفية اللائقة به ـ سبحانه وتعالى ـ نؤمن بذلك كله على ما وردت به النصوص، فلا ننفيه ولا نؤوله، إيماناً بالخبر وتصديقاً، وتسليماً لمراد الله ـ تعالى ـ ومراد رسوله، ﷺ.

ونؤمن بالملائكة وهم مخلوقات نورانية عظيمة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٣] ولهم أجنحة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾(١) نؤمن بهم على وجه الإجمال، ونؤمن بما ورد خبره مفصلا: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وخازن النار، وخازن الجنة، ومنكر ونكير، ورقيب وعتيد، الحفظة، وغير ذلك، ونؤمن بالنبيين الذين اصطفاهم الله ـ تعالى ـ على الناس واختصهم بوحيه وشرائعه، وهم ذكور أحرار من أوساط أقوامهم، نؤمن بمن ورد خبره مفصلاً، ومن لم يرد، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ﴾(٢) ونؤمن بالكتب التي أنزلها الله ـ تعالى ـ عليهم، ما عرفناه منها: كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وصحف إبراهيم، على ما ورد في الآيات القرآنية كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى ﴿١٨﴾ صحف إبراهيم وموسى﴾(٣) وقوله تعالى ـ: ﴿وأنزل التوراة والإنجيل ﴿٣﴾ من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾(٤) وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وآتينا داود زبورا﴾(٥) فنحن نؤمن بكل هذه الكتب، ونؤمن بما لم يرد في الأخبار على سبيل التفصيل، إنما ورد بالإجمال، ونشهد أن جميع رسل الله كانوا على الحق المبين، والطريق القويم، والصراط المستقيم وأنهم بلغوا رسالات الله ـ تعالى ـ على الوجه المطلوب منهم ﴿لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴿١٣٦﴾﴾(٦).

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الأعلى، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٣، ٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

الخلاصة:

صفة الخلة والتكليم ثابتة لله - تعالى - على الحقيقة، ونحن نؤمن بذلك، ونصدق بالملائكة الكرام، وبجميع النبيين، وبالكتب المنزلة، وقد كانوا جميعاً على الحق والهدى.

المناقشة:

١ - من هو خليل الله تعالى؟
٢ - من الذي كلمه الله تعالى تكليماً؟
٣ - ما حكم من كفر بالملائكة أو النبيين أو الكتب؟

الفقرة السابعة عشرة

(٥٤) ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي، ﷺ معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين.

اللغة:

الشرح: المقصود بذلك أن كل من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة في الصلاة، ولم يستحل معلوماً من الإسلام تحريمه، وصدق بكل ما أخبر به الرسول، ﷺ، واعترف بصدق ما أتى به من العقائد والشرائع والأحكام، فإننا نطلق عليه اسم الإسلام والإيمان، ولا نكفره بالذنب ما لم يستحله، وما لم يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام عامداً وهو يعلم، **ويفهم من كلام الشيخ أن الإسلام والإيمان واحدا**، وقيل بأنهما متغايران، **وهما إذا افترقا** دل كل منهما على ما يدل عليه الآخر، **وإن اجتمعا** اختص الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة، **والله أعلم**.

الخلاصة:

كل من أقر بما جاء به الرسول، ﷺ، وانقاد له، واستقبل القبلة، وصدق بخبره، شهدنا له بالإسلام.

المناقشة:

١ ــ من الذي نشهد له بالإسلام؟

الفقرة الثامنة عشرة

(٥٥) ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله.

(٥٦) ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمداً، ﷺ، وهو كلام الله - تعالى - لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين.

اللغة:

الشرح: (٥٥) لا نخوض في ذات الله - تعالى - وشأنه، فهذا شيء غيبي لا يدركه مخلوق، بل نمسك عن الكلام في ذلك، وإنما فقط نكتفي بأن نسمي الله بما سمى به نفسه، ونصفه بما وصف به نفسه، ولا نتعدى حدود الأخبار الصحيحة في ذلك، كما أننا لا نماري ونجادل في دين الله - تعالى ولا نلقي الشُبه على أهل الحق، فإن هذا من التلبيس والإفساد.

(٥٦) ولا نجادل في القرآن بآرائنا، ولا نجادل في شأنه ونقول بكلام أهل الزيغ والضلال بل نشهد أنه كلام رب العالمين نزل به جبريل عليه السلام فعلمه محمداً، ﷺ، كما قال - تعالى -: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[1] ونقول بأنه كلام الله - تعالى - على الحقيقة لا يساويه ولا يشبهه ولا يقاربه شيء من كلام المخلوقين،

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٥.

ولا نقول بقـول الجهمية الضلال أن القرآن مخلوق، بل نقول هو كـلام الله ـ تعالى ـ ولا نجاوز ذلك، ونؤمن بما آمنت به جماعة المسلمين من الصحابة والتابعـين ومن **تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ومن خالفهم فهو في ضلال** مبين.

الخلاصة:

لا يجوز الخوض في ذات الله ودينه، ولا يجوز الجـدال في القرآن، وهو كلام الله ـ تعالى ـ غير مخلوق، ولا تجوز مخالفة جماعة المسلمين.

المناقشة:

١ ــ ما حكم الخوض في ذات الله؟

٢ ــ هل يجوز الجدال في القرآن؟

٣ ــ ما هي جماعة المسلمين؟

الفقرة التاسعة عشرة

(٥٧) ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله.

(٥٨) ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله.

(٥٩) نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم، ولا نقنطهم.

اللغة: (ولا نقنطهم) القنوط هو اليأس.

الشرح: (٥٧) **وأهل السنة والجماعة لا يكفرون المسلم** بذنب عمله. صغيراً كان أم كبيراً، إلا إذا استحله استحلالاً قلبيًّا، بأن يعتقد أنه ليس بحرام، فحينئذ يكفر لاستحلاله ما حرم الله وليس الاستحلال العملي، وذلك بخلاف قول الخوارج الذين كفروا المسلم بالمعصية يعملها وأخرجوه من الملة بذلك.

(٥٨) **وأهل السنة كذلك لا يقولون**: إن الذنوب لا تضر مع وجود الإيمان، فإن هذا هو قول المرجئة، وهو يؤدي إلى التكذيب بآيات الوعيد الواردة في حق العصاة، بل المعصية تنقص الإيمان، ونخاف على صاحبها ذهاب إيمانه، ونخاف عليه عذاب الله ـ تعالى ـ في الآخرة.

(٥٩) **وأهل السنة يقولون**: بأن المؤمن المحسن يرجى له دخول الجنة، ونستبشر له إن مات على ذلك، ولكن مع كل هذا لا نأمن عليه من مكر الله ـ تعالى ـ ولا نجزم له بالجنة، وأما المسيء فإنهم يستغفرون له، ويخافون عليه، ولكن لا يجزمون له بالنار، فإن هذا قنوط ويأس من رحمة الله ـ تعالى ـ ولا يجزم أهل السنة لأحد بالجنة إلا لمن عينه النص الصحيح من الكتاب والسنة أنه من أهل الجنة، ولا يجزمون

لأحد بالنار كذلك إلا إذا عينه النص أنه من أهل النار، أما غير هذا فلا جزم ولا قطع للمسلم بشيء.

(٦٠) والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة.

(٦١) ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.

(٦٢) والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

اللغة: (**الإياس**) اليأس، (**الجحود**) التكذيب والإنكار، (**الإقرار**) الاعتراف، (**الجنان**) القلب.

الشرح: (٦٠) إن الأمن من مكر الله، واليأس من رحمة الله ينقلان عن ملة الإسلام، قال ـ تعالى ـ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1] وقال ـ تعالى ـ ﴿**فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**﴾[2] وسبيل أهل الحق وسط بينهما، فيجب على العبد أن يجمع بين الخوف من مكر الله والرجاء في رحمته، لنفسه ولغيره.

(٦١) **والمؤمن لا يخرج من الإيمان إلا بناقض** كأن يجحد وينكر شيئاً من مسائل الإيمان التي لا يتحقق إيمانه بدونها، فينقض بذلك إقراره الأول، وذلك رد على الخوارج الذين قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة، وعلى المعتزلة الذين قالوا بانتقاله من الإيمان إلى منزلة بين المنزلتين، بل المسلم عاصٍ بذنبه حتى يتوب منه، ينقص من إيمانه بقدر معصيته، ولا يرتفع عنه اسم الإيمان بالكلية إلا بذهاب كله وأصله وليس بذهاب بعضه فإن الإيمان يتبعض.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٩٩

(٦٢) **وهـذا خطأ**، فـإن الحق الذي عليـه أهـل السنـة وجمـاهـير العلماء أن الإيمان تصديق بـالجنان أي القلب، وإقـرار باللسـان، وعمل بالأركان ـ الجوارح ـ، وهذا من أصول أهل السنة والجماعة، والأدلة على أن العمل من الإيمان لا تحصى من الكتاب والسنة وينبني على ذلك عند أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما قـال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[1] وقال أيضاً: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾[2] وقال؛ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾[3] ولو كانت الأعمال غير داخلة في اسم الإيمان لا ستوى جميع الناس في الإيمـان: البر والفـاجر، والمطيع والعـاصي ما دامـوا قد أقروا بالخالق وألوهيته وأمور الإيمان الأخرى وصدقوا بهـا. غير أن هـذا من الأصول الفاسـدة، والحق هو مـا ذكرنـاه مما ذهب إليـه أهل السنـة والجماعة.

الخلاصة:

لا يجـوز تكفير مسلم بـذنب مـا لم يستحله، والمعـاصي تنقص الإيمان، وتعرض للعقاب، ولا نشهد لمسلم بجنـة ولا نار جـزماً إلا من ثبت له ذلك، والأمن والإياس مما يخرجان من الملة كـما أن اسم الإيمان لا يرتفع إلا بإرتكاب نـاقض له، والإيمـان: تصديق بـالجنان، وقـول باللسان، وعمل بالأركان.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٤.
(٣) سورة مريم، الآية: ٧٦.

المناقشة:

(١) ما حكم تكفير المسلم بالمعصية؟
(٢) هل تضر المعاصي في وجود الإيمان؟
(٣) هل يجزم للمسلم بجنة أو نار؟
(٤) متى يرتفع اسم الإيمان عن المسلم؟
(٥) عرف الإيمان عند أهل السنة والجماعة؟

الفقرة العشرون

(٦٣) وجميع ما صح عن رسول الله، ﷺ من الشرع والبيان كله حق.

(٦٤) والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى.

(٦٥) والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن.

اللغة (التفاضل) التفاوت في الفضل.

الشرح: (٦٣) كل ما صح عن رسول الله، ﷺ، من الشرع والبيان لأمور الدين، فهذا كله حق، سواء ما ورد بالتواتر، أو ما ورد بطريق الآحاد، وهذا هو مذهب أهل الحق وكل من كذب على رسول الله، ﷺ، في الحديث فإن الله قد فضحه.

(٦٤) هذا الكلام بناءً على الأصل الذي ذكره أولاً في تعريف الإيمان، والحق أن الناس متفاوتون في أصل الإيمان أيضاً، وإلا أمكن أن نقول: إن إيماننا كإيمان النبي، ﷺ، وكإيمان الملائكة، وهذا باطل ظاهر البطلان، وإن الأعمال داخلة في اسم الإيمان يتفاوت بها الناس، بل حتى التصديق يتفاوت فيه الناس، فليس تصديقنا كتصديق جبريل عليه السلام، والناس كذلك يتفاوت بالتقوى كما قال ـ تعالى ـ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] ويتفاوتون على حسب مخالفتهم للهوى

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

الفاسد، وملازمتهم لفعل الأمر المحبوب عند الله ـ تعالى ـ.

(٦٥) والمؤمنون أولياء الرحمن ـ تعالى ـ كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[1] فعلى حسب تفاوتهم في الإيمان والتقوى تتفاوت درجة ولايتهم عند الله ـ تعالى ـ وأكرمهم عند الله هو أكثرهم طاعة ﷺ ورسوله، وأكثرهم اتباعاً لكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله، ﷺ، وليس أكثرهم اتباعاً لمذهب معين.

الخلاصة:

كل ما صح عن رسول الله، ﷺ، في بيان الشرع والهدى فإنه حق، وأهل الإيمان يتفاوتون في أصله، ودرجته، والمؤمنون أولياء الله، وهم متفاوتون في ولايتهم على حسب تقواهم.

المناقشة:

(١) هل يتساوى الناس في أصل الإيمان أن يتفاوتو ؟

(٢) من هم أولياء الرحمن؟

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢، ٦٣.

الفقرة الحادية والعشرون

(٦٦) والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله ـ تعالى ـ.

اللغة: . . . .

الشرح: والإيمان هو عبارة عن الإيمان بالله ـ تعالى ـ ووحدانيته في ذاته وأفعاله، وأسمائه وصفاته واستحقاقه للعبودية، وصرف جميع الأعمال بهم وبوجودهم إجمالاً وتفصيلاً، وما ورد من صفاتهم وأعيانهم، والإيمان بالرسل من عرفنا منهم ومن لم نعرف إجمالاً وتفصيلاً على ما سبق، وأولهم نوح وآخرهم محمد، ﷺ، وبأنهم بلغوا رسالات الله ـ تعالى ـ كاملة، وبأن هديهم أكمل هدي وأحسنه، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك، ثم الإيمان بالقدر وأنه من عند الله وأن الخير والشر بقضائه، والحلو والمر بقدره وإرادته، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1] وهذه الأصول مجتمعه في آيات منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[2] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[3] ومنها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(٣) سورة القمر، الآية: ١٤٩.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

فقد أصول وأركان الإيمان الستة التي إن فقد أحدها ارتفع اسم الإيمان بالأصل وأطلق مكانه اسم الكفر والعياذ بالله ـ تعالى ـ.

(٦٧) ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به.

اللغة: ....

الشرح: ونحن نؤمن بكل ما سبق ونقربه، ونسلم له، ولا نفرق بين أحد من رسله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[١] وقول ـ تعالى ـ: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[٢].

فنحن لا نفرق بين الرسل، ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم جميعاً ونصدقهم كلهم في كل ما جاءوا به من الوحي من عند الله ـ تعالى ـ.

الخلاصة:

الإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كل من عند الله.

المناقشة:

(١) ما هي أركان الإيمان؟

(٢) ما مضمون الإيمان بالقدر؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

الفقرة الثانية والعشرون

(٦٨) وأهل الكبائر [من أمة محمد، ﷺ] في النار لايخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين [مؤمنين] وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم بفضله، كما ذكر - عز وجل - في كتابه ﴿**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله - تعالى - تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا ولايته، اللهم ياولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به.

اللغة: (**نكرته**) إنكاره وجحوده.

الشرح: إن مرتكب الكبيرة - وهي ما ورد فيه حدٌ أو لعنة أو وعيد بالنار أو وصف شديد في شأنها - لايخلد في النار إن دخلها، لأنه مات على التوحيد، حتى وإن مات من غير توبة، ومادام قد لقى الله - عز وجل - مؤمناً به عارفاً به، فإنه تحت المشيئة إن شاء الله عاقبه بعدله وعذبه بالنار لكن لايخلد فيها، بل يخرج منها برحمة الله وبشفاعة الشافعين من أهل الطاعة، وأعظمهم محمد، ﷺ، وإن شاء الله عفا عنه وغفر له بفضله وكرمه، وكل ذنب سوى الشرك ترجى له المغفرة، كما قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١) وكما في حديث النبي، ﷺ: «**ومن أصاب من ذلك شيئاً**

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»[١] وهذا حتى لو مات مرتكب الكبيرة من غير توبة، وهذا هو الحق، خلافاً للمعتزلة والخوارج الذين قالوا بخلوده في النار، وذلك أن الله ـ تعالى ـ برحمته لم يجعل أهل معرفته والإقرار به كأهل إنكاره سواء في الدنيا أو في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾[٢] وقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٣] ونسأل الله ولي الإسلام وأهله أن يثبت قلوبنا على الإسلام حتى نلقاه مسلمين مؤمنين.. آمين.

(٦٩) ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم.

(٧٠) ولاننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً ولانشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله ـ تعالى ـ.

(٧١) ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ، ﷺ، إلا من وجب عليه السيف.

اللغة: (بر) مطيع تقي، (سرائر) جمع سريرة وهي دخيله الإنسان. (نذر) نترك.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب علامة الإيمان حب الأنصار (١/٦٤) ح (١١) ومسلم كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها (٣/١٣٣٣) ح (١٧٠٩) كلاهما من طريق أبي إدريس عائض بن عبدالله عن عبادة بن الصامت.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

(٣) سورة القلم، الآية: ٣٥.

الشرح: (٦٩) يرى أهل السنة الصلاة خلف كل مسلم برًّا كان أم فاجراً، مع تقديم البر إلا أن يكون في الصلاة خلفه مشقة، أو يكون هناك فتنة إن تركت الصلاة خلف الفاجر كما لو كان السلطان قد عينه، وذلك ما لم يكن صاحب بدعة مكفرة، وكذلك يرون الصلاة على المسلم الميت، برًّا أو فاجراً، إلا أن يكون قد مات على غير الملة.

(٧٠) ولايحكمون لأهل القبلة بجنة ولا نار على سبيل التعيين والقطع، بل من أحسن منهم رجونا له الجنة ولم نأمن عليه مكر الله، ومن أساء أشفقنا عليه ولم نقنطه من رحمة الله - تعالى - ولانشهد على مسلم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، مما يخرج من الملة الإسلامية، إلا أن يكون قد ظهر منهم شيء من ذلك مع تحقق الشروط وانتفاء الموانع، ويذرون السرائر إلى الله - تعالى - حيث إنهالعليم بها، ويأخذون الناس بما ظهر منهم.

(٧١) ولايرى أهل السنة جواز قتال المسلم وقتله إلا في الحالات التي نص عليها الشارع كما في قوله، ﷺ: «**لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس**»[1] الحديث. وكما في قوله: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»[2]، وكما في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾[3] الآية، وهكذا من الحالات التي يحل فيها دم المسلم، أما غير ذلك

(١) أخرجه البخاري كتاب الديات باب وقول الله تعالى ﴿إن النفس بالنفس﴾ ١٢/٢٠١ ح ٦٨٧٨ ومسلم كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم ٣/١٣٠٣ ح (١٦٧٦) من حديث عبدالله.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٣/١٤٧٠) ح (٤٢) من حديث عبادة بن الصامت.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

فلا يجوز قتاله وقتله بحال.

الخلاصة:

أهل الكبائر تحت مشيئة الله ـ تعالى ـ إن شاء عفا عنهم وإن شاء عاقبهم، ولا يمكن أن يتساوى أهل التصديق والتكذيب، ونحن نصلي خلف المسلم برًّا أو فاجراً، ولانشهد له بجنة أو نار قطعاً، ولانرفع السيف على مسلم إلا بحقه.

المناقشة:

(١) ما قول أهل السنة في أهل الكبائر؟
(٢) ما حكم الصلاة خلف المسلم الفاجر؟
(٣) ماهي الحالات التي يحل فيها قتل المسلم؟

الفقرة الثالثة والعشرون

(٧٢) ولانرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله - عز وجل - فريضة، ما لم يأمروا بمعصيته، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة.

(٧٣) ونتبع السنة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة.

اللغة: (جاروا) ظلموا، **(الشذوذ)** الانفراد عن الجماعة.

الشرح: (٧٢) **يرى أهل السنة حرمة الخروج عن الأئمة وولاة الأمور**، حتى لو ظلموا الناس، وحتى إذا ظهر منهم فسوق في أنفسهم، وذلك لما للخروج من آثار سيئة: كإراقة الدماء، ونشر الفوضى، وذلك مادام الأمراء باقين في حظيرة الإسلام، ولم يبدلوا دين الله، ولم يظهر منهم الكفر ولا يدعون عليهم، ولايعصونهم، ويرون طاعتهم واجبة ماداموا يأمرون بمعروف أما إذا أمروا بمعصية فلا يسمع لهم ولايطاع، لقوله، ﷺ: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية**»(١).

وقوله: «**إنما الطاعة في المعروف**»(٢) وغير ذلك، ويدعون للأمراء

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأحكام باب السمع والطاعة اللإمام ١٣/١٢١ ح (٧١٤٤) ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ٣/١٤٦٩ خ (١٨٣٩) من حديث عبدالله بن عمر.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصبة (٣/١٤٦٩)ح (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه.

بالصلاح في دينهم والمعافاة، فإن صلاحهم صلاح للأمة وفسادهم فساد وإفساد لها ـ والله أعلم.

(٧٣) ويتجنبون الخروج عن جماعة المسلمين، بل يرون الهدى في اتباع سنة النبي، ﷺ وجماعة المسلمين، والضلال والغواية في الشذوذ عن الجماعة والخلاف والاختلاف على أمور الدين والإقامة وغير ذلك، والفرقة بما يترتب عليها من شق صفوف المسلمين، كل هذا ما دامت جماعة المسلمين قائمة على أمر الله، على الحق والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما إذا فسد الناس، وبدلت الشرائع، وصارت السنة بدعة والبدعة سنة، والمنكر معروفاً والمعروف منكراً، حينئذ حل الاعتزال والانفراد عن الناس، واعتزال فرق الهوى والضلالة كما في الحديث: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدرك الموت**»(١).

(٧٤) ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة.

اللغة: .....

الشرح: ونحب كل عادل، حاكماً أو محكوماً، ونحب كل أمين مع الله ومع الناس، ونبغض كل جائر ظالم، حاكماً أو محكوماً، وكل خائن لله ولرسوله ولأماناته، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢) ونرى ذلك هو الحق، فإن المؤمن يحب المؤمنين المتقين، ويبغض العصاة الفاسقين، وفي

(١) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة ٦/١٦٥ح (٣٦٠٦) ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ٣/١٤٧٥ ح (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

الحديث «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله**»[١] الحديث، وقوله، ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله**»[٢] فنحن نحب المرء على قدر ما فيه من الطاعة والصلاح، ونبغضه على قدر ما فيه من المعصية والفجور.

الخلاصة:

طاعة الأئمة واجبة في طاعة الله، ولايجوز شق عصا جماعة المسلمين بغير حق، ونحن نتبع السنة والجماعة، ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة.

المناقشة:

(١) ما حكم طاعة الإمام الجائر؟
(٢) هل يجوز الخروج على أئمة الجور؟
(٣) ما الواجب في مسألة الحب والبغض في الله؟

---

(١) متفق عليه من حديث أنس.

(٢) رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٣٩).

الفقرة الرابعة والعشرون

(٧٥) ونقول: الله أعلم، فيما اشتبه علينا علمه.

(٧٦) ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في الأثر.

(٧٧) والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، لايبطلهما شيء ولاينقضهما.

اللغة: **(ماضيان)** باقيان، **(ولاينقضهما)** أي ولا يمحوهما وينفيهما ويرفع حكم بقائهما.

الشرح: (٧٥) أهل السنة دائماً يكلون علم ما أشتبه عليهم إلى الله ـ تعالى ـ ويقولون: الله أعلم، **وذلك هو العدل**، وهو المقصود من تحريم القول على الله ـ تعالى ـ بغير علم، وهو من أعظم الذنوب وشرها، وهكذا إذا سأل الإنسان عما لايعلم فليقل: الله أعلم.

(٧٦) ويرون المسح على الخفين بالشروط الواردة في كتب الفقه، ثلاثة أيام بلياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم، وكذلك المسح ثلاثة أيام بلياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم، **وكذلك المسح** على الجوربين والنعلين، وقد خالفت الرافضة في ذلك، غير أن المسح على الخفين متواتر عن رسول الله، ﷺ.

(٧٧) ويرون الحج والجهاد باقيين مستمرين مع أمراء المسلمين، البر والفاجر، **لايبطلهما** شيء ولاينقضهما، ولايرفع حكم وجوبهما وذلك إلى قيام الساعة، كل ذلك مع الأئمة العدول والجورة ، فالجائر قوته للمسلمين وجوره على نفسه، ماداموا باقين في حظيرة الإسلام، أما إن خرجوا من الإسلام فذلك شيء آخر.

الخلاصة:

على المسلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، ولا يتكلف ما لا علم له به، ويجوز المسح على الخفين في الحضر والسفر، والحج والجهاد ماضيان إلى يوم القيامة مع الأئمة العدول والجورة.

المناقشة:

(١) إذا سُئلت عما لاتعلم فماذا تقول؟
(٢) ما حكم المسح على الخفين؟ وما مدته؟
(٣) ما حكم الجهاد والحج مع الإمام الجائر؟.

الفقرة الخامسة والعشرون

(٧٨) ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين.

(٧٩) ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح العالمين.

(٨٠) وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وعلى ماجاءت به الأخبار عن رسول الله، ﷺ، وعن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

اللغة: الموكل: الموظف.

(٧٨) **يؤمن أهل السنة بالملائكة الكرام الكاتبين**، الذين جعلهم الله ـ تعالى ـ حفظه علينا، يحصون علينا جميع أقوالنا وأفعالنا، ولا يفارقوننا إلا عند الخلاء والجماع، وهم المذكورون في قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، ومنهم رقيب وعتيد الذين ذكرهم ـ تعالى ـ بقوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2].

(٧٩) **ويؤمنون بملك الموت** الذي كلفه الله ـ تعالى ـ بقبض أرواح العالمين من الثقلين، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[3] ونسبة التوفي إلى ملك الموت باعتبار أنه هو الذي يباشر قبض الروح بإذن الله ـ تعالى ـ. ولما كان ذلك بإذن الله ـ تعالى ـ وإرادته نسب التوفي إلى الله ـ تعالى ـ

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٠، ١١.

(٢) سورة ق، الآية: ١٨.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٨١١

أيضاً إذ هو الفاعل في الحقيقة كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[(١)] ولا تعارض أبداً، فملك الموت يقبض الأرواح التي يأمره الله بها، وهو من أعظم الملائكة خلقاً، ولم يرد له اسم محدد في الكتاب والسنة، وماورد في ذلك فلا يصح عن رسول الله، ﷺ، وإنما هو من كلام أهل الكتاب.

(٨٠) ويؤمن بأن في القبر عذاباً حقيقياً يقع على الكفار والمنافقين، وعلى من شاء الله من فسقة المسلمين وليس المراد من القبر هذه الحفرة في الأرض بل المراد (عالم البرزخ)، فالمسيء يعذب في البرزخ سواء كان في الحفرة في باطن الأرض أو في البحر في باطن الحيتان أو في حواصل الطيور أو في بطون السباع وغيرها، ويؤمنون بأن ذلك جزاء عادل لهم وأنهم يستحقون ذلك، ويؤمنون بأن المنكر والنكير وهما ملكان غليظان يباشران سؤال كل إنسان في قبره، عن ربه ودينه ونبيه، وكل هذه الأخبار ثبتت عن رسول الله، ﷺ، بطريق التواتر، فوجب اعتقاد مادلت عليه.

(٨١) والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

اللغة: .....

الشرح: **والقبر إما روضة من رياض الجنة**، وذلك على المؤمن الصالح الذي يثبته الله ويجيب على أسئلة الملائكة، **وإما حفرة من حفر النيران** على الكافر والمنافق، ومن أراد الله من ظلمة المسلمين وفساقهم، ولم يصح ذلك اللفظ (القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من

(١)سورة الزمر، الآية: ٤٢.

حفر النيران) لم يصح عن رسوله الله، ﷺ، ولكنه مضمون الأحاديث المتواترة الثابتة عن رسوله الله، ﷺ، في شأن القبر.

الخلاصة:

نحن نؤمن بالملائكة الكرام الكاتبين الحفظة، ونؤمن بملك الموت، ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه وبسؤاله، وبمنكر ونكير، وبما يكون في القبر.

المناقشة:

(١) من هم الحافظون؟
(٢) ماذا تعرف عن ملك الموت؟
(٣) هل في القبر عذاب ونعيم؟
(٤) من هما منكر ونكير؟

الفقرة السادسة والعشرون

(٨٢) ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب والصراط والميزان.

(٨٣) والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وأن الله - تعالى - خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له.

اللغة: (البعث) الإحياء يوم القيامة، (لا تفنيان أبداً ولا تبيدان) لا تنقضيان ولا ينتهي وجودهما.

الشرح: (٨٢) ويؤمن أهل السنة أيضاً بأن الله - تعالى - يبعث الموتى يوم القيامة، فيجازيهم بأعمالهم كما قال - تعالى -: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾[1] ويؤمنون بالعرض على الله كما قال - تعالى -: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾[2] وبالحساب حيث يحاسب الله كل إنسان بما عمل، وبقراءة الكتاب كما قال - تعالى -: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[3] وبالثواب والعقاب لأهل الحسنات والسيئات، الحسنة بعشر أمثالها أو يزيد، والسيئة بمثلها أو يعفو، ويؤمنون بالصراط وهو جسر على شفير جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف، يعبره الصالحون إلى الجنة، ويتخطف من فوقه أهل العذاب، ويؤمنون بالميزان الذي توزن به أعمال

(١) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ١٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٤.

العباد، وهو ميزان حقيقي توضع الحسنات في إحدى كفتيه، والسيئات في الكفة الثانية.

(٨٣) ويؤمنون بوجود الجنة والنار وأنهم مخلوقتان وموجودتان الآن، والجنة دار المتقين، والنار دار الكافرين والمذنبين، فأما نار المذنبين فتفنى، وأما نار الكافرين فلا تفنى، وأما الجنة فإنها لا تفنى أبداً وقد خلقهما الله قبل الخلق، وقد خلق الله لكل منهما أهلاً، أما أهل الجنة فييسرون لعمل أهل الجنة، وأما أهل النار فييسرون لعمل أهل النار، فأهل الجنة يدخلونها بفضل الله، وأهل النار يدخلونها بعدل الله، وكل واحد يعمل على حسب ما قدره الله له، وكل واحد يصير إلى ما قدره الله له.

(٨٤) والخير والشر مقدران على العباد...

(٨٥) والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الأدوات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾.

اللغة: (مقدران) مكتوبان مرادان، (**الوسع**) الطاقة والتمكن.

الشرح: (٨٤) والخير والشر كلاهما كائن بقضاء الله وقدره كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[1] وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[2] فكل شيء يجري في هذا الكون من خير وشر إنما يجري بتقدير الله وإرادته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

(١) سورة النساء الآية: ٧٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٨٥) **الاستطاعة نوعان:** استطاعة بمعنى وجود آلات الفعل والطاقة والقدرة اللازمة لفعله، والوسع المطلوب للفعل، فهذه قد تكون قبل الفعل، بل هي أصلاً تكون قبل الفعل، وعلى أساسها يكون الأمر والنهي، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[2] **فالخطاب متعلق بها والتكليف منوط بها، والاستطاعة الثانية: هي القدرة والإرادة بها الفعل وهذه تكون مع الفعل وهذه بمثابة التوفيق والهداية الذي لا يوصف به إلا الله تعالى.**

(٨٦) وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد.

(٨٧) ولم يكلفهم الله ـ تعالى ـ إلَّا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير (لا حول ولا قوة إلا بالله) نقول: لا حيلة لأحد، ولا حركة لأحد عن معصية إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله ـ تعالى ـ.

(٨٨) وكل يجري بمشيئة الله ـ تعالى ـ وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً، تقدس عن كل سوى وحَيْن، وتنزه عن كل عيب وشَيْن **﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾**.

اللغة: (تقدس) تعالى وتنزه (حين) الحَين الهلاك، (شين) عيب وهو ما شين الإنسان.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٧.

الشرح: (٨٦) وأفعال العباد كلها خلق الله - تعالى - كما قال - عز وجل -: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١] لكنها كسب من العباد، وهذا هو قول أهل الحق، خلافاً للجبرية الذين نفوا أي إرادة للعبد، وخلافاً للمعتزلة الذين جعلوا العبد خالق أفعال الشر دون إرادة الله، فهم في طرفي النقيض الإفراط والتفريط، والوسط قول أهل السنة والجماعة.

(٨٧) والله - تعالى - لم يكلف الناس إلا بما يطيقون كما قال - تعالى -: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢] فالتكليف بالشيء دليل على استطاعته، والعباد لا يطيقون إلا ما كلفهم الله به، فلو أنهم أطاقوا غيره لكلفهم الله به، فلما لم يكلفهم بأكثر مما كلفهم به، دل على أنهم لا يطيقون غيره، ومعنى (لا حول ولا قوة إلا بالله) أي لا تحول عن المعصية ولا قدرة على الطاعة إلا بمعونة الله تعالى وتوفيقه.

(٨٨) وكل شيء يجري في هذا الكون بمشيئة الله - تعالى - وعلمه، وبقضائه وقدره، فمشيئة الله غلبت كل مشيئة، ومشيئته تنفذ، ومهما احتال الناس للإفلات مما قضاه الله - تعالى - لم يستطيعوا فقضاؤه غلب الحيل كلها، يفعل الله - تعالى - ما يشاء، وهو متنزه عن الظلم، وكل شيء قضاه فهو عين العدل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾[٣] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٤] وقد تنزه وتقدس عن كل سوء وظلم وهلاك وعيب وشين ونقص ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٥].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٩٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٠.
(٤) سورة يونس، الآية: ٤٤.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

الخلاصة:

البعث حق يوم القيامة والجزاء والعرض والحساب والميزان والجنة والنار، كله حق، والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، وكل عبد صائر إلى ما قدر الله له، وكل أفعال العباد مخلوقة لله والاستطاعة نوعان على ما سبق تفصيله، والله ـ تعالى ـ لم يكلف العباد بما فوق طاقتهم.

المناقشة:

(١) ماذا تعرف عن أحوال يوم القيامة؟

(٢) ما القول الحق في مسألة فناء النار؟

(٣) هل خلق الله الخير والشر وقدرهما؟

(٤) كيف ترد على من قال: إن الله كلف الناس فوق طاقتهم؟

الفقرة السابعة والعشرون

(٨٩) وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات.

(٩٠) والله ـ تعالى ـ يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات.

(٩١) ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله ـ تعالى ـ طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين، فقد كفر، وصار من أهل الحين.

(٩٢) والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى.

اللغة: **(غنى)** استغناء. (الحَيْن) الهلاك. **(الورى)** الخلق.

الشرح: (٨٩) والميت ينتفع بدعاء الحي له كما في الحديث:

«. . . أو ولد صالح يدعو له»[1] وكذلك ينتفع الميت بصدقة الحي عنه، سواء من ولده أو غيره.

(٩٠) والله ـ تعالى ـ يستجيب الدعوات كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] وهو الذي يقضي الحوائج لخلقه، من جلب النفع ودفع الضر، إذ لا يملك الأمر سواه.

(٩١) والله ـ تعالى ـ هو مالك الملك، ومالك كل شيء، ولا تصرف لا في خلقه إلا بإذنه، ولا يمكن الاستغناء عن الله ـ تعالى ـ طرفة عين، فكل مخلوق محتاج إلى الله ـ تعالى ـ في خلقه وإيجاده ورزقه وتدبير أموره، وهدايته وإرشاده، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

---

(١) مسلم (١٦٣١) في الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، أبو داود (٢٨٨٠٠) في الوصايا وغيرهما.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾(١)، وأيما مخلوق ظن لحظة أنه يستطيع الاستغناء عن الله ـ تعالى ـ فقد كفر بذلك، وأصبح من أهل الردى والهلاك.

(٩٢) والله ـ تعالى ـ يغضب إذا انتهكت محارمه، ويرضى إذا أتيت مراضيه وأوامره، وغضبه ورضاه صفتان ثابتتان كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾(٢) وكما قال: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) وهما على المعنى اللائقة بالله ـ تعالى ـ دون تكييف ولا تشبيه، فغضبه ورضاه صفتان ليستا كصفات الخلق بحال من الأحوال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾(٤).

الخلاصة:

الدعاء والصدقة من الأحياء ينفعان الأموات، والله ـ تعالى ـ هو مجيب الدعوات، ويملك كل ما في الأرض والسموات، لا يستغنى عنه أحد من المخلوقات، وغضبه ورضاه صفتان حقيقيتان على الكيفية اللائقة به ـ سبحانه وتعالى ـ.

المناقشة:

١ ــ هل ينتفع الميت بصدقة الحي ودعائه؟
٢ ــ ما حكم من ظن أنه مستغن عن الله؟
٣ ــ هل ثبتت صفتا الغضب والرضى لله؟

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٣.
(٣) سورة الفتح، الآية: ١٨.
(٤) سورة الشورى: الآية: ١١.

الفقرة الثامنة والعشرونْ

(٩٣) ونحب أصحاب رسول الله، ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

(٩٤) ونثبت الخلافة بعد رسول الله، ﷺ، أولاً لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه، ثم لعثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ثم لعلي ـ رضي الله عنه وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون.

اللغة:

الشرح: **(٩٣) ونحب أصحاب رسول الله، ﷺ، بحب رسول الله وحبه لهم، ولا نفرط في حب أحد منهم** كما فعلت الروافض بعلي ـ رضي الله عنه ـ فرفعوه فوق منزلته حتى أوصلوه لدرجة الألوهية، **ولا نتبرأ من أحد منهم** فقد كانوا أكمل الناس إيماناً وإحساناً، وأعظمهم طاعة وجهاداً، **ونبغض من يبغضهم** فإن ذلك علامة النفاق والخذلان، **ونبغض من يذكرهم بغير الخير، ولا نذكرهم إلا بخير** فإن النبي، ﷺ، قد أحبهم وأوصى بهم، فحبهم علامة صحة الدين وعلامة الإيمان والإحسان وبغضهم علامة الكفر والنفاق والخذلان والطغيان، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى.

(٩٤) ونثبت الخلافة بعد رسول الله، ﷺ، لأبي الصديق تفضيلاً له وتقديماً على سائر الأمة، إذ فضله الرسول، ﷺ، وقدمه وألمح إلى

خلافته في عدة أحاديث، وهو أولى الأمة بالفضل والتقديم، وقد اتفق المسلمون على بيعته يوم السقيفة **ومن بعده** عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حيث استخلفه أبو بكر على الناس، فبايعوه وهما صاحبا رسول الله، ﷺ، ومن بعده عثمان بن عفان ذو النورين ـ رضي الله عنه ـ زوج ابنتي رسول الله، ﷺ، **ومن بعده** علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ زوج فاطمة بنت الرسول، ﷺ، وهؤلاء الأربعة هم أفضل الصحابة، **وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهتدون**، الذين أوصى رسول الله، ﷺ، باتباع سنتهم.

(٩٥) وأن العشرة الذين سماهم رسول الله، ﷺ، وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله، ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين.

(٩٦) ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله، ﷺ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برىء من النفاق.

اللغة: **(الدنس)** الوسخ، **(رجس)** القذر القبيح.

الشرح: **(٩٥) ونؤمن بأن النبي، ﷺ، قد بشر عشرة من أصحابه بالجنة** صراحة حيث قال: ﴿**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة..**﴾[1] فذكر العشرة المذكورين آنفاً، فنحن نؤمن بذلك ونؤمن أن

(١) أبو داود (٤٦٤٩) في السنة وأحمد وغيرهما. وهو حديث صحيح.

الرسول، ﷺ، قد بشر غيرهم على ما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

(٩٦) وكل من أحسن القول في حق أصحاب رسول الله، ﷺ، ولم يقع في أحد منهم. وأحسن القول في أزواجه - رضي الله عنهم - الطاهرات من كل دنس، المبرآت من كل إثم، وفي ذريته المتنزهين عن كل رجس وقذر، الذين أمر باتباعهم وأوصى بهم، كل من أحسن قوله فيهم جميعاً **فقد بريء من النفاق.**

الخلاصة:

نحب الصحابة دون غلو أو تقصير، ونعرف فضلهم على غيرهم، ونقدم الخلفاء على حسب ترتيب ولايتهم، ونعرف حق العشرة الذين بشروا بالجنة، ونقول كل من أساء القول فيهم أو في أزواج رسول الله وذريته، فإنه منافق.

المناقشة:

١ ـ ما الواجب نحو أصحاب رسول الله، ﷺ؟
٢ ـ ما القول في أزواجه وذريته؟
٣ ـ ما موقفنا ممن وقع فيهم؟

الفقرة التاسعة والعشرون

(٩٧) وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

(٩٨) ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء.

(٩٩) ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم.

اللغة: (**الكرامات**) وهي ما يجريه الله للصالحين من خوارق العادات.

الشرح: (٩٧) **والعلماء السابقون، من الصحابة والتابعين**، أهل الصلاح وأتباع السنن وأهل الفقه، لا نذكرهم إلا بالجميل والثناء، ومن ذكرهم بسوء فهو على سبيل الضلالة، فإن محبتهم واجبة، ولحومهم مسمومة لمن ذكرهم بسوء.

(٩٨) **ولا نفضل الأولياء على الأنبياء**، كما قال بعض أهل الضلالة كابن عربي وغيره، بل نقول: إن النبي الواحد أفضل من جميع الأولياء، وذلك لما اصطفاهم الله من النبوة والحكمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾(١).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٩٩) ونؤمن بما ورد من كرامات الأولياء، وما أجراه الله لهم من خوارق العادات، نؤمن بما ثبت من ذلك، ونرد ما لم يثبت، والأصل في ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1] وما ورد في حق أولياء الرحمن هو مقصور على أهل الطاعة والرضوان والإيمان دون ما ثبت من خوارق العادات لبعض أولياء الشيطان.

الخلاصة:

لا نذكر أهل العلم من السلف الصالحين بغير الجميل، ونفضل الأنبياء على الأولياء، ونؤمن بما صح من كرامات الأولياء.

المناقشة:

١ ـ ما موقفنا من السلف الصالحين؟
٢ ـ هل يجوز تفضيل ولي على نبي؟
٣ ـ ما هي كرامات الأولياء؟ اذكر دليلاً على جوازها؟

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

الفقرة الثلاثون

(١٠٠) ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم - عليه السلام - من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها.

(١٠١) ولا نصدق كاهنا ولا عرافاً، ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

اللغة: **(أشراط)** جمع شرط وهو العلامة، **(الكاهن)** من يدعي علم الغيب **(العراف)** المنجم.

الشرح: **(١٠٠) ونؤمن بأن للساعة علامات** تظهر فتدل على قرب قيام الساعة وهذه العلامات قد ذكرها النبي ﷺ، في حديثه حيث قال في حق الساعة: **«إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات فذكر الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم. .»**[١] الحديث، وهذه هي العلامات الكبرى للساعة، وهناك علامات صغرى غيرها.

(١٠١) ولا نصدق كاهنا ولا عرافاً وهم الذين يدعون علم الغيب، والإخبار بالمغيبات، لأن الله - تعالى - يقول: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[٢] وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٣] والنبي، ﷺ، يقول: «من أتى عرافاً أو كاهناً،

---

(١) مسلم (٣١٥/٤) في الفتن، وابن ماجه (٢٥٨/٢) في أشراط الساعة وغيرهما.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٥.

فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد﴾(١)، وهكذا كل من ادعى شيئاً يخالف كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، وإجماع الأمة، فإننا نرده عليه ولا نقبله، كائناً من كان.

الخلاصة:

نؤمن بأشراط الساعة الكبرى، ونكذب الكهنة والعرافين وكل من ادعى خلاف الكتاب والسنة والإجماع.

المناقشة:

١ ـ ما معنى أشراط الساعة؟ اذكر أربعة منها؟

٢ ـ ما حكم من أتى الكهنة والعرافين وصدقهم؟

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤) والترمذي (١٣٥) وابن ماجة (٦٣٩) وغيرهم. وهو حديث صحيح.

الفقرة الحادية والثلاثون

(١٠٢) ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً.

(١٠٣) ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام قال الله - تعالى -: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وقال - تعالى -: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

(١٠٤) وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس.

اللغة: **(زيغاً)** هو الميل عن الحق.

الشرح: **ونرى أن الجماعة هي الحق والصواب**، والطريق المستقيم، وهي الفرقة الناجية، وهي ما كان عليه رسول الله، ﷺ، وما عداه من فرق الضلال، فزيغ وضلال وميل عن الحق، وعذاب في الدنيا والآخرة، قال - تعالى -: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[1].

ودين الله واحد وهو الإسلام قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2] وقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[3] وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[4] فهو

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

الدين الحق الذي بعث الله به جميع رسله، وهو أن لا يعبد إلا الله - تعالى - وأن يعبد بما شرع، فما من رسول إلا وقد أرسل بالإسلام، قال أبناء يعقوب عليه السلام له ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(١) وقال موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾(٢) وقالت بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾(٣) وقال أصحاب عيسى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾(٤).

(١٠٤) **وهو دين وسط** كما قال - تعالى -: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(٥) فهو وسط في العبادة بين الغلو والتقصير، ووسط في حق النبي، ﷺ، لا غلو ولا تقصير، وهو وسط في باب الصفات بين من شبهوا الله بخلقه وبين من عطلوا صفاته ونفوا معانيها، ووسط في القدر بين من نفوا إرادة الإنسان وهم الجبرية وبين من جعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله وهم القدرية، ووسط بين الأمن من مكر الله واليأس من رحمته.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.
(٢) سورة يونس، الآية: ٨٤.
(٣) سورة النمل، الآية: ٤٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

الفقرة الثانية والثلاثون

(١٠٥) فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن براء إلى الله من كل ما خالف الذي ذكرناه وبيناه. ونسأل الله ـ تعالى ـ أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلال وأردياء وبالله العصمة والتوفيق.

اللغة: (الردية) الفاسدة.

الشرح: **ونحن قد بينا ديننا وعقيدتنا**، وهو كل ما سبق ذكرناه، فهذا اعتقادنا الظاهر والباطن ولسنا ممن يظهرون غير ما يبطنون، ونتبرأ إلى الله ـ تعالى ـ أن يثبتنا على الإيمان، كما كان النبي، ﷺ، يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»(١) وأن يعصمنا من الأهواء المختلفة، والأوهام الفاسدة والآراء المتفرقة في مسائل الاعتقاد، والمذاهب الرديئة الفاسدة كالمشبهة والمعتزلة، والجهمية والجبرية، والقدرية وغيرهم، ووافقوا الضلالة، وحالفوها وقالوا بها، فنحن نتبرأ منهم، إذ يلزم المسلم أن يتبرأ من أهل الكفر والابتداع ونحكم عليهم بأنهم ضلال أردياء، فاسدو المذاهب والعقول والآراء، والله هو العاصم والموفق. **وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٨٢/٤ وابن ماجه في المقدمة باب: فيما أنكرت الجهمية (٧٢/١) ح(١٩٩) والحاكم في المستدرك (٥٢٥/١) والأجري في الشريعة ص(٣١٧) وابن منده في الرد على الجهمية ص٨٧ جميعهم من حديث النواس بن سمعان قال الحاكم (جميع على شرط مسلم ولم يخرجاه) وقال عنه ابن منده (حديث النواس بن سمعان حديث ثابت رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن على واحد منهم).

الفصل الرابع:

الشرح الميسر
للفقه الأبسط
المنسوب لأبي حنيفة
رواية أبي مطيع البلخي عن أبي حنيفة

المقدمة

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يعهده الله فلا فصل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد:

فإن كتاب الفقه الأبسط للإمام أبي حنيفة رواية أبي مطيع البلخي، هو رواية أخرى للفقه الأكبر، فقد نقل عنه الأئمة المحققون، كابن تيمية في (الحموية) (٥/٤٦) وابن قدامة في العلو (ص١١٦) وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٧٦) والذهبي في العلو (ص١٠١) وسموه الفقه الأكبر، ولم يعرف باسم الفقه الأبسط إلا عند بعض متأخري الحنفية كالبياض في إشارات المرام (ص٢٨) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين) (١٤/٢) وسمياه بالفقه الأبسط تمييزا له على الفقه الأكبر برواية حماد بن أبي حنيفة، وراوي هذا الكتاب هو: أبو مطيع البلخي الحكيم بن عبدالله بن مسلم الخراساني قال عنه أبو داود: تركوا حديثه وكان جهمياً، وقال أبو حاتم: كان مرجئاً ضعيف الحديث، وقال ابن حبان: كان من رؤساء المرجئة، وممن يبغض السنن ومنتحليها. وقال ابن عدي: هو بين الضعف، عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وقال: الذهبي وابن حجر: كان ابن المبارك يعظمه ويجله لدينه وعلمه.

قلت: قولهما: لدينه: أي لزهده، وأما قولهما: لعلمه، فالظاهر أنه يعني فقهه، ومما حملني على إخراج هذا الكتاب أنه معول عليه عند

الحنفية والماتريدية، مع أن كثيراً من الماتريدية خالفوا بعض ما في هذا الكتاب ولاسيما في باب الصفات.

ويظهر أن هذا الكتاب من تخريج أبي مطيع على كلام أبي حنيفة، فلذا ما رأيناه مخالفاً لما قرره الطحاوي في عقيدته، التي نقلها عن الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن، فنجزم أنه كذب على أبي حنيفة، إلا إذا خالف بدعة أبي مطيع في التجهم وتعطيل الصفات فنقبلها إذ ليس فيها نصرة لمذهبه.

ومنهجي في إخراج هذا الكتاب ما يلي:

١ ـ وضع المتن في أعلى الصفحة.

٢ ـ شرح الغريب من الألفاظ.

٣ ـ شرح المعنى الإجمالي بطريقة مبسطة موافقة لمذهب السلف.

٤ ـ عزوت الآيات إلى مواضعها في كتاب الله.

٥ ـ اجتهدت في عزوا الأحاديث إلى مواضعها في دواوين السنة، مع بيان درجتها كلما أمكن.

٦ ـ عملت لكل فقرة خلاصة لاختصار الفائدة.

٧ ـ أتبعت الخلاصة بأسئلة لبيان مدى استفادة القارىء.

٨ ـ عملت عناوين جانبية لتسهيل الرجوع للكتاب.

فما كان في هذا الكتاب من حق فمن الله، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه، وأستغفر الله من الخطأ والزلل.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين روى الإمام أبو بكر محمد بن محمد الكاساني، عن أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي ، قال: أخبرنا أو المعين ميمون بن محمد بن مكحول النسفي أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن علي الكاشغري الملقب بالفضل قال: أخبرنا أبو مالك نصران بن نصر الختلي عن علي بن الحسن بن محمد الغزال عنن أبي الحسن علي بن أحمد الفارسي حدثنا نصير بن يحيى الفقيه. قال: سمعت أبا مطيع الحكم بن عبدالله البلخي يقول:

(من أصول أهل السنة والجماعة)

سألت أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنه وعنهم عن الفقه الأكبر فقال: ألا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا تنفى أحداً من الإيمان

اللغة: **(الحمد)** الثناء على الجميل الاختياري **(رب)** الرب هو المربي السيد المالك المتصرف **(العالمين)** جمع عالم **(الصلاة)** الصلاة في اللغة الدعاء **(الفقه الأكبر)** الفقه لغة الفهم **(لاتكفر)** لاتحكم بالكفر **(أهل القبلة)** أي المنتسبين إلى الإسلام **(لاتنفي)** لاتخرج.

الشرح: سئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله عن الفقه الأكبر ـ أي علم معرفة العقائد ـ، وإنما سماه بالفقه الأكبر لأنه أعظم العلوم، وحاجة العباد إلى معرفته أعظم من حاجتهم إلى معرفة ماعداه، فبينه رحمه الله بمسائل منها:

* عدم تكفير أحد من أهل القبلة ـ أي المسلمين ـ بذنب، وعدم نفيه ـ أي إخراجه ـ من الإيمان فإن المسلم إذا دخل في الإسلام

....

لايكفر إلا بجحود ما أدخله فيه، لكنه لايكفر بارتكابه لذنب إلا إذا استحل هذا الذنب وأنكر تحريمه، فإن الله سبحانه وتعالى لم يحكم في كتابه على أهل المعاصي بالكفر، ولا كفرهم النبي ﷺ.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه: «ولانكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولانقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»[1].

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٩٠).

وأن تأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك. ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله صلى - ﷺ -

---

اللغة: (**المعروف**) كل فعل عرف حسنه بالشرع أو بالعقل، (**المنكر**) عكس المعروف ما علم قبحه (**لاتتبرأ**) تبرأ من كذا أي تخلص منه وتخلص منه وتخلى عنه.

الشرح: وهذا من أصول أهل السنة والجماعة، وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى في وصف هذه الأمة **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**(١) وهو واجب على هذه الأمة على الكفاية بقدر ما يتحقق، الواجب، فلو قام به البعض سقط عن الباقين.

ومن أعظم أصولهم أيضاً أن يعلم الإنسان أن ما قدره الله وقضاه كائن فإذا قدر الله أن يصيب الإنسان سوء فلا بد أن يصيبه، مهما اجتهد في دفعه، وإذا قدر له أن لايصاب به لم يصب ولو اجتمع جميع الخلق على أن ينزلوه به، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾(٣) ومن هنا يتبين أن الذين يستغيثون بأهل القبور وينذرون لها ليسوا على دين أهل التوحيد، بل هم على دين أهل الشرك فالإمام أبو حنيفة وغيره من أئمة الإسلام برداد منهم، فقد قال الإمام أو حنيفة: «لاينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به»(٣).

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٠).

(٢) سورة يونس الآية (١٠٧).

(٣) الدر المختار مع حاشية رد المختار ٦/٣٩٦: ٣٩٧).

....

وكذلك قول النبي ﷺ لعبد الله بن العباس رضي الله عنهما: «**وأعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»(١). فلا بد أن يؤمن الإنسان بذلك، وهذا من أصول أهل السنة، كما ذكر الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧) والترمذي (٤/٦٦٧/٢٥١٦) في صفة القيامة باب (٥٩)، وغيرهما من حديث حفش عن ابن عباس مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١٣١٧: ١٣١٨/ ح ٧٩٥٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٣٤).

ولا تـوالي أحداً دون أحد، وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله تعالى.

اللغـة: **(ولا تـوالى)** أي لا تتخـذ وليـا وهـو الحبيب والنصـير.
(تــرد) ترجع.

الشرح: ومن أصـول أهل السنـة أيضاً أن لايتـبرأ الإنسان من أحـد من أصحـاب رسول لله ﷺ، بـل يحبهم جميعـاً ويعلم أن الله إختـارهم لصحبة نبيه ﷺ، قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ونحب أصحاب رسـول الله ﷺ ولانفرط في حب أحـد منهم، ولانتـبرأ من أحـد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغـير الخـير يـذكـرهم، ولانـذكـرهم إلا بخـير، وحبهم دين وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[١]، وهكذا فالمسلم يحبهم جميعـاً، ويعرف لهم قـدرهم يواليهم جميعـاً، ولايـوالى أحـداً دون أحـد، بل يتـولاهم جميعاً ولايعقـل كما تفعـل الروافض الـذين يتـولـون بعضـاً، ويتبرأون من البـاقي، وكذلـك من أصول أهـل السنـة أن يـرد المسلم أمر عثمان رضي الله عنه إلى الله، فيما أخذه عليه بعض الصحابة من توليه أقاربه أو غير ذلك، وأن يحسن به الظن، وأن يعتقـد أنه قتـل رضي الله عنه مظلوماً، وأن قتله كان فاتحة شر عـلى الأمة وكـذلك يـرد أمر علي رضي الله عنه إلى الله فيما شجـر بينه وبـين بعض الصحابـة في وقعه الجمل وصفين، وما وقع بينه وبين معاوية رضي الله عنه من اقتتال وسفـك للدمـاء، كـل ذلـك مـردود إلى الله تعـالى، يعلم المسلم أنهم مجتهـدون، منهم مصيب ومنهم مخـطىء، وكلهم مـأجـور إن شــاء الله، ويمسك المسلم عما شجر بينهم فلا يذكرهم إلا بخير، ولاينشغل بذكر ما وقع بينهم، ويحسن بهم جميعاً الظن، فكلهم مريد للخير إن شاء الله.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٦٤).

الخلاصة:

من أصول أهل السنة والجماعة عدم تكفير المسلم بالمعصية وموالاة جميع الصحابة، ورد ما شجر بينهم إلى الله تعالى.

المناقشة:

س١ ـ ما موقف أهل السنة من مسألة تكفير المسلم بالمعصية؟
س٢ ـ بين موقفهم من الصحابة. مع ذكر موقف الروافض.
س٣ ـ اذكر ما ينبغي أن يعتقده المسلم في شأن عثمان وعلي رضي الله عنهما.

(أفضل الفقه وتعريف الإيمان وأركانه)

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: «الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير» قال أبو مطيع: قلت: فأخبرني عن أفضل الفقه؟ قال أبو حنيفة: أن يتعلم الرجل الإيمان بالله تعالى والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأمة واتفاقها. قال: قلت: فأخبرني عن الإيمان؟ فقال: حدثني بن مرثد عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر رضي الله عنهما: أخبرني عن الدين ما هو؟ قال: عليك بالإيمان فتعلمه. قلت: فأخبرني عن الإيمان ما هو؟ قال: فأخذ بيدي فانطلق بي إلى شيخ فأقعدني إلى جنبه فقال: إن هذا يسأل عن الإيمان كيف هو؟

اللغة: **(الأحكام)** مسائل الفروع **(الإيمان)** لغة التصديق واصطلاحاً قول وعمل يزيد وينقص تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح **(الشرائع)** جمع شريعة وهي ما شرعه الله لعباده **(السنن)** جمع سنة تشمل كل ما ثبت عن النبي ﷺ **(الحدود)** جمع حد وهو ما ينتهي إليه الشيء.

الشرح: بين أبو حنيفة رحمه الله تعالى أن تعلم مسائل الاعتقاد وأصول الدين وهي ما تصح به عقيدة الإنسان، خير له من تعلم مسائل الفروع التي قد لا تكون بنفس الخطورة، ولهذا كان تعلم مسائل أصول الدين خير من جمع أطراف العلم بالفروع ولما سئل عن أفضل

....

الفقه بين ذلك بأنه تعلم الإنسان كيف يؤمن بالله تعالى؟ وكيف يصحح إيمانه ويستكمل شعبه؟ ويعرف شرائع الله تعالى وسنن رسوله ﷺ، وما اختلفت فيه الأمة، وما اتفقت عليه من مسائل الدين، ولما سئل رحمه الله عن بيان الإيمان وذلك لما تكلم عن مكانته فسأله السائل عن حقيقة الإيمان فبينها رحمه الله من خلال الحديث الذي ساقه لما سئل ابن عمر عن الدين فذكر الإيمان، ولما سأله السائل عن الإيمان أراد أن يبينه له بيانا مؤكداً، فأخذه من يده وانطلق به إلى شيخ لا يعرفه السائل، فأقعده إلى جنبه، وكان ذلك الشيخ ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ فأخبره بسؤال السائل عن الإيمان كيف هو؟

فقال ـ والشيخ كان ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ- قال ابن عمر: كنت إلى جنب رسول الله ﷺ وهذا الشيخ معي إذ دخل علينا رجل حسن اللمة متعمماً نحسبه من رجال البادية فتخطى رقاب الناس فوقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال: شهادة ألا إله إلا الله

اللغة: **(حسن اللمة)** اللمة هي شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن **(تخطى رقاب الناس)** المراد بذلك أنه تخطى الصفوف متقدماً للأمام. **(بين يدي)** أمام **(شهادة)**و هي الإخبار عن علم.

الشرح: ثم بيَّن له كيف كان جالساً مع النبي ﷺ يوماً فدخل عليهم رجل حسن الشعر لابساً عمامته، يحسبه الرائي من رجال البادية، فتخطى الناس حتى وقف أمام النبي ﷺ فسأله: ما الإيمان؟ فبينه النبي ﷺ بقوله: **(شهادة أن لا إله إلا الله)** أي الإقرار والاعتراف بأن الله تعالى هو المستحق للعبادة دون سواه لأنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] فلما كان هو المنفرد بالخلق والرزق والملك والتدبير والتصرف، أي المنفرد بالربوبية كان من الواجب إفراده بالألوهية ـ أي العبودية ـ لأنه هو المستحق لها، فمعنى (لا إله إلا الله) لا مستحق للعبادة إلا الله، وإن كان هناك معبودات أخرى لكنها باطلة لا تستحق العبادة إذ ليس لها من الأمر شيء كما قال عز وجل: **﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾**[2] فالإقرار بالألوهية متضمن

---

(١) سورة فاطر الآية (٣).

(٢) سورة الحجر الآية (٦٢).

....

للإقرار بالربوبية، والإقرار بالربوبية مستلزم للإقرار بالألوهية، ولا يكون الإنسان موحداً حقاً حتى يوحد الله في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته وذلك بأن يعتقد أن الله تعالى متسم بالأسماء الحسنى، متصف بالصفات العلى، يثبتها لله كما أثبتها لنفسه، على معناها الحقيقي.

وأن محمداً عبده ورسوله، وتؤمن بملائكته

اللغة: (رسوله) هو المرسل بشرع المأمور بتبليغه **(ملائكة)** جمع ملك خلق نوراني لطيف خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أمره.

الشرح: دون أن يعطل معناها بتأويل يخرجها عن حقيقتها أو تحريف أو غيره، هذا مع اعتقاد عدم مشابهة الله تعالى لخلقه أبداً، فإنه تعالى قال في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١) فالصواب الذي كان عليه السلف في هذا الباب (إثبات بلا تمثيل، وتنزيل بلا تعطيل).

كما أن من لازم (لا إله إلا الله) الكفر بما عبد من دونه من الطواغيت فإنها نفي لكل هذه الآلهة الباطلة في قولنا: (لا إله) ثم إثبات العبودية لله وحده (إلا الله).

* وشهادة أن محمداً عبده ورسوله تستوجب الإقرار بأنه عليه السلام عبد من عباد الله فلا نرفعه فوق منزلته، قال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾(٢) ولكنه رسول من الله تعالى، مبلغ عن الله وحيه، فلا نغمطه حقه ولا نخفضه عن منزلته التي يستحق، واعتقاد أنه آخر النبيين كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(٣) فدعوى النبوة بعده كفر وضلال، وهو ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(٢) سورة الإسراء الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٤٠).

....

ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ)[1] أتى بأحسن شرع وأكمله، فاتباعه واجب، والاقتداء به شرط لدخول الجنة وقبول العمل.

* والإيمان بالملائكة يستلزم الإيمان بأنهم خلق مكرمون﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[2] وهم قائمون على تنفيذ أمر الله تعالى، فالإيمان بهم واجب على وجه الإجمال، ثم نؤمن بمن ورد النص فيهم تفصيلا، ومنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومنكر ونكير ورقيب وعتيد وحملة العرش والحفظة وغيرهم.

---

(١) سورة النجم الآيتان (٣: ٤).

(٢) سورة التحريم الآية (٦).

وكتبه ورسله

اللغة: (كتب) جمع كتاب وهو ما أنزله الله على بعض رسله. (رسله) جمع رسول وهو من أرسل مبلغا بشرع.

الشرح: والإيمان بالكتب يتضمن الإيمان بأن الله تعالى أنزل على بعض رسله كتبا، فيجب الإيمان بها إجمالاً، والإيمان بما ورد به النص منها تفصيلاً كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[1] وقال: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[2] ويجب الإيمان بأن القرآن هو خاتم هذه الكتب وخيرها والمهيمن عليها وأنه كلام الله ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[3].

* والإيمان بالرسل يشتمل على أمور منها الإيمان بأن الله تعالى أرسلهم للناس كما قال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[4] وهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، منهم من نعرفه ومنهم من لم نعرف كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[5] فيجب الإيمان بهم إجمالاً، وبمن ورد منهم النص تفصيلا، وهم آدم ونوح وإدريس وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف

---

(١) سورة آل عمران الآية (٣: ٤).
(٢) سورة النساء الآية (١٦٣).
(٣) سورة فصلت الآية (٤٢).
(٤) سورة النساء الآية (١٦٥).
(٥) سورة النساء الآية (١٦٤).

....

ومـوسى وشعيب وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى واليسـع وذو الكفل ويـونس وأيـوب وإليـــاس وعيسى ومحمـد صلوات الله وســلامـه عليهم أجمعـين، وهم أفضل بني آدم وأولهم دخـولاً الجنـة، وأكـرمهم عـلى الله تبـارك وتعـالى، فيجب الإيمـان بهم أجمعـين، واعتقــاد أنهم مـطهـــرون مخلصون، وأنهم معصومون من الشرك والكبائر ومن تعمد الصغائر.

واليوم الآخـر، والقدر خيره وشره من الله تعالى.

اللغة: **(اليوم الآخر)** يوم القيامة **(القدر)** هو المقدور والتقدير، ما يقضى الله على عباده.

الشرح: ويجب الإيمان باليوم الآخر وهو يوم القيـامة، والإيمـان به من أعظم أركان الإيمان. قال تعـالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ..﴾[1]. والإيمـان بـه يشتمـل عـلى الأمور التي وردت بها النصـوص من الكتاب والسنـة وهي: سؤال القبر وفتنتـه ونعيمه وعـذابه، والبعث لـلأرواح والأجساد والحشر للحسـاب، وأهوال القيامـة والنفخ في الصـور والحوض والميـزان والصراط والصحف والجنـة ونعيمها والنـار وعذابهـا فكل هـذه الأمور ثبتت بهـا النصـوص، وجحد أي منها كفر بالله تعالى وردة عن الإسلام.

* ومن أركـان الإيمان الإيمـان بالقـدر، وهذا يعني أربعـة أمـور: الأول: الإيمان بالعلم، أي أن الله تعالى علم كل شيء قبل خلقه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[2] والثاني: الإيمان بالكتابة، فـالله تعالى علم كل شيء ثم كتبه في اللوح المحفوظ، ولا يخرج شيء عـما كتبه الله تعالى كما قال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[3] والثـالث: الإيمان بـالمشيئة، فـما شاء الله كـان، وما لم يشـأ لم يكن، ولا يكون شيء من خـير أو شر إلا بمشيئة

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٧).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٩).

(٣) سورة الحديد الآية (٢٢).

....

الله تعالى، قال عز وجل: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[(١)] والرابع: الإيمان بالخلق فإن الله تعالى هو الذي خلق كل شيء، حتى الخير والشر كله مخلوق لله عز وجل. وقد قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾[(٢)] **فما من شيء إلا والله خالقه، وأفعال العباد من خير وشر هو خالقها كما قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾**[(٣)] وذلك بخلاف المعتزلة الذين جعلوا الإنسان خالقاً لأفعال الشر وهكذا جعلوه خالقاً مع الله

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٣).

(٢) سورة الزمر الآية (٦٢).

(٣) سورة الزمر الآية (٩٦).

فقال: صدقت. فتعجبنا من تصديقه رسول الله ﷺ مع جهل أهل البادية، فقال: يا رسول الله! ما شرائع الإسلام فقال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً والاغتسال من الجنابة. فقال: صدقت. فتعجبنا لقوله بتصديقه رسول الله ﷺ كأنما يعلمه، فقال: يا رسول الله وما الإحسان؟

اللغة: (**الزكاة**) لغة الطهارة (**الصوم**) لغة الإمساك (**الحج**) لغة القصد والقدوم (**الجنابة**) حال من نزل منه مني أو كان منه جماع (**الإحسان**) لغة الإجادة.

الشرح: ثم إن الرجل سأل النبي ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره النبي ﷺ بها وعد منها: إقام الصلاة أي أداء الصلوات الخمس في أوقاتها على الوجه الذي شرعه الله ورسوله مع المحافظة على أركانها وواجباتها وسننها، وعد منها إيتاء الزكاة أي إخراجها في وقتها المحدد وبمقاديرها المشروعة لمن تجب له من الأصناف المحددة في الشريعة، وعد منها صوم رمضان، وهو الامتناع عن الأكل والشرب والشهوة وسائر المفطرات في نهار رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع الامتناع عن سائر المحرمات، وعد منها حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً أي قصد البيت الحرام بمكة أيام الحج للطواف والسعي وأداء النسك، وذلك لمن ملك الزاد والراحلة، وجميع ما ذكر من أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

---

(١) سورة المزمل الآية (٢٠).

....

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١) وقال: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(٢)، ثم عد من شرائع الإسلام الاغتسال من الجنابة، وهو واجب على كل من جامع أو نزل منه المعنى ولا يصح أن يترك المسلم الاغتسال من الجنابة بحال، بل يجب عليه الاغتسال منها

(١) سورة البقرة الآية (١٨٣).

(٢)) سورة آل عمران الآية (٩٧).

قال: أن تعمل لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: صدقت. فقال: يا رسول الله! متى الساعة؟ فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. ثم مضى، فلما توسط الناس لم نره، فقال النبي ﷺ: إن هذا جبريل أتاكم ليعلمكم معالم دينكم»(١).

اللغة: (الساعة) القيامة (معالم) مفردها مَعْلَم وهي علامات الشيء وفطنته.

الشرح: ثم إن السائل سأل رسول الله ﷺ عن الإحسان فبين له النبي ﷺ حقيقة معنى الإحسان وهو أن عبادة الله تعالى كأنك تراه أمام عينيك، فتعمل له على هذا الأساس، وإذا كنت في واقع الأمر لا تراه بعين رأسك فيكفيك علمك بأنه يراك، حتى تجتهد في تصحيح العبادة وتخليصها من كل شائبة، ثم سأله السائل عن القيامة متى هي؟ فأخبره النبي ﷺ أنه لا يعرف عنها أكثر مما يعلمه السائل، إذ هي مما استأثر الله بعلمه ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾(١) وهنا مضى الرجل فلما كان في وسط الناس اختفى فلم يروه، فأخبرهم النبي ﷺ أن هذا الرجل في الحقيقة إنما هو جبريل عليه السلام أتاهم لكي يعرفهم مسائل أصول الدين وعلاماته الأصلية وذلك من فضل الله تعالى عليهم، فإنه لما كانت هذه الأمور أعظم ما يجب على الإنسان علمه،

(١) أخرجه مسلم (١/٣٦) ح٨ في الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان من حديث ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما.
(٢) سورة الأعراف الآية (١٨٧).

....

ولما كان كثير من الصحابة يستحى أن يسأل رسول الله ﷺ عنها، أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام في هذه الصورة لكي يسأل النبي ﷺ عن هذه الأمور، فيعلم الناس حقيقة ما أحجموا أن يسألوا عنه، وأفاد الحديث كذلك أن مجموع ما ذكر هو كل مسائل أصول الدين التي لا يستغني مسلم عن معرفتها والعلم بها.

الخلاصة:

أفضل الفقه معرفة أصول الدين، وأركان الإيمان ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وشرائع الإسلام أصلها الصلاة والزكاة والصيام والحج والغسل من الجنابة، والإحسان عبادة الله تعالى على المراقبة، وأما الساعة فعلمها عند الله.

المناقشة:

س١ ـ ما هو أفضل الفقه؟

س٢ ـ تكلم بالتفصيل عن أركان الإيمان.

س٣ ـ ما هي أصول شرائع الإسلام؟

س٤ ـ عرف الإحسان.

س٥ ـ متى تقوم الساعة؟

(حكم من كذب بالخلق أو أنكر)
معلوماً من الدين بالضرورة

قال أبو مطيع: قلت لأبي حنيفة رحمه الله: فإذا استيقن بهذا وأقربه فهو مؤمن؟

قال: نعم إذا أقر بهذا فقد أقر بجملة الإسلام وهو مؤمن. فقلت: إذا أنكر بشيء من خلقه فقال لا أدري من خالق هذا قال: فإنه كفر لقوله تعالى: ﴿خالق كل شيء﴾ فكأنه قال: له خالق غير الله وكذلك لو قال: لا أعلم أن الله فرض علي الصلاة والصيام والزكاة فإنه قد كفر. لقوله تعالى: ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ولقوله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ ولقوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ فإن قال أؤمن بهذه الآية،

اللغة: (**استيقن**) أي تحقق وتأكد (**أقر**) اعترف (**سبحان**) كلمة تنزيه (**تمسون**) وقت المساء (**تصبحون**) تصيرون في وقت الصباح (**عشيا**) وقت آخر النهار (**تظهرون**) تصيرون وقت الظهر.

الشرح: ثم سأل السائل أبا حنيفة عن حكم من أقر بما ذكر من مسائل أصول الدين وشرائع الإسلام واستيقن بها قلبه هل يحكم له بالإيمان؟ فأجابه بالإيجابة ثم سأله السائل عن حكم من أنكر أن يكون الله خلق شيئاً معينا ونفى علمه بمن خلقه فأجابه بأنه يكفر لأنه شك في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1] لأنه إما أن يكون الله قد خلق

---

(١) سورة الزمر الآية (٦٢).

....

الشيء وإما أن يكون هناك خالق غير الله، وبيَّن له كذلك أن من أنكر علمه بفرضية الصلاة والزكاة والصيام عليه، فإنه يكفر لأنه والحالة هذه يكون جاحداً لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] ولقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[2] فمنكر هذه الأشياء جاحد لكتاب الله وجاحد لما علم ضرورة على جميع الأمة، وكذلك هو منكر لقوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ .. وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾[3] فإنها - أي الآية - بيان للصلوات الخمس (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (حين تصبحون) صلاة الصبح (عشيا) صلاة العصر (تظهرون) صلاة الظهر، فهي بيان لأوقات الصلوات إجمالاً.

(١) سورة المزمل الآية (٢٠).
(٢) سورة البقرة الآية (١٨٣).
(٣) سورة الروم الآيتان (١٧ : ١٨).

ولا أعلم تأويلها ولا أعلم تفسيرها فإنه لا يكفر، لأنه مؤمن بالتنزيل ومخطىء في التفسير الخطأ في التأويل لا يكفر به المرء والجاهل في أرض الشرك لا يكفر قلت له: لو أقر بجملة الإسلام في أرض الشرك ولا يعلم شيئا من الفرائض والشرائع ولا يقر بالكتاب ولا بشيء من شرائع الإسلام إلا أنه مقر بالله تعالى وبالإيمان ولا يقر بشيء من شرائع الإيمان فمات أهو مؤمن؟

قال: نعم ـ قلت: ولو لم يعلم شيئاً ولم يعمل به إلا أنه مقر بالإيمان فمات قال: هو مؤمن.

تعريف أبي حنيفة للإيمان. وتفويض الأعمال إلى الله تعالى وكل ميسر لما خلق له:

قلت لأبي حنيفة: أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتشهد بملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره وقيامته وخيره وشره.

اللغة: (تأويل) المراد هنا التفسير (التنزيل) مصدر نزَّل والمراد هنا ما أنزله الله **(الفرائض)** جمع فريضة وهي ما أوجبها الله على عباده.

الشرح: فمن آمن بهذه الآية ولكنه جهل تفسيرها أو فهم منها غير ما ذكر فلا يكفر إذ هو مؤمن بما أنزل الله لكنه لم يفقه المعنى المراد، فإن الخطأ لا يكفره به الإنسان، ولو أنه كان في دار الشرك فأقر بالله وبأصول الإيمان ولكنه لم يقر بشرائع الإسلام ولا يعلم عنها شيئاً فإنه معذور بجهله ولا يرتفع عنه اسم الإيمان وذلك لأن دار الشرك مظنة الجهل بشرائع الإسلام وعدم العلم بها والجهل مما يعذر الله تعالى به الإنسان، إذ لا يعذب الله أحداً إلا بعد أن يقيم عليه الحجة كما

....

قال عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾[1].

فالله تعالى لا يعذب إلا بعد الإعذار بإقامة الحجة، من هنا عذر الإمام أبو حنيفة من كان في دار الشرك بخلاف من هو في دار الإسلام فإنها مظنة العلم وظهور الحق وعدم خفائه، فقد لا يعذر فيها من لم يقر بالشرائع، وأما المقيم في دار الشرك فيعذر إلا إذا بلغته الشرائع فأنكرها وحينئذ فإنه يرتفع عنه اسم الإيمان، ثم شرع أبو حنيفة في بيان أصول الإيمان فذكر منها توحيد الله تعالى والإيمان بالملائكة والكتب والرسل وأمور الآخرة وبقدر الله تعالى خيره وشره، كل ذلك من عند الله تعالى، ثم

---

(١) سورة الإسراء الآية (١٤).

الخلاصة:

إنكار خلق الله لشيء كفر صريح، وأما التأويل فلا يكفر به، والجاهل في أرض الشرك لا يكفر.

المناقشة:

س ١ ـ ما حكم من أنكر خلق الله لشيء من مخلوقاته؟

س ٢ ـ هل يكفر المتأول؟

س ٣ ـ ما حكم الجاهل في أرض الشرك إن ارتكب مكفرا؟.

وتشهد أنه لم يفوض الأعمال إلى أحد، والناس صائرون إلى ما خلقوا له، وإلى ما جرت به المقادير - فقلت له: رأيت: إن أقر بهذا كله لكنه قال: المشيئة إلى إن شئت آمنت، وإن شئت لم أؤمن لقوله تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.

فقال: كذلك في زعمه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾.

اللغة: (يفوض) يوكل (زعمه) الزعم هو الظن، وأكثر ما يستعمل إذا كان باطلا.

الشرح: أضاف إلى ذلك أمراً آخر، وهو الإيمان بأن الله تعالى لم يفوض الأعمال إلى أحد من الخلق، يعمل ما يشاء مستقلاً عن إرادة الله ومشيئته وقدره، فالله تعالى قد خلق للإنسان مشيئة وإرادة، لكنها لا تستقل عن إرادة الله تعالى ومشيئته، لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2] فلا أحد يعمل ما يشاء استقلالاً لكنه إنما يتحرك في إطار ما كتبه الله وقدره وقضاه، وكل إنسان صائر إلى ما أراده الله وقضاه عليه، وإلى ما جرت به أقدار الله عز وجل، لا يخرج أحد عن قدر الله طرفة عين، وهنا سأله السائل عن حكم من أقر بهذا، لكنه زعم أن المشيئة إليه مستقلة عن مشيئة الله، وأنه إن أراد آمن وإن أراد كفر استقلالاً عن مشيئة الله، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن

(١) سورة التكوير الآية (٢٩).

(٢) سورة الصافات الآية (٩٦).

....

شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾(١) ورد الإمام عليه بأنه كاذب في زعمه ذلك، لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾(٢)، فهناك مشيئة للعبد، لكنها مخلوقة لله، وأياً ما كان اختيار العبد فهو مخلوق لله تعالى مقدور له، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾(٤) فهذا يؤيد ما ذهب إليه الإمام.

(١) سورة الكهف الآية (٢٩).

(٢) سورة المدثر الآيات (٥٤: ٥٦).

(٣) سورة الزمر الآية (٦٢).

(٤) سورة الفرقان الآية (٢).

وقال تعالى: ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ وقوله تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا وعيد وبهذا لم يكفر، لأنه لم يرد الآية، وإنما أخطأ في تأويلها ولم يرد به تنزيلها - قلت له: إن قال إن أصابتني مصيبة (فسئلت) أهي مما ابتلاني الله بها أو هي مما اكتسبت (أجاب قائلا) ليست هي مما ابتلاني الله بها أيكفر؟
قال: لا قلت: ولم؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ - أي بذنبك وأنا قدرته عليك، وقال: ﴿وما أصابك من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ أي بذنوبكم، وقال تعالى: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ قال: إلا

اللغة: (وعيد) تهديد (ابتلاني) أصابني (قدرته) كتبته عليك (يضل) يصرف عن الهدى.

الشرح: وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[١] صريح في أن العباد لا يختارون إلا ما اختاره الله لهم وأراده لهم، وهم وإن كانت لهم مشيئته فعلاً إلا أنها مخلوقة لله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٢] ولذلك فإنهم لا يخرجون عما قدر الله لهم، وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٣] ليس على إرادة التخيير وإباحة اختيار الكفر، لكنه وعيد وتهديد، كما يقول الابن لأبيه: إذا ضربتني فسأكسر الكأس. فيقول له اكسرها إذا شئت فهذا ليس للتخيير، إنما هو للتهديد، وحكم أبو حنيفة بعدم كفر من أخطأ في

(١) سورة التكوير الآية (٢٩).
(٢) سورة الصافات الآية (٩٦).
(٣) سورة الكهف الآية (٢٩).

أنه أخطأ في التأويل، ومعنى قوله يحول بين المرء وقلبه) أي بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان.

تأول الآية، من حيث إنه لم يجحد التنزيل، ولم يرد الآية عموماً، ثم سأله السائل عمن قال: إن المصائب ليست بابتلاء الله وإنما هي بكسبي وبذنوبي؟ فأجاب أبو حنيفة بأنه لا يكفر، لأن الله تعالى قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾(١) وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٢) أي بسبب ذنوبكم وخطاياكم، ولا يمنع هذا من كونها قدراً، فإن الذنوب وعواقبها كلها تجري بقدر، وكلها مما كتب الله على عباده، فلا تنافي بين هذا وهذا من هنا حكم أبو حنيفة بأن من ربط المصائب بالذنوب فقط إنما أخطأ في التأويل فلا مسوغ لتكفيره وإخراجه من الإسلام.

ثم بين معنى قوله تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾(٣) بأنه يحول بين المؤمن والكفر إذا نازعته نفسه، وبين الكافر والإيمان، وهذا القول منقول عن ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير وغيرهم، وهو أحد الأقوال في تفسير الآية وما رجحه ابن جرير أن المراد: أن الله تعالى أقرب لقلوب العباد وأملك لها منهم، فيشمل ذلك كل ما قيل في تفسير الآية(٤).

---

(١) سورة النساء الآية (٧٩).

(٢) سورة الشورى الآية (٣٠).

(٣) سورة الأنفال الآية (٢٤).

(٤) انظر تفسير الطبري (٦/٢١٥).

الخلاصة:

إن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، والله تعالى خلق للإنسان مشيئه لكنها لا تستقل عن مشيئة الله تعالى، فالإنسان إذا شاء أمراً فإنما يختار ما اختاره الله له.

المناقشة:

س ١ ــ هل للإنسان مشيئة أم لا؟ وهل هي مستقلة؟
س ٢ ــ ما الدليل على أم مشيئة الإنسان مخلوقة؟
س ٣ ــ هل يستطيع مخلوق أن يخرج عن مشيئة الله؟.

كلامه عن الاستطاعة

قال أبو حنيفة رحمه الله: (إن الاستطاعة التي يعمل بها العبد المعصية هي بعينها تصلح لأن يعمل بها الطاعة، وهو معاقب في صرف الاستطاعة التي أحدثها الله تعالى فيه، وأمره أن يستعملها في الطاعة دون المعصية) قلت فإن قال: (الله تعالى لم يجبر عباده على ذنب ثم يعذبهم عليه فماذا نقول له؟).

اللغة: **(الاستطاعة)** القدرة والطاقة **(يجبر)** يكره.

الشرح: يبين أبو حنيفة رحمه الله أن الاستطاعة والقدرة عند العبد التي يفعل بها المعصية هي نفسها تصلح لأن يعمل بها الطاعة إذا أراد، وذلك لأن الاستطاعة نوعان: نوع قبل الفعل وهي بمعنى التمكن وسلامة الأدوات وهي التي يتعلق بها التكليف، وتتعلق بها الإرادة الشرعية، واستطاعة مقارنة للفعل وسابقة له وهي التي يوجد بها الفعل، وتتعلق بها الإرادة الكونية قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به، تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1][2].

وبين رحمه الله أن العبد معاقب في صرفه الاستطاعة والقدرة هذه إلى المعصية، لأنه لما كان في وسعه أن يصرفها إلى الطاعة، واختار المعصية كان ملوماً في ذلك، مستحقاً للوزر والتثريب، وذلك لأن الله خلق فيه

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٢) (انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٢٦).

....

هذه الاستطاعة، وأمره شرعاً أن يستعملها في الطاعة، والعبد مطالب ومكلف بالأمر الشرعي لا الكوني، فلما كان مخالفاً كان مستحقاً للوم والعقوبة لمخالفته الأمر الشرعي فيما هو مقدور له ومستطاع له، ثم سأله السائل عمن قال إن الله تعالى لم يجبر عبادة على المعصية وأنه لا يليق أن يجبرهم على الذنب ثم يعذبهم عليه، باعتبار أن هذا ينافي العدل وهذا ما قالت به القدرة، فأجاب

الرد على من زعم أن الله لم يخلق الشر

قال له هل يطيق العبد لنفسه ضرا ولا نفعا؟ فإن قال: لا لأنهم مجبورون في الضر والنفع ما خلا الطاعة والمعصية. فقل له: هل خلق الله الشر؟ فإن قال: نعم. خرج من قوله، وإن قال: لا كفر لقوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق﴾ أخبر أن الله تعالى خلق الشر ـ قلت: فإن قال: ألستم تقولون إن الله شاء الكفر وشاء الإيمان. فإن قلنا: نعم.

يقول: أليس الله تعالى يقول: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ نقول: نعم.

اللغة: **(يطيق)** يستطيع **(مجبورون)** مكرهون **(أعوذ)** ألتجيء وأتحصن **(الفلق)** الصبح ينشق من ظلمة الليل **(التقوى)** حقيقتها اتخاذ الحاجز والوقاية.

الشرح: أبو حنيفة بأن يسأل مثل هذا: هل يملك العبد لنفسه ضراً ولا نفعاً، فإن قال لأنهم مجبورون في الضر والنفع فليس هذا إليهم، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1]، **ولكنهم غير مجبورين في الطاعة والمعصية، فهذا يقال به: هل خلق الله الشر؟ فإن قال: نعم ـ فقد رجع عن قوله الأول حيث إنه بهذا يثبت أن الله خالق الشر وليس الإنسان، وإن قال: لا، لم يخلق الله الشر، فقد كفر لأنه مكذب بقوله تعالى:** ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾[2] حيث إن هذه الآية فيها إخبار من الله تعالى بأنه

---

(١) سورة يونس الآية (٤٩).

(٢) سورة الفلق الآيتان (١: ٢).

....

خالق الشر كما خلق الخير ومعلوم أنه تعالى خالق لكل شيء، وكلامه هنا فيه رد على القدرية، ولو أن هذا القائل احتج على أهل الحق فقال: ألستم تقولون إن الله تعالى هو الذي شاء الإيمان والكفر وأراد أن يوجد؟ فإن قالوا: نعم. قال ذلك القائل لهم: أليس الله تعالى يقول: ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] وها هنا لو أجابوه بنعم، فإنه يقول لهم: أهو ـ الله تعالى ـ

(١)) سورة المدثر الآية (٥٦).

فيقول: أهو أهل الكفر؟ فما نقول له؟ قال: نقول: هو أهل لمن يشاء الطاعة وليس بأهل لمن يشاء المعصية. فإن قال: إن الله تعالى لم يشأ أن يقال عليه الكذب. فقل له: الفرية على الله من الكلام والمنطق أم لا؟ فإن قال: نعم. فقل: من علم آدم الأسماء كلها؟ فإن قال: الله. فقل: الكفر من الكلام أم لا؟ فإن قال: نعم. فقل: من أنطق الكافر؟ فإن قال: الله. خصموا أنفسهم، لأن الشرك من النطق، ولو شاء الله لما أنطقهم به. قلت: فإن قال: إن الرجل

اللغة: (أهل) أي مستحق (الفرية) الكذب (المنطق) أي النطق.

الشرح: أهل الكفر ـ أي مستحق لأن يكفر به الناس ـ؟ فعلمه أبو حنيفة أن يجيب عن مثل هذا بأن الله تعالى أهل ومستحق للطاعة لمن شاء وليس بأهل للمعصية والكفر لمن شاء ذلك، ولو فرضنا أن هذا القائل قال إن الله تعالى لم يشأ ذلك، ولو فرضنا أن هذا القائل قال إن الله تعالىٰ لم يشأ ولم يقدر أن يقال عليه الكذب، فالجواب أن يقال هل الافتراء والكذب على الله من الكلام والنطق أم لا؟ فإن قال: نعم ولا يسعه غير ذلك ـ فيقال له: من علم آدم الأسماء كلها؟ فإن قال: الله ـ ولا يسعه غير ذلك ـ فيقال له: الكفر من الكلام أم لا؟ فإن قال: نعم: ـ ولا يسعه غير ذلك ـ فيقال له: من الذي أنطق الكافر وأقدره على أن يقول كلمة الكفر «ولقد قالوا كلمة الكفر»[1]، فإن قال: الله فقد أبطل حجته، وأظهر بطلانه، حيث إنه

---

(١) سورة التوبة الآية (٧٤).

....

قد أقر بأن الله تعالى هو الذي جعل الكافر ينطق بكلمة الكفر، حيث إن النطق بالشرك كلام ولا يقال إن إرادة الكافر غلبت إرادة الله فنطق بما لم يرد الله أن ينطق به، ولكن يقال بأن نطقه إنما كان بإرادة الله ومشيئته، قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1] فكل قول يصدر من البشر، بما فيه الكفر، إنما هو بمشيئة الله، وخلق لله عز وجل، وهنا سئل أبو حنيفة عما إذا قال القائل: إن الرجل هو الذي إن

(١) سورة الصافات الآية (٩٦).

إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل، وإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، وإن شاء شرب وإن شاء لم يشرب. قال: فقل له: هل حكم الله على بني إسرائيل أن يعبروا البحر وقدر على فرعون الغرق؟ فإن قال: نعم - قل له: فهل يقع من فرعون أن لا يسير في طلب موسى وألا يغرق هو وأصحابه فإن قال: نعم - فقد كفر وإن قال: لا - نقض قوله السابق.

اللغة: (حكم) قضى وقدر (نقض) أبطل.

الشرح: شاء فعل الشيء، وإن شاء لم يفعله، وإن شاء أكله وإن شاء لم يأكل، وإن شاء شرب وإن شاء لم يشرب، وهذا وإن كان ظاهرة حقا فمراد القائلين به في الحقيقة نفي مشيئة الله تعالى وإضافة الفعل إلى العبد استقلالاً دون اعتبار لدخول مشيئة العبد في مشيئة الله تعالىٰ.

فأجاب أبو حنيفة رحمه الله بأن مثل هذا يقال له: هل حكم الله وقضى وقدر أن يعبر بنو اسرائيل البحر وأن يغرق فرعون؟ فإن قال: نعم - وذلك لإقراره بأن النفع والضر ليس للعبد فيه ارادة - فها هنا يقال له: هل يجوز أن يقع من فرعون عدم السير والخروج لإدراك موسى ومن معه وبالتالي، الا يغرق هو وأصحابه؟ فإن أجاب بنعم، فإنه يكفر لزعمه بجواز أن يخرج أحد عما قدر الله عليه، وإن قال: لا فقد نقض وأبطل قوله السابق حيث إنه أراد في الحقيقة نفى أن يكون الله تعالى هو الذي أراد أن يقع الشر وأراد أن تقع المعصية، وهذا منه رحمه الله رد على القدرية.

الخلاصة:

استطاعة العبد للمعصية هي نفسها التي تستطاع بها الطاعة، ولهذافالعبد معاقبة في صرفه الاستطاعة إلى المعصية، والخير والشر كائنات بإرادة الله تعالى وخلقه والعبد وإن كان مريداً، لكن إرادته داخله في إرادة الله عز وجل.

المناقشة:

س ١ ــ تكلم عن الاستطاعة وأنواعها عند العبد. وما التي يتعلق بها الخطاب الشرعي؟

س ٢ ــ هل للعبد مشيئته في فعل الخير والشر أم لا؟ وهل تخرج عن مشيئة الله؟

س ٣ ــ بماذا تجيب على من زعم أن مشيئة العبد مستقله عن مشيئة الله.

باب (في القدر)

قال: حدثنا علي بن أحمد عن نصير بن يحيى قال: سمعت أبا مطيع يقول: قال أبو حنيفة رضي الله عنه: حدثنا حماد عن إبراهيم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم علقة مثل ذلك ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً يكتب عليه رزقه وأجله وشقي أم سعيد، والذي لا إله غيره! إن الرجل ليعمل عمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيموت في فيدخلها».

اللغة: **(نطفة)** لغة: الماء الصافي واللؤلؤة الصغيرة الصافية، والمراد هنا ماء الرجل **(علقة)** المراد هنا قطعة الدم التي يتكون منها الجنين **(مضغة)** المراد بها قطعة اللحم طور من أطوار الجنين في بطن أمه **(ذراع)** الذراع في الإنسان من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى.

الشرح: بدأ أبو حنيفة رحمه الله كلامه عن القدر بسوقه لحديث بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: «**إن خلق** أحدكم يجمع في بطن أمه...»[1] وهذا الحديث من أعظم الأدلة في باب القدر، فإنه أثبت أن الله علم وكتب الرزق، والأجل والعمل والمصير، كل ذلك قبل

---

(١) الحديث أخرجه: البخاري (٦/٤١٨) ح٣٣٣٢ في أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته، ومسلم (٤/٢٠٣٦) ح٢٦٤٣ في أول القدر كلاهما من حديث زيد بن وهب عن ابن مسعود مرفوعا، ووفيه ذكر (العمل) مع الأجل والرزق وشقي أو سعيد.

....

العمل وأثبت أنه لا خروج لأحد عما قدره الله له وكتبه عليه، وأن الكل يرجع إلى ما قدر الله تعالى وأراده، كما أنه من دلائل نبوة النبي ﷺ حيث أثبت أطوار الخلق ومراحله كما كشف عنها العلم الحديث، فصلوات الله وسلامه عليه، ثم سئل عمن تصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقويت شوكته فخرج على الجماعة؟ فنهى عن ذلك أبو

باب في (البغي والخروج على الإمام)

قلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك ناس فيخرج على الجماعة، هل ترى ذلك؟ قال: لا. قلت: ولم؟ وقد أمر الله تعالى ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا فريضة واجبة. فقال: هو كذلك، لكن ما يفسدون من ذلك أكثر مما يصلحون، من سفك الدماء، واستحلال المحارم وانتهاب الأموال، وقد قال الله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾.

قلت: فنقاتل الفئة الباغية بالسيف؟ قال: نعم، تأمر وتنهي فإن قبل وإلا قاتلته، فتكون مع الفئة العادلة وإن كان الإمام جائرا، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يضركم جور من جار ولا عدل من عدل، لكم أجركم وعليه وزره» قلت له:

اللغة: **(سفك الدماء)** المراد به إهراق الدم الحرام **(استحلال المحارم)** أي الوقوع فيما حرم الله **(انتهاب الأموال)** أي أخذ الأموال المحرمة **(بغت)** ظلمت وجارت **(تفيء)** ترجع **(جائرا)** ظالما **(وزره)** أي ذنبه وإثمه.

الشرح: حنيفة، ولما استغرب السائل ذلك مع ورود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوبه، فسر أبو حنيفة ذلك بأن الذين يفعلون ذلك يقعون في فساد أكبر مما قاموا لأجله من الإصلاح، لأن خروجهم على جماعة المسلمين يحدث من ورائه الفتن فتسفك الدماء التي حرم الله تعالى، وتستحل المحارم وتنتهك، وتضيع الأموال المصونة وتنهب، فيكون

....

بسبب ذلك فساد كبير، وشر مستطير، وقد أمر الله تعالى في كتابه بالإصلاح بين المتقاتلين من المسلمين، ثم قتال الباغين حيث قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ . . . ﴾[١] فدل ذلك على وجوب الإصلاح أولاً ثم على وجوب قتال البغاة بعد ذلك، حتى يرجعوا إلى أمر الله تعالى وهنا سأله السائل: هل يقاتل البغاة بالسيف؟ فأجابه أبو حنيفة بنعم. ولكن بعد الأمر والنهي فيدعى الباغي للتوبة فإن أبى قوتل، ويكون المرء مع الفئة العادلة والتي هي جماعة المسلمين حتى ولو كان إمامها جائرا، ما دامت له البيعة، وما دام لم يأتب كفر بواح لنا من الله فيه برهان، فلا يحل قتاله، واستدل أبو حنيفة بالحديث «لا يضركم جور من جار ولا عدل من عدل، لكم أجركم وعليه وزره»[٢]

(١) سورة الحجرات الآية (٩).

(٢) لم أقف عليه.

ما تقول في الخوارج المحكمة؟ قال: هم أخبث الخوارج. قلت له: «أنكفرهم؟» قال: لا ولكن نقاتلهم على ما قاتلهم الأئمة من أهل الخير وعلي وعمر بن عبدالعزيز. قلت:

اللغة: **(الخوارج)** هم الذين خرجوا على إمام الهدى علي بن أبي طالب رضي الله عنه **(المحكمة)**من ألقابهم حيث أنكروا تحكيم الحكمين، أبي موسى وعمرو، وقالوا إن الحكم إلا لله. **(أخبث)** أشر.

الشرح: أي أن الواجب على الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليسوا مسؤولين عن عدل العادل أو جور الجائر من الحكام، ما داموا قائمين بالأمر والنهي، فلهم أجرهم وأما الجائر من أولئك فعليه وزره. ثم سأله السائل عما يقال في الخوارج المحكمة؟ وهم الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وقعة صفين وبعد موافقته على طلب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على تحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وهنا ثار الخوارج واتهموا عليا بالكفر وقالوا قولتهم المشهورة ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[1] وهذه آية من كتاب الله، ولكن قال لهم عليّ: كلمة حق أريد بها باطل. فهؤلاء لما رفضوا التحكيم وقالوا قولتهم هذه، سموا محكمة وقد حكم أبو حنيفة بأنهم أخبث وأشر الخوارج، ولما سئل عن تكفيرهم أنكره وذلك لأن عليا والصحابة لم يكفروهم، بل قال علي: إخواننا بغوا علينا ولكن حكم أبو حنيفة بأنهم يقاتلون على ما قاتلهم عليه الأئمة من أهل الخير حتى يرجعوا إلى الحق وإلى جماعة المسلمين ويرجعوا عن باطلهم.

---

(١) سورة يوسف الآية (٤٠).

فإن الخوارج يكبرون ويصلون ويتلون القرآن، أما تذكر حديث أبي أمامة رضي الله عنه حين دخل مسجد دمشق، فإذا فيه رؤوس ناس من الخوارج فقال لأبي غالب الحمصي: يا أبا غالب! هؤلاء ناس من أهل أرضك فأحببت أن أعرفك من هؤلاء، هؤلاء كلاب أهل النار، وهم شر قتلى تحت أديم السماء - وأبو أمامة في ذلك يبكي - فقال أبو غالب: يا أبا أمامة ما يبكيك؟ إنهم كانوا مسلمين وأنت تقول لهم ما أسمع؟ قال: أهؤلاء يقول الله تعالى فيهم: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ قال له: أشيء تقوله برأسك أم سمعته من رسول الله ﷺ قال: إني لو لم أسمعه منه إلا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات إلى سبع مرات لما حدثتكموه.

اللغة: (يتلون) يقرأون (أديم السماء) أديم كل شيء ظاهره، والمراد هنا ليس تحت السماء.

الشرح: ولما استغرب السائل مسألة قتال الخوارج وهم يكبرون ويؤدون الصلاة ويقرأون القرآن، أورد على أبي حنيفة حديثا لأبي أمامة رضي الله عنه لما رأى رؤوسا لأناس من قتلى الخوارج موجودة في مسجد دمشق، فأخبر أبو أمامة رضي الله عنه صاحبه أبا غالب بحقيقة ما عليه هؤلاء الخوارج من أنهم كلاب أهل النار وأشر أهل النار ومن قتل منهم فهو شر قتيل على وجه الأرض وتحت قبة السماء، وكان أبو أمامة يبكي رضى الله عنه، فقال له صاحبه إن هؤلاء كانوا مسلمين فكيف تقول فيهم هذا القول فنبهه أبو أمامة

....

رضي الله عنه أن هؤلاء ممن قال الله فيهم: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ . . . خَٰلِدُونَ﴾[١] فهؤلاء لما فرقوا جماعة المسلمين واستحلوا المحارم استحقوا الجزاء المترتب على ذلك وهو سواد الوجه يوم القيامة لأنهم فرقوا الدين وفرقوا الجماعة، ثم لما سأله صاحبه عن هذا الكلام في حق الخوارج، أكد له أبو أمامة أنه سمعه من النبي ﷺ[٢]، والأحاديث الواردة في ذكر الخوارج وذمهم كثيرة معلومة.

(١) سورة آل عمران الآيتان (١٠٦، ١٠٧).

(٢) أخرجه بتمامه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٥٤٤/رقم ٣٧٨٩٢) باب ما ذكر في الخوارج من رواية أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه.

فكفر الخوارج كفر النعم، كفر بما أنعم الله تعالى عليهم. قلت: الخوارج، إذا خرجوا وحاربوا وأغاروا ثم صالحوا هل يتبعون بما فعلوا؟ قال: لا غرامة عليهم بعد سكون الحرب، ولا حد عليهم، والدم كذلك لا قصاص فيه. قلت: ولم ذلك؟ قال: للحديث الذي جاء أنه لما وقعت الفتنة بين الناس في قتل عثمان رضي الله عنه فاجتمعت الصحابة رضي الله عنهم على أن من أصاب دماً بتأويل فلا قود عليه، ومن أصاب فرجاً حراماً بتأويل فلا حد عليه، ومن أصاب مالاً بتأويل فلا تبعة عليه إلا أن يوجد المال بعينه فيرد إلى صاحبه. قلت: قال قائل: لا أعرف الكافر كافراً. قال: هو مثل. قلت: فإن

اللغة: **(كفر النعم)** ضد الشكر وهو غير مخرج من الملة **(أغاروا)** هاجموا وشنوا الغارة **(يتبعون)** أي يلتمسون بغرض القصاص واستقضاء الحق **(قود)** هو القصاص.

الشرح: ثم بين رحمه الله أن كفر الخوارج كفر نعمة وليس كفرا مخرجا من الملة، بل هو انحراف عن الشكر الواجب في نعمة الله تعالى، وهنا سأله السائل عما إذا حارب الخوارج وأغاروا أي بدأوا بالغارة والهجوم على الناس ثم وقع الصلح هل يلتمسون ويبحث عنهم بغرض القصاص منهم؟ فأجابه بأنه بعد سكون الحرب وتوقف القتال، فليس عليهم غرامة ولا عقوبة ولا حد، ولا يقتص للدماء التي اهريقت، فسأله السائل عن السبب. فأجاب بأنه لما وقعت الفتنة بين الناس بسبب قتل عثمان رضي الله عنه اتفقت الصحابة على أن من أصاب دما ـ أي قتل ـ بتأويل ـ أي بخطأ من التفسير والفهم وخطأ ظن ـ فليس عليه قصاص، وأن من أصاب فرجاً حراماً

....

بتأويل ـ أي باعتقاد حله ـ فلا حد عليه، وأن من أصاب مالاً بتأويل ـ أي باعتقاد حله ـ فلا تبعة عليه ـ أي لا عقوبة ولا حد عليه ـ إلا إذا عثر على هذا المال بعينه لا غيره ولا شبهه فحينئذ يرد إلى صاحبه الأصلي، ثم سأله السائل عن حكم من قال لا أعرف الكافر كافراً، أي نفى أن يكون الكافر المقطوع بكفره كافراً، كالذي ينفي الكفر عن يهودي أو نصراني، فأجابه الإمام بأنه والحالة هذه يكون كافراً مثله، وذلك لأن من أصول أهل السنة الحكم بالكفر على كل من ورد تكفيره نصاً في الكتاب والسنة، والطوائف التي ورد الحكم نصاً كذلك بتكفيرها، وكذلك من أجمع أهل العلم على كفره.

الخلاصة:

لا يجوز الخروج على الإمام العدل، وأما كفر الخوارج فهو كفر نعمة، وليس كفرا أكبر.

المناقشة:

س١ ــ هل يجوز الخروج على الإمام؟

س٢ ــ هل الخوارج كفار أم لا؟

قال: لا أدري أين مصير الكافر؟ قال: هو جاحد لكتاب الله تعالى وهو كافر.

القول فيمن يشك في إيمانه

قلت له: فما تقول لو أن رجلاً قيل له: أمؤمن أنت؟ قال: الله أعلم. قال: هو شاك في إيمانه. قلت: فهل بين الكفر والإيمان منزلة إلا النفاق وهو أحد الثلاثة إما مؤمن أو كافر أو منافق؟ قال: لا ليس بمنافق من يشك في إيمانه.

قلت: لم؟ قال: لحديث صاحب معاذ بن جبل وابن مسعود، حدثني حماد عن حارث بن مالك - وكان من أصحاب معاذ بن جبل الأنصاري - فلما حضره الموت بكى.

اللغة: (مصير) أي مآل (جاحد) منكر (منزلة) درجة أو مكانة.

الشرح: ثم سأله السائل عمن قال: لا أعرف أين مصير الكافر؟ فحكم أبو حنيفة بجحوده للقرآن وبكفره، لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[(١)] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[(٢)] وقال: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[(٣)] ثم سأله السائل عمن سئل: أنت مؤمن؟ فقال: الله أعلم، فهنا حكم أبو حنيفة بأنه شاك في إيمانه، ولما أراد السائل الحكم عليه بالنفاق لأن الناس إما مؤمن وإما منافق وإما كافر،

(١) سورة الزمر الآية (٧١).
(٢) سورة التغابن الآية (١٠).
(٣) سورة الكهف الآية (١٠٢).

....

ولكن أبو حنيفة نفى أن يكون الشاك في إيمانه منافقا واستدل بحديث يأتي ذكره.

تنبيه: يستدرك على أبي حنيفة هنا، أنه قد يقول المسؤول عن إيمانه: الله أعلم ويكون مراده ليس الشك في إيمانه، ولكن يريد عدم تزكية النفس، وقد يريد رد العلم إلى الله باعتبار ما يصير إليه، فإن الأعمال بالخواتيم، والمآل مرده إلى الله وقد يقول الرجل إنه مؤمن وهو عند الله تعالى من أهل النار، وقد يريد أنه ليس مستوفياً لكل شعب الإيمان إذ لا ينفك الإنسان عن القصور والنقص ومن هنا أجاز جماعة من أهل العلم أن يقول الإنسان عن نفسه: أنا مؤمن إن شاء الله، ليس على سبيل الشك في الإيمان، ولكن باعتبار ما سبق الكلام عنه.

قال معاذ: ما يبكيك يا حارث؟ قال: ما يبكيني موتك، قد علمت أن الآخرة خير لك من الأولى، لكن من المعلم بعدك؟ ويروى: من العلم بعدك؟ قال: مهلاً وعليك بعبدالله بن مسعود. فقال له: أوصني. فأوصاه بما شاء الله ثم قال: احذر زلة العالم قال: فمات معاذ وقدم الحارث الكوفة إلى أصحاب عبدالله بن مسعود فنودي بالصلاة فقال الحارث: قوموا إلى هذه الدعوة، حق لكل مؤمن سمعه أن يجيب. فنظروا إليه وقالوا: إنك لمؤمن. قال: نعم إني لمؤمن فتغامزوا به، فلما خرج عبدالله قيل له ذلك فقال للحارث مثل قولهم، فنكس الحارث رأسه وبكى، وقال: رحم الله معاذا فأخبر به ابن مسعود، فقال له: أنك لمؤمن؟ قال: نعم. قال: فتقول إنك من أهل الجنة؟ قال: رحم الله معاذا، فإنه أوصاني أن أحذر زلة العالم والأخذ بحكم المنافق. قال:

اللغة: **(عليك)** الزم **(احذر)** توق واجتنب **(زلة)** خطأ وعثرة وذلك لأن زلة العالم يزل بها ناس كثير **(تغامزوا به)** أشار بعضهم إلى بعض بالأعين أو الأيدي **(نكس)** خفض وطأطأ.

الشرح: ثم شرع أبو حنيفة في الاستدلال لقوله فذكر بسنده أن الحارث صاحب معاذ بن جبل بكى عند موت معاذ وسأله عن العالم بعده، فأوصاه بعبدالله بن مسعود رضي الله عنه وحذره من زلة العالم، فلما قدم الحارث الكوفة لقي أصحاب ابن مسعود، ثم سمع المنادي للصلاة فصاح بالناس لإجابة المنادى، فاستغربوا ذلك منه وقالوا له أنت مؤمن؟ فقال: نعم إني لمؤمن، فجزم بذلك يقينا، ولما سمع القوم ذلك منه تغامزوا به، فلما حضر ابن مسعود رضي الله عنه حكوا له كلام

الرجل فاستغرب ذلك منه واستنكره، فخفض الحارث رأسه وبكى، واسترحم على معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهنا سأله ابن مسعود هل يجزم بإيمانه؟ فجزم الحارث بإيمانه، فسأله ابن مسعود عما إذا كان يجزم لنفسه بالجنة، ٥ذلك لأن الجزم بالإيمان الكامل الصحيح على الوجه المقبول يلزم منه الجزم بالجنة، فإن الله تعالى يدخل الجنة المؤمنين الصادقين المستوفين لشعب الإيمان، الطائعين لله، ولا يدخلهم النار هكذا بغير سبب من معصية غالبة أو غيرها، وهنا استرحم الحارث على معاذ وذكر تحذيره له من زلة العالم أي خطأه ومن أن يأخذ بحكم منافق.

فهي من زلة رأيت؟ قال: نشدتك بالله، أليس النبي ﷺ كان، والناس يومئذ على ثلاث فرق: مؤمن في السر والعلانية، وكافر في السر والعلانية، ومنافق في السر ومؤمن في العلانية، فمن أي الثلاث أنت؟ قال: أما أنا فإذا ناشدتني بالله فإني مؤمن في السر والعلانية. قال: فلم لمتني حيث قلت: إني لمؤمن؟ قال: أجل. هذه زلتي فادفنوها عليّ. فرحم الله معاذا. قلت لأبي حنيفة رحمه الله: فمن قال إني من أهل الجنة؟ قال: كذب. لا علم له به.

اللغة: **(نشدتك)** يقال نشده بكذا أي ذكره به واستعطفه **(ادفنوها علي)** اكتموها عني.

الشرح: فاستغرب ذلك ابن مسعود رضي الله عنه وسأله: هل رأيت زلة؟ وهنا نشده الحارث بالله من أي الفرق هو؟ من المؤمنين ظاهرا وباطنا، أم من الكفار ظاهرا وباطنا أم من المنافقين؟ فأجابه ابن مسعود أنه من المؤمنين، وهنا سأله الحارث عن سبب لوم ابن مسعود له عندما جزم لنفسه بالإيمان، فرجع ابن مسعود عن قوله إلى قول الحارث واسترحم على معاذ بن جبل رضي الله عنه[١].

تنبيه: أقول: هذه القصة تنافي عقيدة السلف في جواز الاستثناء في الإيمان، ولكنها لا حجة فيها لأنها لم تصح من جهة إسنادها، فالصواب أن يقول المؤمن إذا سئل: أنا مؤمن إن شاء الله، احترازاً عن التزكية وتفويضاً لعلم المآل والمصير إلى الله تعالى، وليس على سبيل الشك في إيمانه، وإنما مشاهدة التقصير في كمال الإيمان وهنا سأل أبو

(١) انظر جامع المسانيد (١/١٣٣) بنحوه.

....

مطيع أبا حنيفة رحمه الله عن حكم من قال إنه من أهل الجنة جازماً بذلك، فرد الإمام بأنه كاذب لأن هذا مما استأثر الله بعلمه، والواجب ألا يجزم المسلم لنفسه أو لغيره من المسلمين بجنة أو نار، فالأول أمن من مكر الله، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(١) والثاني قنوط من رحمة الله وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾(٢) والمسلم يعلم أن المآل والمصير في الآخرة غيب مرده إلى الله تعالى، لا يجزم أحد من المسلمين فيه بشيء.

الخلاصة:

الاستثناء في الإيمان بغرض التحرز من التزكية يجوز وأما على معنى الشك فلا يجوز بحال.

المناقشة:

س١ ـ هل يجوز الاستثناء في الإيمان؟

س٢ ـ ما حكم من شك في إيمانه؟

(١) سورة الأعراف الآية (٩٩).

(٢) سورة الحجر الآية (٥٦).

المؤمن قد يعذب بذنوبه

قال: والمؤمن من يدخل الجنة بالإيمان فيعذب في النار بالأحداث. قلت: فإن قال: إنه من أهل النار؟ قال: كذب لا علم له به، قد يأس من رحمة الله تعالى قال أبو حنيفة رحمه الله: ينبغي أن يقول: أنا مؤمن حقا. لأنه لا يشك في إيمانه قلت: أيكون إيمانه كإيمان الملائكة؟ قال: نعم. قلت: وإن قصر عمله فإنه مؤمن حقاً قال: فحدثني بحديث حارثة أن النبي ﷺ قال له: كيف أصبحتم؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا حتى أظمأت نهاري وأسهرت ليلي، فكأني أنظر إلى

اللغة: (أيس) يئس (عزفت) يقال عزف عن كذا أي رغب عنه وزهد فيه.

الشرح: ثم بين أبو حنيفة أن المؤمن يدخل الجنة بإيمانه، أي بسبب إيمانه، ولكن الفضل لله تعالى أولاً وآخراً. وإن عذب بالنار فإنه يعذب بالأحداث ـ أي بذنوبه ـ ثم سأله السائل عن من قال إنه من أهل النار؟ فجزم أبو حنيفة بكذبه لأنه غيب لا يعلمه إلا الله، وفيه يأس من رحمة الله، وقد تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ ثم قال بأنه يجب عليه أن يقول: أنا مؤمن حقا. لأنه لا يشك في إيمانه.

---

(١) سورة يوسف الآية (٨٧).

....

تنبيه: قلت: الاستثناء ليس معناه الشك كما تقدم، وكلام أبي حنيفة رحمه الله مباين لما عليه جماهير السلف.

وهنا سأله السائل هل يكون إيمانه كإيمان الملائكة من عبادة الله، حيث قال الله عنهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1]، فجزم أبو حنيفة بأن إيمانه كإيمان الملائكة سواء بسواء، قلت: هذا مما شذ به أبو حنيفة عن أئمة أهل السنة إذ لا يعقل أن يكون إيمان الفسقة كإيمان الملائكة. ثم لما استغرب السائل ذلك استدل له أبو حنيفة رحمه الله بحديث حارثة بن مالك لما سأله النبي ﷺ: كيف أصبحت يا حارثة فقال أصبحت مؤمنا حقا فقال له النبي ﷺ: انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ أي فما برهان إيمانك؟ فقال: زهدت نفسي في الدنيا حتى أظمأت نهاري بالصيام وأسهرت ليلي بالقيام، وكأنما أنظر

(١)سورة الأنبياء الآية (٢٠).

عرش ربي، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار حين يتعاوون فيها، فقال رسول الله ﷺ أصبت فالزم. أصبت فالزم. ثم قال: من سره أن ينظر إلى رجل نَوَّر الله قلبه فلينظر إلى حارثة. ثم قال: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له بها فاستشهد.

اللغة: **(يتزاورون)** يزور بعضهم بعضا **(يتعاوون)** يصيحون ويضجون **(أصبت)** عرفت الحق والصواب.

الشرح: إلى عرش ربي ظاهراً أمامي، وكأني أرى أهل الجنة يتزاورون فيها أمامي وكأنما أنظر إلى أهل النار يصرخون فيها ويصيحون، وهنا قال له النبي ﷺ: أصبت فالزم - أي عرفت الحق ووصلت إلى حقيقة الإيمان ودرجة اليقين فالزم ما أنت عليه - ثم قال: من سره أن ينظر إلى رجل نور الله قلبه فلينظر إلى حارثة، فطلب منه حارثة أن يدعو له بالشهادة ففعل فاستشهد فعلاً[١].

تعليق: لقد استدل أبو حنيفة رحمه الله بهذا الحديث - حديث حارثة - على استواء المؤمنين في الإيمان وعلى جواز أن يقول الرجل: أنا مؤمن حقا، وما أجمل هذا الاستدلال منه رحمه الله، لو كان الحديث صحيحاً، لكنه لم يصح بحال، بل إن عامة أهل العلم قد صرحوا بعدم صحة حديث حارثة[١]، ومن المعلوم أن الاستنباط والتأويل كلها

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/٣٠٢) ح٣٣٦٧ من حديث محمد بن أبي الجهم عن الحارث بن مالك به والبزار (١/٢٦) ح٣٢ (كشف الأستار) من حديث ثابت عن أنس وقال البزار: تفرد به يونس وهو لين الحديث. قال الهيثمي في المجمع (١/٥٧) وفيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه. ونسبه في كنز العمال (١٣/٣٥٢: ٣٥٤) لأبي نعيم وابن عساكر والعسكري

....

فرع للتصحيح، وما دام الحديث لم يصح، فليس هناك مجال للاستدلال به في أي أمر.

في الأمثال وابن النجار ويوسف بن عطية مجمع على ضعفه، قال الذهبي في الميزان (٤/٤٦٩) ومن مناكيره: . . . وذكر هذا الحديث وقد أورد ابن حجر في (الإصابة) (١٧٤/١٧٥) هذا الحديث وقال: قال البيهقي: هذا منكر وقد خبط فيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف جدا، قلت: وبناء على هذا لا يصح الاستدلال والاحتجاج به، فبطل ما بني عليه من تحريم الاستثناء وجواز القول: أنا مؤمن حقا.

الكفار يؤمنون عند المعاينة

قلت: فما بال أقوام يقولون لا يدخل المؤمن النار قال لا يدخل النار إلا كل مؤمن قلت: والكافر؟ قال: هم يؤمنون يومئذ. قلت: وكيف ذلك؟ قال: لقوله تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ الآية. قال أبو حنيفة رحمه الله: من قتل نفساً بغير حق أو سرق أو قطع الطريق أو فجر أو فسق أو زنى أو شرب أو سكر فهو مؤمن فاسق وليس بكافر

اللغة: (**فما بال**): فما شأن (**بأسنا**) قوتنا وعذابنا الشديد (**فجر**) فجر وفسق بمعنى الخروج على الحق والشرع.

الشرح: ثم سأل السائل أبا حنيفة رحمه الله عما يقوله بعض الناس من أن المؤمن لا يدخل النار، فأجابه أبو حنيفة بأن النار لا يدخلها إلا كل مؤمن، فاستغرب السائل ذلك، وسأل أبا حنيفة عن الكفار، فأجابه بأنهم يؤمنون يوم القيامة حينما يعاينون العذاب، ولكن هذا الإيمان لا ينفعهم، وهم إنما يدخلون النار بسبب كفرهم في هذه الدنيا، والإنسان يحاسَب يوم القيامة على ما عمل في هذه الدنيا، واستدل أبو حنيفة رحمه الله بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾(١) فهذه الآية واضحة في أن الكفار يؤمنون عندما يعاينون العذاب، لكنه

---

(١) سورة غافر الآيتان (٨٤: ٨٦).

....

إيمان لا ينفع كما لا تنفع التوبة عند الموت، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(١). ثم بين أبو حنيفة رحمه الله تعالى أن المسلم إذا ارتكب كبيرة من الكبائر كأن يقتل نفساً بغير حق أو يسرق ما ليس له أو يقطع طريق الناس أو يفجر أو يفسق أو يزني أو يشرب الخمر أو يسكر ففي كل هذه الحالات هو مؤمن فاسق، أي يخرج على تعاليم الشرع، فإن الفسوق هو الخروج على أمر الله، ولكن المسلم لا يكفر بالمعصية، والله تعالى قد قدر لهذه المعاصي عقوبات بالحد أو بالتعزير لكنه لم يكفر المسلم بالمعصية، ولم يقم عليه بها حد الردة وكل النصوص الشرعية من الكتاب والسنة صريحة في أن المسلم لا يكفر بالمعصية،

---

(١) سورة النساء الآية (١٨).

وإنما يعذبهم بالأحداث في النار، ويخرجهم منها بالإيمان، قال أبو حنيفة رحمه الله: من آمن بجميع ما يؤمن به إلا أنه قال: لا أعرف موسى وعيسى أمرسلان هما أم غير مرسلين فهو كافر، ومن قال: لا أدري الكافر أهو في الجنة أو في النار فهو كافر، لقوله تعالى: ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ وقال: ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ وقال الله تعالى: ﴿ولهم عذاب شديد﴾. وقال أبو حنيفة

اللغة: (بالأحداث) أي بالذنوب.

الشرح: والله تعالى يعذب المؤمنين في النار إن عذبهم، بسبب ما أحدثوه من الذنوب والمعاصي، ثم يخرجهم منها بسبب إيمانهم، كما قال النبي ﷺ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**»(١) وهذا ما يؤمن به أهل السنة والجماعة أن الخلود في النار ليس لأهل التوحيد وإذا عذبوا في النار بذنوبهم فإنهم يخرجون منها بإيمانهم.

ثم بين أبو حنيفة رحمه الله أن الذي يؤمن بجميع أصول الإيمان كلها، ولكنه شك في رسالة موسى وعيسى عليهما السلام فإنه يكفر وذلك لأنه شك في كلام الله تعالى، فإن القرآن أثبت رسالتهما حيث قال تعالى في حق موسى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ..﴾(٢) وقال في حق عيسى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ

---

(١) البخاري (١/١٢٧) ح٤٤ في الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه ومسلم (١/١٨٢) ح١٩٣ في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها كلاهما من حديث قتادة عن أنس مرفوعاً.

(٢) سورة هود الآيتان (٩٦: ٩٧).

....

إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(١) وكذلك من قال لا أعرف الكافر في النار أو في الجنة فإنه يكفر لأنه شك في كلام الله تعالى، فإن الله عز وجل قد بين في كتابه بياناً واضحاً أن مصير الكفار إلى جهنم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾(٢) وقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾(٣) وقال: ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾(٤).

(١) سورة آل عمران الآية (٤٩).
(٢) سورة فاطر الآية (٣٦).
(٣) سورة البروج الآية (١٠).
(٤) سورة الشورى الآية (٢٦).

رحمه الله: بلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال: «من لم ينزل الكفار منزلهم من النار فهو مثلهم» قلت: فأخبرني عمن يؤمن ولا يصلي ولا يصوم ولا يعمل شيئاً من هذه الأعمال هل يغني إيمانه شيئاً؟ قال: هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه.

اللغة: (ينزل الكفار منزلهم) أي يحكم لهم بهذا المصير (يغني) ينفع.

الشرح: ثم أخبر أبو حنيفة رحمه الله بما بلغه عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه قال: من لم ينزل الكفار منزلهم من النار فهو مثلهم[1]، ومعنى ذلك أن المسلم يجب أن يحكم للكفار بالنار كما حكم الله لهم بذلك حيث قال تعالى: ﴿وَعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[2] فلمن لم يحكم لهم بالنار فقد نفى ما أثبت الله في كتابه ولم يثبته فهو كافر، ومن شك في مآلهم فقد شك في وعد الله الحق فهو كافر كذلك، وهذا معنى كلام سعيد بن المسيب وبعد ذلك سأل السائل أبا حنيفة رحمه الله عن الذي آمن تصديقا وإقرارا، لكنه تأخر عن العمل، فلا يصلي ولا يصوم ولا يأتي بشيء من الأعمال الواجبة عليه شرعاً، هل ينفعه ذلك الإيمان، الذي هو مجرد الإقرار والتصديق؟ وهل يغني عنه ذلك شيئاً أمام الله تعالى؟ فقال أبو حنيفة رحمه الله: هو في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) سورة الرعد الآية (٣٥).

....

تنبيه: لأهل السنة مذهبان في حكم تارك الصلاة:

الأول: أنه مرتد خارج عن الملة، فالصلاة مستثناة من بقية الأعمال في باب التكفير، وعلى هذا أحمد وإسحاق وغيرهما.

والثاني: أنه فاسق وليس بكافر، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي، ومن حججهم أن الصلاة من الأعمال ولا يكفر المرء بترك الأعمال، والفرق بينهم وبين المرجئة، أن المرجئة يقولون: لا يكفر ولا ينقص إيمان بترك الصلاة، لأن الصلاة من الأعمال، والأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، وهؤلاء يقولون ليس بكافر ولكنه ناقص الإيمان بترك الصلاة، ما عدا أبا حنيفة فإرجاؤه إرجاء فقهاء.

أثر معاذ

وقال: من لم يجحد شيئا من كتابه فهو مؤمن قال أبو حنيفة: حدثني بعض أهل العلم أن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما قدم مدينة حمص اجتمعوا إليه وسأله شاب فقال: ما تقول فيمن يصلي ويصوم ويحج البيت ويجاهد في سبيل الله تعالى ويعتق ويؤدي زكاته غير أنه يشك في الله ورسوله؟ قال: هذا له النار. قال: فما تقول فيمن لا يصلي ولا يصوم ولا يحج البيت ولا يؤدي زكاته غير أنه مؤمن بالله ورسوله؟ قال: أرجو له وأخاف عليه. فقال الفتى: يا أبا عبدالرحمن كما أنه لا ينفع

اللغة: (يعتق) يحرر رقاب العبيد.

الشرح: وذكر أبو حنيفة رحمه الله أن من لم يجحد - أي ينكر - شيئاً من كتاب الله تعالى فهو مؤمن، وذلك بناء على أصله من أن الإيمان مجرد التصديق والإقرار ثم ذكر أبو حنيفة ما بلغه أن معاذاً رضي الله عنه سأله أهل حمص، شاب منهم، عمن يصلي ويصوم ويحج ويجاهد ويعتق ويزكي، لكنه شك في الله ورسوله؟ فجزم له معاذ بالنار، وهذا هو الحق لأنه لما شك في الله ورسوله كفر بهذا الشك لأن الإيمان لا يكون إلا بالتصديق الجازم مع الإقرار والعمل، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٥).

....

أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[١]، فالكافر له النار ثم سأله الشاب عمن لا يأتي بالعمل، فلا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا يزكي لكنه مؤمن بالله ورسوله؟ والمقصود بإيمانه هنا مجرد تصديق القلب وإقرار اللسان فبين له أنه يرجو له النجاة بإيمانه ويخاف عليه العذاب بسبب تركه العمل الواجب عليه، وهنا قال الشاب لمعاذ: إذا كان لا ينفع

(١) سورة النور الآية (٥٠).

مع الشك عمل فكذلك لا يضر مع الإيمان شيء. ثم مضى الفتى، فقال معاذ: ليس في هذا الوادي أحد أفقه من هذا الفتى[١]، قال أبو حنيفة: فقاتل أهل البغى بالبغى لا بالكفر، وكن مع الفئة العادلة والسلطان الجائر، ولا تكن مع أهل البغى

اللغة: (**الشك**) الارتياب (**أفقه**) أعلم (**البغى**) المقصود به هنا الخروج على الإمام (**الجائر**) الظالم.

الشرح: العمل مع وجود الشك، فكذلك إن وجد التصديق مع الإقرار فلا يضر معهما شيء من الذنوب، ولا يضر معهما ترك العمل، وهنا جزم معاذ رضي الله عنه بأنه ليس في ذلك المكان أفقه من ذلك الشاب.

تنبيه: أقول: هذه الرواية غير ثابتة السند، فلا تكون حجة على الإطلاق، ثم قوله لا يضر مع الإيمان شيء، قول غلاة المرجئة، ولا يظن بأبي حنيفة أن يقول بذلك، فضلا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، والله أعلم.

ثم بين أبو حنيفة رحمه الله أن قتال أهل البغى يكون بسبب بغيهم، كما قال تعالى: ﴿**فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله.. إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾ فأوجب قتالهم ومع ذلك لم ينف عنهم أخوة الدين، فدل على أنهم يقاتلون لبغيهم وليس لكفرهم، ثم أمر أبو حنيفة سائله أن يكون مع الفئة العادلة ولو كان إمامها جائرا، أو فاسقا في نفسه ما دام لم يخرج من الملة، ولم تنتقض بيعته، فإن فئته هي الفئة العادلة، ونهاه عن أن يكون مع الفئة الباغية الخارجة عن طاعة الإمام، وبرر أبو حنيفة رحمه الله

(١) انظر جامع المسانيد (١/١٦١) للخوارزمي بنحوه.

فإن كان في أهل الجماعة فاسدون ظالمون، فإن فيهم أيضاً صالحين يعينونك عليهم، وإن كانت الجماعة باغية فاعتزلهم واخرج إلى غيرهم، قال الله تعالى: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ وقال أيضا: ﴿إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾.

اللغة: (**فاسدون**) فاسقون غير صالحين (**فاعتزلهم**) فارقهم.

الشرح: ذلك بأن الجماعة العادلة إذا وجد فيها فاسدون أو ظالمون، فإن فيهم أيضا صالحين يعينون على إصلاح الفاسدين وتحمل فسادهم، وأما إذا كانت الجماعة باغية فالواجب اعتزالهم ومفارقتهم، واللحوق بغيرهم من أهل العدل، واستدل بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾[1] وبقوله: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾[2] فليس هناك عذر لأحد في لحوقه بجماعة البغي الخارجة على الإمام، لأنهم لو تسلطوا حتى على البلد، فإن أرض الله واسعة، ويمكن الهجرة منها إلى غيرها.

الخلاصة:

يجب على الإنسان أن يكون دائما مع الإمام العدل وطائفته وألا يخرج عليهم، وكذلك لا يشك في إيمانه.

المناقشة:

س١ ـ من هو الإمام العدل؟

س٢ ـ ما حكم الخروج عليه؟ ومع أي طائفة يجب أن يكون الإنسان.

---

(١) سورة النساء الآية (٩٧).

(٢) سورة العنكبوت الآية (٥٦).

وجوب الهجرة في الله

قال أبو حنيفة رحمه الله: حدثنا حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت المعاصي في أرض فلم تطق أن تغيرها فتحول عنها إلى غيرها فاعبد بها ربك»(١) وقال: حدثني بعض أهل العلم عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: من تحول من أرض يخاف الفتنة فيها إلى أرض لا يخافها فيها كتب الله له أجر سبعين صديقاً»(٢).

اللغة: (**لم تطق**) لم تستطع (**تحول**) انتقل (**الفتنة**) البلاء في الدين والمعاصي (**صديقا**) هو الدائم التصديق.

الشرح: ثم ذكر أبو حنيفة رحمه الله ما بلغه من حديث ابن مسعود مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: «**إذا ظهرت المعاصي في أرض...**» ومعنى ذلك أن الإنسان إذا ظهرت المعصية في بلده أو في بلد هو فيها فعليه أن يغيرها ماستطاع، كما قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(٣). لكن من لم يستطع أن يغير هذه المنكرات والمعاصي ويمنعها فعليه أن يتحول من البلد الذي فيه المعاصي إلى بلد آخر تظهر فيه الطاعة والسنة فليعبد الله فيه، فإن ذلك عون له على طاعة ربه عز وجل.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه مسلم(١/ ٦٩) ح٤٩ في الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان من حديث طارق بن شهاب عن أبي سعيد مرفوعاً.

....

وذكر أيضا ما بلغه عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: «من تحول من أرض..» ويعني أن الإنسان الذي يخاف الفتنة في دينه في أرض معينة، ثم يتحول منها إلى أرض لا يخاف فيها الفتنة في الدين، فهذا في الحقيقة إنما هو مهاجر إلى الله تعالى، وقد قال عز وجل: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1] وهذا يعطيه الله أجر سبعين صديقا.

(١) سورة النساء الآية (١٠٠).

إثبات العلو

قال أبو حنيفة: من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض، والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء، وعليه ما روى في الحديث أن رجلاً أتى إلى النبي ﷺ بأمة سوداء فقال: وجب عليّ عتق رقبة أفتجزىء هذه؟ فقال لها النبي ﷺ: أمؤمنة أنت؟ فقالت: نعم. فقال: أين الله؟ فأشارت إلى السماء. فقال: أعتقها فإنها مؤمنة[١].

اللغة: (أمة) جارية مملوكة (تجزىء) تكفى (أعتقها) حررها.

الشرح: ثم بين أبو حنيفة رحمه الله أن من قال: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فإنه يكفر وذلك لأنه مكذب بعلو الله على خلقه، جاحد لقوله تعلى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾[٢] ولقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾[٣]. فقد كذب فرعون موسى حينما أخبره أن إلهه في السماء، وكذلك كفر أبو حنيفة من قال بأن الله مستو على عرشه لكنه قال لا

---

(١) مسلم (٣٨١/١)ح٥٣٧ في المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة، وأحمد (٤٤٨/٥) وأبو داود (٥٨٧/٣) ح٣٢٨٢ في الإيمان والنذور باب في الرقبة المؤمنة، ولنسائي (١٨/١) في الصلاة باب الكلام في الصلاة وغيرهم، كلهم من طريق عطاء عن معاوية بن الحكم به.

(٢) سورة الملك الآية (١٦).

(٣) سورة غافر الآيتان (٣٦:٣٧).

....

أعرف العرش في السماء أم في الأرض فإن العلو هو الوصف اللائق بالربوبية وبالألوهية وليس السفل من وصفهما في شيء، وهذا الكلام من الإمام أبي حنيفة رحمه الله فيه رد بليغ على المتكلمين من الماتريدية وغيرهم، الذين يتعصبون لأبي حنيفة ويقلدونه في الفروع، لكنهم يخالفونه في مسائل أصول، فينفون صفة العلو لله تعالى، ويقولون: «إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت، بل هو في كل مكان...» إلخ وكلامهم هذا كفر صريح. ومن الأدلة على ذلك أن كل من أراد الدعاء فإنه يرفع يديه لأعلى لما فطر عليه من الإيمان بوجود الله في السماء، وقد أتت جارية إلى النبي ﷺ مع سيدها، وأخبر سيدُها بأنه وجب عليه عتق رقبة، فسألها النبي ﷺ عن ما إذا كانت مؤمنة فأشارت بالإيجاب فسألها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء، فقال لها: من أنا؟ قالت رسول الله. فقال: أعتقها فإنها مؤمنة. فشهادة النبي ﷺ لها بالإيمان مع قولها إن الله في السماء دلالة واضحة على إقرار النبي ﷺ لها في ذلك ولو لم يكن صوابا ما أقر لها بالإيمان مع وجود اعتقاد فاسد.

إثبات عذاب القبر

قال أبو حنيفة: من قال: لا أعرف عذاب القبر فهو من الجهمية الهالكة لأنه أنكر قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾(١) يعني عذاب القبر. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾(٢) يعني في القبر فإن قال: أؤمن بالآية ولا أؤمن بتأويلها وتفسيرها، قال: هو كافر لأن من القرآن ما هو تنزيله تأويله، فإن جحد بها فقد كفر. قال أبو حنيفة رحمه الله: حدثني رجل عن المنهال بن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «شرار أمتي يقولون: أنا في الجنة دون النار»(٣).

اللغة: (الجهمية) أتباع الجهم بن صفوان (تأويله) تفسيره (جحد بها) أنكرها.

الشرح: ثم بين الإمام أبو حنيفة رحمه الله أن من أنكر عذاب القبر وجحده فهو من الجهمية الهالكة حيث إنه منكر لقوله تعالى: ﴿سنعذبهم مرتين﴾ ولقوله تعالى: ﴿وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك﴾ وغيرها وكلها دالة على عذاب القبر، وكذلك كفّر رحمه الله من قال أنا أؤمن بالآية ولا أؤمن بتأويلها وتفسيرها، وبيّن ذلك بأن من القرآن أشياء تفسيرها وتأويلها هو مجرد التنزيل بذاته، فمن أنكرها فقد كفر، ثم أورد رحمه الله حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا:

---

(١) سورة التوبة الآية (١٠١).
(٢) سورة الطور الآية (٤٧).
(٣) لم أقف عليه.

....

«شرار أمتي يقولون: أنا في الجنة دون النار» وذلك لأنهم أمنوا مكر الله تعالى حيث قال: ﴿**فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**﴾[1]. ولا يعلم إنسان ما أعد له في علم الغيب عند الله تعالى.

(١) سورة يوسف الآية (٩٩).

تحريم التألي على الله

وحدثت عن أبي ظبيان قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للمتألين من أمتي قيل يا رسول الله وما المتألون؟ قال: الذين يقولون: فلان في الجنة وفلان في النار»[١]. وحدثت عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا أمتي في الجنة ولا في النار دعوهم حتى يكون الله يحكم بينهم يوم القيامة»[٢] قال: وحدثني أبان عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: لا تنزلوا عبادي جنة ولا ناراً حتى أكون أنا الذي أحكم فيهم يوم القيامة وأنزلهم منازلهم»[٣] قلت: فأخبرني عن القاتل والصلاة خلفه؟ فقال: الصلاة خلف كل بر وفاجر جائزة فلك أجرك

اللغة: (**لا تنزلوا عبادي**) لا تجزموا لهم بالجنة أو النار.

الشرح: وذكر أبو حنيفة رحمه الله ما بلغه أن النبي ﷺ قال: **«ويل للمتألين من أمتي...»** ويقصد بذلك الذين يجزمون لأحد معين بالجنة أو بالنار، وذلك كما قال النبي ﷺ حكاية عن رجل قال في حق آخر: «والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله تعالى: من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان قد غفرت له وأحبطت عملك»[٤]. وذكر ما بلغه من حديث ابن عمر في شأن النهي عن الجزم لأحد بجنة أو نار، والأمر

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه، لكنه مرسل كما ترى، والمرسل من أنواع الحديث الضعيف.

(٤) مسلم (٤/٢٠٢٣) ح٢٦٢١ في البر والصلة والآداب باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى من حديث أبي عمران الجوني عن جندب مرفوعا.

....

بالسكوت عن مصائر الناس حتى يفصل الله بينهم يوم القيامة، فينزل الجنة من شاء وينزل النار من شاء، وذكر كذلك ما بلغه عن الحسن أن النبي ﷺ روى عن ربه تعالى النهي عن الجزم لأحد بجنة أو نار حتى يكون الله هو الذي يحكم في شأنهم يوم القيامة وينزلهم منازلهم من الجنة أو النار، وهنا سأله السائل عن الصلاة خلف القاتل، فأخبره أن الصلاة خلف القاتل وغيره من الفجار جائزة، والأصل جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر، كما قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم»[1]، وهذا لأن من صحت صلاته لنفسه جاز الائتمام به، فلك أجرك

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٥٧).

وعليه وزره. قلت: أخبرني عن هؤلاء الذين يخرجون على الناس بسيوفهم فيقاتلون وينالون منهم؟ قال: هم أصناف شتى وكلهم في النار. قال: روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت بنو إسرائيل اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي ثلاثة وسبعين فرقة كلهم في النار إلا السواد الأعظم» قال: وحدثني حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث حدثا في الإسلام فقد هلك ومن ابتدع بدعة فقد ضل ومن ضل ففي النار».

اللغة: (شتى) متعددة ومتنوعة (**السواد الأعظم**) معظم الناس والمراد الزموا ما عليه معظم الناس.

الشرح: على صلاتك، وعليه هو وزر بدعته أو معصيته، ثم سأله السائل عن الخوارج الذين خرجوا على الناس بسيوفهم فقاتلوهم ونالوا منهم، فأخبره أنهم وإن كانوا فرقاً شتى لكن كلهم في النار، وليس هذا منه تناقضاً مع كلامه السابق حول عدم الجزم لأحد بجنة أو نار، ولكن الذي حكم لهم بالنار هو النبي ﷺ في أحاديث كثيرة صحيحة، ثم استدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه الخبر بافتراق بني إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة، وافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، والجزم لها كلها بالنار إلا السواد الأعظم، وهذا إن صح - أعني تفسير الفرقة الناجية بالسواد الأعظم - فإنما يقصد به جماعة الحق من أهل العلم، أو عامة المسلمين من غير الفرق المذكورة والأول أصح والله أعلم.

ثم ساق حديث ابن مسعود مرفوعاً في بيان أن من أحدث حدثا في

....

الإسلام فقد هلك وذلك بابتداعه في الدين ما لم يأذن به الله تعالى، وإعطائه لنفسه حق التشريع في دين الله بغير علم، وكذلك في بيان أن من ابتدع بدعة فقد ضل بإعراضه عن السنة التي سنها رسول الله ﷺ، ولما ضل عن الحق كان مستحقاً للنار عقوبة على ضلاله.

الخلاصة:

العلو صفة ثابتة لله تعالى، وعذاب القبر حق، ولا يجوز التألي على الله تعالى، كما يحرم الافتراق في الدين والتقاتل.

المناقشة:

س١ ـ كيف تثبت صفة العلو لله؟ وما معناه؟
س٢ ـ ما الدليل على أن عذاب القبر حق؟
س٣ ـ ما معنى التألي على الله؟ وما حكمه؟
س٤ ـ هل يجوز التقاتل والافتراق في الدين؟

وجوب لزوم القرآن

حدثنا ميمون عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني. قال: فاذهب فتعلم القرآن. ثلاث. ثم قال له في الرابعة: اقبل الحق ممن جاءك به حبيباً كان أو بغيضاً وتعلم القرآن ومل معه حيث مال.

قال وحدثنا حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: «إن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»(٢) وقال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾(٣) وقال الله تعالى لموسى على سيدنا ونبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٥﴾(٤).

اللغة: (بغيضا) مكروها (مل معه حيث مال) أي اتبعه على كل حال.

الشرح: ثم ساق أبو حنيفة حديث ابن عباس أن رجلاً سأل النبي ﷺ أن يعلمه فأمره النبي ﷺ بتعلم القرآن، وأمره بذلك ثلاث مرات ثم أمره أن يقبل الحق على أي حال جاءه، سواء جاء على لسان

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه موقوفا. والحديث روي مرفوعا من حديث جابر بن عبدالله وأخرجه بهذا التمام النسائي (١٨٨/٣-١٨٩) وأخرجه مختصرا الإمام مسلم (٨٦٧) وابن ماجة (٤٥) وهو حديث صحيح.

(٣) سورة الشمس الآية (٨).

(٤) سورة طه الآية (٨٥).

....

حبيب أو بغيض ولا يرد الحق إن جاء على لسان من لا يحب، وأمره بأن يتعلم القرآن، وأن يميل معه حيث مال، ويتبعه على كل حال، حتى ولو كان على خلاف الهوى ثم ساق أيضا حديث ابن مسعود وقد ثبت مرفوعاً أن محدثات الأمور شر كلها لا شك، لأن الخير كله في الاتباع وليس في الابتداع في دين الله تعالى وخلاف السابقين، وفيه بيان أن كل محدثة بدعة لا شك، لكونها جاءت على غير أصل من دين الله تعالى، وكل بدعة ضلالة لا شك، ولو لم تكن ضلالة لدل عليها النبي ﷺ فلما لم يدل عليها ويرشد إليها دل على أنها ضلالة وبالتالي فهي في النار، فليس في الجنة ضلالات والله تعالى هو الذي ألهم كل نفس فجورها وضلالها وفسقها، أو تقواها وطاعتها وصلاحها وقول الله تعالى لموسى: ﴿**إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري**﴾ فدل على أن الله تعالى هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وإن كان جعل لكل شيء سبباً سبحانه وتعالى.

باب المشيئة

قلت: هل أمر الله تعالى بشيء ولم يشأ خلقه، وشاء شيئاً ولم يأمر به وخلقه؟ قال: نعم. قلت: فما ذلك؟ قال: أمر الكافر بالإسلام ولم يشأ خلقه، وشاء الكفر للكافر ولم يأمر به وخلقه. قلت: هل رضي الله شيئا ولم يأمر به؟ قال: نعم كالعبادات النافلة. قلت: هل أمر الله تعالى بشيء ولم يرض به؟ قال: لا. قلت: لم؟ قال: لأن كل شيء أمر به فقد رضيه.

اللغة: (النافلة) الزائدة من غير الفريضة.

الشرح: بدأ السائل في سؤال الإمام أبي حنيفة عن المشيئة، فسأله هل يمكن أن يكون الله تعالى أمر بشيء أمراً شرعياً، لكنه لم يشأ خلقه، وشاء شيئاً وخلقه من غير أن يأمر به؟ فأجابه بنعم. وهذا هو الحق، فما من شيء كائن في هذا الكون إلا بمشيئة الله تعالى ولو كان بغير مشيئته وخلقه لكان له خالق غير الله تعالى، فإذا تبين هذا وتيقنا قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[1] وجدنا أن الناس يقع منهم الخير والشر، والإيمان والكفر، والله تعالى لم يأمر بالكفر ولا حض عليه، بل نهى عنه وأمر بضده وهو الإيمان، وقال تعالى: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ ﴾[2] فإذا تبين أن الله لا يرضى الكفر، لكنه شاء وقوعه وأراده قدراً، وإن كان لم يرده ولم يرض به شرعاً، وأراد الإيمان ورضيه شرعاً، لكنه لم يرد وقوعه

(١) سورة الزمر الآية (٦٢).

(٢) سورة الزمر الآية (٧).

....

قدراً ولم يخلقه أحياناً، تبين حقيقة الأمر، فكفر الكافر بمشيئة الله لكنه ليس برضاه الشرعي، وهنا سأل السائل هل يمكن أن يرضى الله شيئاً ولا يأمر به؟ فأجابه بنعم. ومثل له بالعبادات النوافل من غير الفريضة، فإن الله تعالى رضيها لكنه لم يأمر بها أمر إيجاب، فسأله السائل هل يمكن أن يأمر بشيء من غير أن يرضاه؟ فأجابه بالنفي، لأن كل شيء أمر الله به فقد رضيه، ولا يتصور أن يأمر الله الناس شرعاً بشيء لا يرضاه، بل قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ...﴾[1].

(١) سورة الأعراف الآيتان (٢٨ : ٢٩).

قلت: يعذب الله العباد على ما يرضى أو على ما لا يرضى؟ قال يعذبهم الله على ما لا يرضى لأنه يعذبهم على الكفر والمعاصي ولا يرضى بها. قلت: فيعذبهم على ما يشاء أو على ما لا يشاء؟ قال: بل يعذبهم على ما يشاء لهم، لأنه يعذبهم على الكفر والمعاصي، وشاء للكافر الكفر وللعاصي المعصية قلت: هل أمرهم بالإسلام ثم شاء لهم الكفر؟ قال: نعم. قلت: سبقت مشيئته أمره أو سبق أمره مشيئته؟ قال: سبقت مشيئته أمره. قلت: فمشيئة الله رضى له أم لا؟ قال: هو لله رضى ممن عمل بمشيئته وبرضاه وطاعته فيما أمر به، ومن عمل خلاف ما أمر به فقد عمل بمشيئته ولم يعمل برضاه ولكنه عمل معصيته، ومعصيته غير رضاه. قلت: يعذب الله العباد على ما يرضى؟ قال: يعذبهم على ما لا يرضى

اللغة: ....

الشرح: ثم سأله السائل هل يعذب الله العباد على فعلهم لشيء يرضاه أم على فعلهم لشيء لا يرضاه؟ فأجابه بأن الله يعذبهم على فعل ما لا يرضاه كالكفر والمعاصي فإنه لا يرضاها كما سبق، فسأله هل يعذبهم الله على ما يشاء أو على ما لا يشاء؟ فأجابه الإمام بأن الله تعالى حينما يعذبهم على ارتكابه ما لا يرضاه من الكفر والمعاصي، فإنه يعذبهم على شيء شاءه في الحقيقة، لأنه ما من شيء إلا وهو كائن بمشيئة الله تعالى، كما في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(١)، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا، وهنا استغرب السائل

---

(١) سورة النحل الآية (٩٣).

....

وسأل هل أمرهم الله تعالى بالإسلام وشاء لهم الكفر فأجابه الإمام بالإيجاب، وذلك لأن الله تعالى أمرهم بالإسلام أمراً شرعيا، وإن كان قد شاء لهم الكفر مشيئة قدرية كونية، فسأله السائل هل مشيئة الله تغلب رضاه أم لا؟ فأجابه بأن مشيئة الله الكونية تغلب رضاه الشرعي وتسبقه، فسأله السائل هل مشيئة الله رضى له أم لا؟ فأجابه الإمام بأن مشيئة الله الكونية رضى له ما دام الإنسان عاملاً بطاعته وبرضاه وبأمره، وأما من عمل بخلاف الأمر الشرعي فقد عمل بالمشيئة الكونية وإن كان لم يعمل برضى الله تعالى، حيث عمل بالمعصية، والمعصية غير الرضى، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ ﴾[1]، والإنسان في الحقيقة مطالب ومسئول عن الإرادة الشرعية والرضى الشرعي وليس مكلفا بالمشيئة الكونية. فسأله السائل هل يعذب الله العباد على شيء يرضيهم؟ قال الإمام: يعذبهم على ما لا يرضى

(١) سورة الزمر الآية (٧).

من الكفر، ولكن يرضى أن يعذبهم وينتقم منهم بتركهم الطاعة وأخذهم بالمعصية قلت: شاء الله للمؤمنين الكفر؟ قال: لا ولكن شاء للمؤمنين الإيمان كما شاء للكافرين الكفر، وكما شاء لأصحاب الزنى الزنى وكما شاء لأصحاب السرقة السرقة وكما شاء لأصحاب العلم العلم وكما شاء لأصحاب الخير الخير، لأن الله تعالى شاء للكفار قبل أن يخلقهم أن يكونوا كفاراً ضلالاً. قلت: يعذب الله الكفار على ما يرضى أن يخلق أم على ما لا يرضى أن يخلق؟ قال: بل يعذبهم على ما يرضى أن يخلق، قلت: لم؟ قال: لأنه يعذبهم على الكفر

اللغة: (**ضلالا**) حائدين عن الهدى.

الشرح: من ارتكاب الكفر، وكذلك فإن الله تعالى يرضى بتعذيبهم والانتقام منهم لما تركوه من الطاعة، ولما ارتكبوه من المعاصي، جزاء وفاقا، فإن هذا هو العدل بعينه وهنا سأله السائل هل شاء الله للمؤمنين الكفر؟ فأجابه الإمام بالنفي، وذلك لأن مشيئة الله لا تغلب، فإن شاء للمؤمنين أن يؤمنوا، وشاء للكافرين أن يكفروا وشاء للزناة أن يزنوا، وللسرّاق أن يسرقوا، وشاء لأصحاب العلم أن يعلموا ولأصحاب الخير أن يفعلوا الخير، والله تعالى شاء أن يكفر الكافرون وأراد لهم ذلك قبل أن يخلقهم، فهم كفروا بمقتضى مشيئة الله تعالى، كما أنهم كفروا بإرادتهم ومشيئتهم الحرة التي خلقها الله تعالى فيهم، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1]، ثم سأله السائل هل يعذب الله الكفار على شيء رضي أن يخلق أم على شيء لا

---

(١) سورة التكوير الآية (٢٩).

....

يرضى بخلقه؟ فأجابه الإمام: بل يعذبهم على ما يـرضى أن يخلق وذلك لأن الشيء ما دام قد خلق ووجد فعلاً، فـإن الله تعالى هـو الذي رضى أن يوجد وليس ذلك رضى منه بنفس الشيء ولا به، إنما الله رضى بأن يوجد ولما استغرب السـائـل ذلـك أخبره بتـأويـل كـلامـه، وذلـك لأن الله تعـالى يعـذب الناس عـلى الكفر، والكفـر إنما وجـد بمشيئـة الله وهـو الـذي خلقـه

ورضي أن يخلق الكفر، ولم يرض الكفر بعينه. قلت: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾(١) فكيف يرضى أن يخلق الكفر؟ قال: يشاء لهم ولا يرضى به. قلت: لم؟ قال: لأنه خلق إبليس فرضي أن يخلق إبليس ولم يرض نفس إبليس، وكذلك الخمر والخنازير فرضي أن يخلقهن ولم يرض أنفسهن. قلت: لماذا؟ قال: لأنه لو رضي الخمر بعينها لكان من شربها فقد شرب ما رضي الله، ولكنه لا يرضى الخمر ولا الكفر ولا إبليس ولا أفعاله، ولكنه رضي محمداً ﷺ. قلت: أرأيت اليهود حيث قالوا ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾(٢) أرضي الله لهم أن يقولوا ذلك؟ قال: لا.

اللغة: ....

الشرح: فالله تعالى رضي أن يخلق الكفر، غير أنه لم يرض الكفر بعينه، وهنا استغرب السائل واستدل بقوله تعالى: ﴿**ولا يرضى لعباده الكفر**﴾ فكيف يقول الإمام إن الله سبحانه رضي أن يخلق الكفر فبين له الإمام أن الله تعالى قد يشاء الأمر ولكنه لا يرضى به، كما شاء للكفار الكفر ولكنه لم يرض به، وهنا سأله السائل ولم؟ فأجاب الإمام بأن الله تعالى خلق إبليس فرضى أن يخلقه لكنه لم يرض نفسه إبليس، ورضى أن يخلق الخمر والخنازير فرضى أن يخلقهن ولكن لم يرض أنفسهن. فسأله السائل ولم؟ فأجابه بأن الله تعالى لو كان قد رضى الخمر بعينه لكان من شربها شارباً لشيء يرضى الله تعالى، ولكنه لا يرضى الخمر ولا الكفر ولا إبليس ولا أفعاله، ولكنه رضى محمداً ﷺ. وهنا سأله السائل: هل رضى الله قول اليهود حيث قالوا: «يد الله مغلولة» ورد عليهم بقوله: «غلت أيديهم»؟ فأجابه الإمام بالنفي، أي إن الله تعالى لم يرض لهم ذلك حيث قالوه.

---

(١) سورة الزمر الآية (٧). (٢) سورة المائدة الآية (٦٤).

باب آخر في المشيئة

إذا قيل له: أرأيت لو شاء الله أن يخلق الخلق كلهم مطيعين مثل الملائكة هل كان قادراً؟ فإن قال لا. فقد وصف الله تعالى بغير ما وصف به نفسه. لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾[2] فإن قال: هو قادر فقل أرأيت لو شاء الله أن يكون إبليس مثل جبريل في الطاعة أما كان قادرا؟ فإن قال: لا. فقد ترك قوله ووصف الله تعالى بغير صفته. فإن قال: لو أنه زنى أو شرب أو قذف أليس هو بمشيئة الله؟ قيل: نعم. فإن قال فلم تجر عليه الحدود؟ قيل: لا يترك ما أمر الله به لأنه لو قطع غلامه كان بمشيئة الله، وذمة الناس، ولو اعتقد حدوه عليه، وكلاهما وجدا بمشيئة الله، وقد عمل بمشيئة الله تعالى لكن من عمل بمشيئة المعصية فإنه ليس بها رضا ولا عدل في فعله وقوله:

اللغة: (القاهر) القوي الذي لا يغلب.

الشرح: هنا يتطرق الإمام رحمه الله إلى باب آخر في المشيئة، فيبين أن الله سبحانه وتعالى لو أراد لجعل الخلق جميعاً مؤمنين مطيعين مثل الملائكة، وأن من نفي قدرة الله سبحانه على ذلك فهو منتقص لله تعالى واصف إياه بغير صفته، واستدل بقوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ وقوله: ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم... ﴾ فهذه الآيات تثبت لله تعالى القدرة التي لا تغلب، ويقول الإمام إن من قال إن الله كان قادراً على هداية جميع الناس يقال له: هل كان الله قادراً

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٨).

(٢) سورة الأنعام الآية (٦٥).

....

على أن يجعل إبليس مثل جبريل في الطاعة لو شاء؟ فإن قال: لا. فهو راجع عن قوله الأول، نافٍ لقدرة الله، واصف إياه بغير صفته. ويرد الإمام على من يقول: إن كان الزاني والسارق والشارب والقاذف بمشيئة الله تعالى فلم تجر عليه الحدود؟ ويبين الإمام أنه لا يجوز للإنسان أن يترك ما أمر الله به، ويوضح ذلك بأنه لو أن الإنسان قطع غلامه، فإنما يقطع يده مثلاً بمشيئة الله، وإن كان الناس يذمونه على ذلك، ولو أنه أعتق غلامه لحمده الناس على ذلك رغم أنه بمشيئة الله أيضاً وهو في الحالين عامل بما شاءه الله تعالى، ولكن من عمل المعصية وإن كان عاملاً بمشيئة الله لكنه عامل بغير مرضاة الله تعالى ولم يعدل في فعله، ثم إن الإنسان مكلف ومسؤول عن مقتضى الرضى والأمر والنهي الشرعي، وليس عن المشيئة الكونية التي هي مجهولة بالنسبة إليه، فلا يصح أن يحتج الكافر والعاصي بالمشيئة الكونية إذ يقال له: وما أعلمك إذ أقدمت على ما فعلت أن الله تعالى قد شاء لك ذلك، وأراد لك

فلم تجر عليه الحدود؟ سؤال فاسد على أصلهم. لأنهم لا يثبتون مشيئة الله تعالى في كثير من المعاصي فلا تلزمه الحدود إلا على فعله مثل شرب الخمر وقد فعلها جميعا بمشيئة الله تعالى.

اللغة: (فاسد) غير صحيح.

الشرح: الكفر أو المعصية، وهذا غيب لا يدرك حقيقته مخلوق، وإنما أنت مسؤول عما أمرك الله به في كتابه أو نهاك عنه. ويبين الإمام أن سؤال السائل فلم تجر عليه الحدود؟ سؤال فاسد على أصل المنكرين للمشيئة الربانية في إرادة المعاصي، فإنهم ينكرون هذه المشيئة في كثير من المعاصي ويجعلون الحدود غير لازمة إلا على فعله مثل شرب الخمر، ويرد بأن كل هذه الأشياء إن فعلها العبد فإنما يفعلها بمشيئة الله تعالى وإرادته.

الخلاصة:

مشيئة الله نافذة في كل شيء، ولا يحدث شيء بغير مشيئته، ومشيئة العباد مخلوقة.

المناقشة:

س١ ــ هل مشيئة العباد مستقلة أم لا؟
س٢ ــ ما معنى: «وما تشاءون إلا أن يشاء الله»؟
س٣ ــ هل يخرج شيء عن مشيئة الله؟

(باب الرد على من يكفر بالذنب)

قلت أرأيت لو أن رجلاً قال: من أذنب ذنبا فهو كافر. ما النقض عليه؟ فقال: يقال له: قال الله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] فهو ظالم مؤمن وليس بكافر ولا منافق، وإخوة يوسف قالوا: ﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾[2] وكانوا مذنبين لا كافرين، وقال الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[3] ولم يقل من كفرك، وموسى حين قتل الرجل كان في قتله مذنباً لا كافراً.

اللغة: (**النقض**) الجواب المبطل لقوله (**نقدر عليه**) نضيق عليه.

الشرح: وهذا باب جديد يتعلق بالرد على من يكفر بالذنب، وقد سأل السائل أبا حنيفة رحمه الله عن ما يرد به على من يكفر مرتكب الذنب، فأجابه الإمام أنه يرد عليه بأن قول الله تعالى حكاية عن يونس «إني كنت من الظالمين» لو كان الذنب كفراً لكان معنى كلامه: إني كنت من الكافرين وهذا معنى باطل لا شك، بل هو مؤمن ظلم نفسه وليس بكافر ولا منافق، وكذلك لما قال إخوة يوسف (إنا كنا خاطئين) أي مذنبين وليسوا كافرين ولا شك، وكذلك قول الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ فلم **يقل** من كفرك وإنما قال (من ذنبك) وهذا دليل على أن الذنب وإن كان

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٨٧).

(٢) سورة يوسف الآية (٩٧).

(٣) سورة الفتح (٢).

كفراً من جهة اللغة، لكنه لا يعد كفراً شرعاً إلا ما أطلق عليه كفر نصاً، ولا يكفر الإنسان بذنب إلا أن يستحله، وقد قال الإمام الطحاوي في عقيدته: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»[1] وكذلك قال تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[2] فهل كان كفر بمعصية؟ حاشا لله، وكذلك موسى عليه السلام أخطأ بقتله الرجل لكنه لم يكفر بذلك أبداً، ومن كفَّر كل هؤلاء النبيين لكان من أعظم المفترين على الله كذباً، بل ولكفر هو بذلك وقوله بأن موسى عليه السلام أذنب في قتل الرجل فيه رد على الماتريدية الذين يزعمون أن الأنبياء معصومون من الذنوب صغائراً أو كبائر عمدا. وقد ذكر شيخ الإسلام أن هؤلاء أرادوا أن ينزهوا الأنبياء لكنهم وقعوا في التكذيب بتحريفهم لنصوص الكتاب والسنة.

الخلاصة:

لا يكفر المسلم بذنب ما لم يستحله.

المناقشة:

س١ ــ هل الذنوب كفر أم لا؟
س٢ ــ هل تصدر الذنوب من الأنبياء؟
س٣ ــ ما حكم من يكفر بالذنب؟

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٩٠).
(٢) سورة طه الآية (١٢١).

الاستثناء في الإيمان

قال: وإذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى يقال له: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[1] فإن كنت مؤمنا فصل عليه، وإن كنت غير مؤمن فلا تصل عليه، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ .. الآية﴾[2] قال معاذ رضي الله عنه: من شك في الله فإن ذلك يبطل جميع حسناته، ومن آمن وتعاطى المعاصي يرجى له المغفرة ويخاف عليه العقوبة. قال السائل لمعاذ رضي الله عنه: إذا كان الشك يهدم الحسنات فإن الإيمان أهدم وأهدم للسيئات. قال معاذ رضي الله عنه والله ما رأيت رجلاً أعجب من هذا الرجل يسأل أمسلم أنت؟ فيقول: لا أدري.

اللغة: (ذروا) اتركوا.

الشرح: هنا يتطرق الإمام رحمه الله لمسألة الاستثناء في الإيمان، فيقول إن من يستثنى في إيمانه - أي يقول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى -

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٥٦).

(٢) سورة الجمعة الآية (٩).

قلت: استدلال الإمام أبي حنيفة بهاتين الآيتين على بطلان الاستثناء في الإيمان لا يصح، لأنه ليس المراد من قول القائل أنا مؤمن إن شاء الله تعالى أنه شك في إيمانه حتى يرد عليه ما في هاتين الآيتين، أو شك في الله حتى يرد عليه أثر معاذ إن ثبت، بل الاستثناء لأجل خوف التزكية وادعاء كمال الإيمان، فإن الإيمان الكامل المطلق لا يوصف به إلا من أتى بجميع الأوامر واجتنب جميع النواهي، فإذا قال المرء: أنا مؤمن حقا. دل هذا على أنه أتى بجميع المأمورات واجتنب جميع المنهيات، وهذا مع أنه تزكية لنفسه، قد يكون كذبا في ذات الأمر فلذا جاء عن السلف الاستثناء في الإيمان، فعلى هذا لا يرد ما في هاتين الآيتين ولا ما في أثر معاذ فإنه لم يشك في إيمانه، ولم يشك في الله عز جل حتى يرد عليه ما أورده أبو حنيفة.

....

فهذا يحتج عليه بأن الله تعالى قد أمر المؤمنين في كتابه بالصلاة على نبيه ﷺ، فإن لم يكن مؤمنا فلا يصل على النبي ﷺ ويحتج عليه بأن الله أمر المؤمنين بالسعي إلى صلاة الجمعة وترك البيع، يعني إذا لم يكن مؤمنا فليقعد ولا يسع للصلاة، واستدل بقول معاذ رضي الله عنه أن من شك في الله فإن ذلك الشك يبطل جميع الحسنات، أما الإيمان وإن قارنته معاصي فإنه يرجى لصاحبه المغفرة وإن كان يخاف عليه العقوبة، وهنا أجاب السائل على معاذ بأنه إذا كان الشك يهدم الحسنات فإن الإيمان يهدم السيئات أكثر، وهذا قد يصح في الإيمان ابتداء بمعنى أن الإيمان من الكافر يمحو ما قبله من السيئات، فهذا حق، لكن السيئات التي يرتكبها المؤمن قد يغلبها الإيمان والعمل الصالح خصوصا إن زاد عليها، ومعنى ذلك أنه قد يكون سببا في تكفيرها، وذلك حتى لا نقع فيما ذهب إليه المرجئة من أن الذنوب لا تضر مع الإيمان، وذكر الإمام تعجب معاذ رضي الله عنه الشديد ممن يسأل أمسلم أنت؟ فيقول: لا أدري. وذلك لأنه هكذا يكون شاكاً حتى في إسلامه ولا يدري إن كان قد أسلم أم إنه ما زال كافراً

فيقال له: قولك لا أدري أعدل أم جور؟ فإن قال: عدل. فقل: أرأيت ما كان في الدنيا عدلاً أليس في الآخرة عدلا؟ فإن قال: نعم. فقل: أتؤمن بعذاب القبر ونكير وبالقدر خيره وشره من الله تعالى؟ فإن قال نعم. فقل له: أمؤمن أنت؟ فإن قال: لا أدري. فقل له: لا دريت ولا فهمت ولا أفلحت. قلت: ومن قال: إن الجنة والناس ليستا بمخلوقتين[1] فقل له: هما شيء أوليستا بشيء وقد قال الله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[4] فإن قال: إنهما تفنيان. فقل له: وصف الله نعيمهما بقوله: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[5] ومن قال إنهما تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما فقد كفر بالله تعالى لأنه أنكر الخلود فيهما.

اللغة: (تفنيان)أي ينقضي بقاؤهما.

الشرح: فهذا يقال له: قولك هذا عدل أم جور؟ فإذا قال عدل. فيقال له: إن ما يكون عدلاً في الدنيا لا بد أن يكون عدلا في الآخرة فإن قال: نعم. فيقال له: أمؤمن أنت؟ فإن قال: لا أدري. فيقال له: لا دريت ولا فهمت ولا أفلحت. لأنه شاك في نفسه، غير جازم بإيمانها.

---

(١) لعل هنا سقطاً، وسياق الكلام يقتضي أن يقال: قال: .
(٢) سورة الزمر الآية (٦٢).
(٣) سورة القمر الآية (٤٩).
(٤) سورة غافر الآية (٤٦).
(٥) سورة الواقعة الآية (٣٣).

....

ثم سأله السائل عمن قال إن الجنة والنار ليستا مخلوقتين، فأمره أن يحتج عليه بالآيات المذكورة حيث تثبت أن كل شيء فالله خالقه، ثم إن زعم فناءهما يحتج عليه بأن الله تعالى أخبر أن نعيم الجنة لا ينقطع وذلك بقوله: ﴿**لا مقطوعة ولا ممنوعة**﴾ فإن زعم أن الجنة والنار بعد أن يدخلها أهلهما تفنيان، فإنه يكفر هنا لأن الله تعالى أخبر أن أهل الجنة والنار خالدون فيهما كما ثبت ذلك في مواضع كثيرة من كتابه.

الخلاصة:

يجوز الاستثناء في الإيمان على ما سبق بيانه، والجنة والنار مخلوقتان الآن.

المناقشة:

س١ ـ فصل القول في مسألة الاستثناء في الإيمان؟

س٢ ـ هل الجنة والنار مخلوقتان أم لا؟ وما حكم من أنكر ذلك؟

باب في الصفات

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: (لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، ونصفه كما وصف نفسه، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، حي قيوم قادر سميع بصير عالم، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه وليست جارحة

اللغة: (صمد) أي مقصود في الحوائج.

الشرح: لا ينبغي أن يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، فإن قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾(١) ومن صفاته تعالى صفة الغضب وصفة الرضا، كما قال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾(٢) وقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾(٣) وهما صفتان من صفاته بلا كيف، أي لا يمكن تكييفهما بكيفية معينة، فإن هذا مما لا يدرك بحال، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، فالله تعالى يغضب ويرضى، على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وهو غضب حقيقي، ورضى حقيقي، وليس كما زعم بعض النفاة أن غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، بل العقوبة لازم الغضب، والثواب لازم الرضى، ولكن لا تفسر الصفة بلازمها بل هي صفة حقيقية على الكيفية اللائقة بجلال الله تعالى وعظمته، ونحن نصف الله

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(٢) سورة النساء الآية (٩٣).

(٣) سورة البينة الآية (٨).

....

تعالى بما وصف به نفسه، فهو سبحانه أحد لا شريك له، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله. وهو تعالى صمد كما قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾(١) حيث يقصده الخلائق جميعاً في حوائجهم، لأنه المالك القادر والله تعالى لم يلد ولم يولد، كما قال عن نفسه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾(٢) فالله تعالى ليس له ولد ولا والدة، بل هو سبحانه لا يشبه خلقه ولا يشبهه خلقه، وليس له كفواً أحد، فلا يماثله ولا يكافئه شيء، وليس له نظير من خلقه وهو تعالى حي لا يموت، قيوم لا ينام، قادر لا يغلب ولا يعجزه شيء، سميع وسع سمعه الأصوات بصير لا يغيب عن بصره شيء، عالم لا تخفى عليه خافية، له يد كما قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(٣) لكنها ليست كأيدي المخلوقين، فإنه ليس كمثله شيء، وليست جارحة مثل خلقه، بل على الكيفية اللائقة به تعالى.

---

(١) سورة الإخلاص الآية (٢).
(٢) سورة الإخلاص الآية (٣).
(٣) سورة الفتح الآية (١٠).

وهو خالق الأيدي، ووجهه ليس كوجوه خلقه، وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليست كنفس خلقه وهو خالق النفوس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١). قلت: أرأيت لو قيل: أين الله تعالى؟ فقال: يقال له كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء، فإن قيل: بأي شيء شاء الشائي المشيء؟ فقل بالصفة، وهو قادر يقدر بالقدرة وعالم يعلم بالعلم ومالك يملك بالملك. فإن قيل: أشاء المشيئة وقدر بالمشيئة وشاء بالعلم؟ فقل:

اللغة: ....

الشرح: وهو سبحانه خالق أيدي عباده، وله وجه كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾(٢) وليس كوجوه المخلوقين، وهو سبحانه خالق وجوه عباده، وله سبحانه نفس كما قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(٣) ولكنها ليست كنفوس خلقه، وهو سبحانه خالق النفوس، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٤). وهنا سأله السائل عن الجواب على من يقول: أي الله تعالى؟ فأخبره الإمام بأن الله تعالى كان موجوداً بلا مكان قبل أن يخلق خلقه، وكان بلا أين ولا خلق ولا شيء، وهو سبحانه خالق كل شيء.

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(٢) سورة القصص الآية (٨٨).

(٣) سورة آل عمران الآية (٢٨).

(٤) سورة الزمر الآية (٦٢).

....

تنبيه: لعل هذا من كلام أبي مطيع، وكان الأولى الاقتصار على ما ورد في حديث النبي ﷺ لما قال للجارية: أين الله؟ قالت في السماء. وقد سبق إيراده، فهذا الكلام بطوله مخالف لموجب الحديث المذكور وكان الأولى بالإمام إن كان كلامه أن يقتصر على الإجابة عن السؤال بأين الله، بهذا الحديث، ولا داعي لتكلف الجواب بأشياء قد توقع في الزلل.

وما بعده من كلام لعله كذلك ليس من كلام الإمام، ففيه تكلف وتعسف نربأ به عنه، واستعمال لعبارات ولألفاظ لم يتكلم فيها السلف فيما نعلم، والراجح أن كل هذا ليس من كلامه رحمه الله.

الخلاصة:

صفات الله تعالى ثابتة على الحقيقة، وهي ليست كصفات خلقه.

المناقشة:

س١ ـ هل صفات الله تعالى حقيقية أم لا؟

س٢ ـ هل تشبه صفات الله صفات خلقه؟

باب في الإيمان

فإن قيل: أين مستقر الإيمان؟ يقال: معدنه ومستقره القلب، وفرعه في الجسد فإن قيل: هو في أصبعك؟ فقل: نعم. فإن قيل: فإن قطعت أين يذهب الإيمان منها؟ قال: فقل: إلى القلب. فإن قال: هل يطلب الله من العباد شيئاً؟ فقل: لا. إنما هم يطلبون منه. فإن قال: ما حق الله تعالى عليهم؟ فقل: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، فإذا فعلوا ذلك فحقهم عليه أن يغفر لهم ويثيبهم عليه، فإن الله تعالى يرضى عن المؤمنين لقوله تعالى: ﴿* لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾(١) ويسخط على إبليس، ومعنى قوله تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾(٢) فهو وعيد منه، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾(٣) أي بصرناهم وبينا لهم.

اللغة: (**مستقر**) مقر ومنتهى (**معدنه**) أصله (**يثيبهم**) يعطيهم الثواب (**يسخط**) يغضب (**وعيد**) تهديد، ضد الوعد (**العمى**) الضلالة.

الشرح: يبين الإمام رحمه الله أن أصل الإيمان ومستقره وجوهره في القلب، وأما ما يكون في الجسد من الأعمال فإنه فرع الإيمان، جريا منه على أصله في أن الإيمان مجرد التصديق والإقرار ويبين أن الإيمان يكون حتى في الإصبع، فإن قطعت عاد إلى القلب، وهذه ألفاظ وطريقة لم تعهد عن السلف رضي الله عنهم، فالعجب كل العجب من

---

(١) سورة الفتح الآية (١٨).

(٢) سورة فصلت الآية (٤٠).

(٣) سورة فصلت الآية (١٧).

....

الإمام كيف تطرق إليها، ولا أحسب أن كل هذا الكلام من كلام أبي حنيفة، بل هو من كلام ابن مطيع ثم بين أن الله لا يطلب من الناس شيئاً لكنهم هم الذين يطلبون منه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[1] ويبين أن حق الله على العبد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقهم عليه الذي أوجبه على نفسه أن لا يعذبهم إن عبدوه، وقد قال ﷺ: «**أتدري ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله؟ أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**»[2] وذكر أن الله يرضى عن المؤمنين لما ثبت من ذلك في الآيات، ويسخط على إبليس ومن تبعه، وبين أن قوله تعالى: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ ليس من باب التخيير والإباحة، لكنه من باب التهديد والوعيد، وأما هداية ثمود في الآية فهي هداية البيان والإرشاد، فإن الله تعالى بيّن لهم على لسان رسوله لكنهم استحبوا الضلالة

---

(١) سورة فاطر الآية (١٥).

(٢) البخاري (١٣/٣٥٩: ٣٦٠) ح٧٣٧٣ في التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله، ومسلم (١/٥٩) ح٣٠ في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، كلاهما من حديث الأسود بن هلال عن معاذ به.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1] فهو وعيد، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] أي ليوحدوني، ولكن كلها بتقدير الله تعالى خيرها وشرها حلوها ومرها وضرها ونفعها، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[6] - أي بمشيئته - ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[7] وقال تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[8] وقال تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[9] - أي بقدر الله سبحانه - وقال شعيب صلوات الله على نبينا وعليه: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى

اللغة: **(تكره)** تجبر، من الإكراه **(قبلا)** أي رأوه عيانا **(الطاغوت)** كل ما عبد من دون الله وهو راض.

الشرح: على الهدى، وآثروا الكفر على الإيمان، ثم ساق الإمام رحمه

(١) سورة الكهف الآية (٢٩).
(٢) سورة الذاريات الآية (٥٦).
(٣) سورة يونس الآية (٩٩).
(٤) سورة الأنعام الآية (١١١).
(٥) سورة يونس، الآية (١٠٠).
(٦) سورة هود الآيتان (١١٨ : ١١٩).
(٧) سورة هود الآية (١١٩).
(٨) سورة النحل الآية (٣٦).
(٩) سورة التكوير الآية (٢٩).

....

الله تعالى قوله عز وجل: ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ وهذا ليس إباحة وتخييراً ولكنه وعيد وتهديد لمن آثر الكفر، ويفهم منه أنه حر في أن يكفر، غير أن عليه أن يتحمل العاقبة عن كفره، ثم ساق الإمام الآية المبينة أن التوحيد وعبادة الله تعالى هو الغاية من خلق الجن والإنس، وساق كذلك آيات كثيرة كلها تدلل على أن مشيئة الله نافذة، وأن كل شيء يحدث بقدرته تعالى ومشيئته، كلها توضح أن من اهتدى فبإذن الله تعالى ومن ضل فكذلك بإذن الله تعالى، فكل شيء بمشيئته تعالى، وذلك لأن الله تعالى هو خالق الناس، وخالق مشيئتهم، وهذا مما يجب الإيمان به، أنه لا يكون شيء في الكون إلا بإذنه تعالى.

ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[1] وقال نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿ لا وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾[4] والله أعلم . تم الفقه الأبسط لأبي حنيفة رحمه الله وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اللغة: (نعود) نرجع (يغويكم) يضلكم (أناب) رجع إلى ربه.

الشرح: وهكذا الآيات التي ساقها الإمام هنا كلها تنحو هذا المنحى، وهو إثبات أن كل شيء كائن فإنما هو بمشيئة الله تعالى، وإثبات أن من ضل فقد ضل بإذن الله تعالى، وأن الله قد يفتن من شاء من عباده، وهذا الباب مما يفيد في إثبات المشيئة الشاملة لكل شيء لله تعالى.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٨٩).
(٢) سورة هود الآية (٣٤).
(٣) سورة يوسف الآية (٢٤).
(٤) سورة ص الآية (٣٤).

الفهـــرس